

اللوّاح الخروصي سالم بن غسان

حياته وشعره
(٨٩٥ - ٩٨١ هـ)

دراسة موضوعية وفنية

تأليف

راشد بن حمد بن هاشل الحسيني
المدرس المساعد بكلية التربية للمعلمين في نزوى

الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

السَّوَّاحُ الْخَزْرَوْصِي سالم بن غنَّان

حياته وشعره
(٨٩٥ - ٩٨١ هـ)

دراسة موضوعية وفنية

تأليف

راشد بن حمد بن هاشل الحسيني

المدرس المساعد بكلية التربية للمعلمين في نزوى

الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



..... الرقم
..... التاريخ
..... الموافق

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من يهمه الأمر

إن السيد راشد بن حمد بن هاشل الحسيني من القطر العماني الشقيق، كان أحد طلبتي في الدراسات العليا بقسم اللغة العربية وآدابها. وقد شاركت في مناقشة الرسالة التي قدمها استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير، بعنوان: "اللوائح الخروصي سالم بن غسان - حياته وشعره، بتاريخ (١١) رجب / ١٤١٥ هـ الموافق ١٤/١٢/١٩٩٤ م. ويسرني أن أوصي بنشر هذه الرسالة، التي أضفت جديداً إلى خزانة التراث العربي. وكان راشد كما عهدته، باحثاً جاداً إلى جانب ما حباه الله - سبحانه وتعالى - من خلق كريم وذكاء. وأرجو له دوام التقدم والنجاح.

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني
أستاذ شرف في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الأردنية

أصل هذا الكتاب بحث تقدم به الباحث لنيل درجة
الماجستير من الجامعة الأردنية، ونوقش في
١٤/١٢/١٩٩٤م، وكانت لجنة المناقشة مكونة من :

- ١ - الأستاذ الدكتور / عبدالجليل عبدالمهدي (رئيساً)
- ٢ - الأستاذ الدكتور / عبدالكريم خليفة (عضواً)
- ٣ - الأستاذ الدكتور / محمود إبراهيم (عضواً)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريض

لفضيلة الشيخ الأديب والقاضي الأريب عبدالله بن راشد السيابي

فهذا هو «اللَّوْحُ» نلت به الإطارا
ليلفتَ للأَنْظار مَمَّنْ له يقرأ
موثَّقةً في النقل قد جانبَت نُكْراً
عريق سما شأوا ونال بها فخرا
بحورُ الندى حازوا الثناء لهم ذكرا
موضحة فيها البيان لنا يترا
عباقرة النقاد إذ أحكموا الأمرا
به غرر الألفاظ تحسبها دُرّاً
تراها بهذا السُفر ميمونة غرّاً
أتيت به في شاعر قد علا قدراً
أبو حمزة في شعره إذ سَمَا فُكْراً
فحقاً ترى من دونها الأنجمُ الزُّهْراً
تراث الأولى الأخيار مدرّعاً صبرا
وتكسب فيما تبذلنه لك الأجر
حليفاً لنيل العلم ما ضيَّع العُمْرا
علوم تنير الدرب من يبتغ الأخرى
وأسعد أوقاتٍ بها تنفج البشرى
على المصطفى المبعوث من ربِّه تترى
لنهج لهم ما حادَ في سيره شَبْرا

أمكتبة الآداب زُفَّت لك البُشرى
ضعيه محلاً في الصدارة شامخاً
كتاب حكى عن نجل غسان سيرة
نمته خروص للمعالي بمختدٍ
هُم الأزد أهل العلم والحكم والتقى
كذاك تجد فيه دراسة شعره
فإن شئت أن تقرأ مكانته لدى
فقف في تأنٍ تلقَ شعراً منمّقاً
محاسنُهُ جاءت مفصّلةً كما
أبا حاتم أتقنت صنْعَكَ في الذي
وبينت ما قد ناله من مكانةٍ
رسالتك الغراء فيه عظيمةٌ
فسر في طريق البحث دوماً منقّباً
لتخدمَ للعلم الشريف وأهله
فإن الفتى إن يقض أيام دهره
سلامً على الدنيا إذا لم يكن بها
ودم يا أخا العلياء في خير عيشة
صلاة وتسليم بها ختم قولنا
وآلٍ وأصحاب ومَن كان تابعاً

«سمائل»

في ٢١ ربيع الأول ١٤١٧هـ - ٦/٨/١٩٩٦م

الإهداء

إلى والدي:

الذي جرع غصص الثكل ومرارة البعد على شيخوخته.

وإلى قُرّتي العين

حاتم وحفص

أهدي باكورة عملي وينعّ جهدي

الفهرس

الصفحة

الموضوع

- الإهداء

- المحتوى

١	- المقدمة
٥	- التمهيد
٥	- الحياة السياسية
١٠	- الحياة الاجتماعية
١٢	- الحياة العلمية
٢٠	الفصل الأول : السيرة
٢١	- اسم الشاعر ولقبه
٢٣	- نسبه وأسرته
٢٧	- نشأته
٣٧	- صفاته - ثقافته
٤٥	- علاقاته
٥٦	الفصل الثاني : شعره
٥٧	- الديوان
٧٦	- اتجاهات الشعر عند ابن اللواح
٧٧	أولاً : الاتجاه التقليدي
٧٧	- الرثاء
٩٩	- الفخر
١٠٤	- العتاب
١٠٦	- الغزل
١١١	- الوصف
١١٦	- الهجاء
١٢٠	الفصل الثالث : الاتجاه الإجتماعي
١٢٠	- الاخوانيات

١٢٩	- قضايا إجتماعية في شعر اللواح
١٣٦	- النصائح
١٤٠	- المواعظ والحكم
١٤٧	- الاتجاه الديني
١٤٧	- المديح الديني
١٤٧	- مدائح المولى جل جلاله
١٥٣	- مدائح ليلى الشريفة
١٦٤	- المدائح النبوية
١٧٣	- شهر رمضان في شعره
١٧٦	- المذهب الإباضي في شعره
١٨٥	- نظم مسائل شرعية
١٨٧	الفصل الرابع : الخصائص الفنية
١٨٨	- بناء القصيدة
١٩٧	- الأسلوب واللغة
٢٢٦	- المعارضات
٢٣١	- المسعطات
٢٣٣	- الصورة الشعرية
٢٤٤	- رسالة الشاعر إلى أهل المغرب
	- الخاتمة
	- قائمة المصادر والمراجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي فجر ينابيع الحكمة من قلوب العارفين، وقذف الشعر في ريع المرهفين، وجعل التجربة إحساسات تعثور في ذهن أولئك المبدعين، فتتمخض عنها بنات أفكار أولئك المتأدين، فيسبكونها سبك العفوية أو التأنيق، حتى تلقى في روع الجادين، فتتلقفها أرواح الصيارفة المتفحصين، لتشم منها عبق العاطفة في تألقها أو فتورها.

والصلاة والسلام على من قال: «إن من الشعر لحكمة» (١) وعلى آله وأصحابه الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن هذا بحث في الأدب العماني، علّه يبرز شيئاً من تراث عُمان الحضاري، لأن هذا التراث ظل رهيناً لم يكتب له أن يرى النور؛ فتعرف به حضارة عُمان وسالفها العريق.

فالأدب العماني بصفة عامة والشعر منه بصفة خاصة ما يزال حبيس عُمان، ولم يحظ بنصيب وافر من الدراسات الأكاديمية .

لذلك ارتأيت أن أساهم في الكشف عن هذا الأدب في هذا القطر من خلال دراسة سيرة/ سالم بن غسان اللواح الخروصي، ثم دراسة شعره.

فما كُتب من تلك الدراسات - حسب علمي - دراستان إحداهما في الأدب العماني الحديث، خصائصه واتجاهاته الفنية، والأخرى في شعر النبھاني سليمان بن سليمان.

ودراسة (الشعر العماني - اتجاهاته وخصائصه الفنية) تتسم في الأغلب بسمة التعميم. إذ اهتم الباحث في معظمها برصد الظواهر الغالبة والصفات العامة في أدب طائفة من الأدباء.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٧٣/٤، وابن ماجه في سننه ١٢٣٥/٢

وإن دراسة كل أديب على حدة دراسة شاملة، مرحلة يجب أن تسبق مرحلة رصد الخصائص الغالبة والصفات العامة في أدب أمة ما، كي لا تقتصر الدراسة على فئة من الأدباء دون فئة، وحتى تكون الدراسة التي تعنى برصد الظواهر العامة أكثر دقة، وأصح إحكاماً، وأكثر شمولاً. ومن الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع، أن سالم بن غسان اللواح عاش في فترة ضعف الحكم في عُمان فهو بين حكم الإمامة وبين حكم ملوك بني نبهان، وهي فترة جديدة بأن تدرس، علنا نجد في إنتاج الشاعر ما يكشف لنا عن جوانب من النشاط الفكري والأدبي في ذلك العصر.

أما المنهج الذي اتبعته في كتابة هذا البحث، فقد استفدت من ثلاثة مناهج هي المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي: فاستفدت من المنهج التاريخي في بيان الحقبة التاريخية التي عاش فيها الشاعر وفي تتبع الأحداث في ذلك العصر. واستفدت من المنهج التحليلي في تحليل النصوص ونقدها وبيان ما فيها من معان وقيم جمالية، في حين جاءت الاستفادة من المنهج الاستقرائي في استقراء تلك الحوادث التاريخية وما نتج عنها من انعكاسات على شعر الشاعر.

وقد أتمت البحث على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، فتحدثت في التمهيد عن الحياة السياسية في ظل الإمامة ثم في ظل حكومة بني نبهان، وتحدثت عن الحياة الاجتماعية ثم الحياة العلمية. وفي الفصل الأول: تحدثت عن سيرة الشاعر؛ اسمه ولقبه ونسبه وأسرته ونشأته، ثم صفاته وثقافته وأخيراً تحدثت عن علاقاته مع الآخرين.

وجرى الحديث في الفصل الثاني عن الديوان ومحتواه وما في التحقيق من ملاحظات وأغلاط. فنقدته وأبنت ملاحظاتي عليه، ثم تحدثت عن اتجاهات الشعر عند ابن اللواح. وفي الفصل الثالث: تحدثت عن الاتجاهات التقليدية وغير التقليدية، واستخرجت كل موضوع وخصائصه. أما في الفصل الرابع والأخير فقد تحدثت فيه عن الخصائص الفنية في شعره؛ عن بنية القصيدة عند الشاعر وعن الأسلوب واللغة في شعره وعن المعارضات والمسمطات والصورة الشعرية في شعره. أما عن المصادر والمراجع، فقد تعددت واختلفت؛ إذ رجعت إلى مصادر متعددة ومختلفة قديمها وحديثها مخطوطها ومطبوعها. فمن المصادر القديمة التي أفدت منها: كتاب الصحيفة القحطانية، لحמיד بن محمد بن رزق، أفدت منه في ضبط صحة اسم الشاعر، وأهمية شعره، حيث عدُّ شعر ابن اللواح مصدراً رُجع إليه في معرفة أئمة بني خروص، وفي فضل ابن اللواح

على غيره من شعراء عصره. وأفادتني الصحيفة بقصيدة كانت مفقودة، وجهها الشاعر إلى إباحية أهل المغرب، أفدت منها في دراستي على الرغم من صعوبة قراءتها من المخطوط، واستفدت من شرح البهلوي على هائية ابن اللواح: في ضبط اسم الشاعر. إذ كان صديقاً له فهو على علم باسمه ونسبه ولقبه، كما أعانني هذا الشرح في فك رموز المعاني المستغلقة لألفاظ القصيدة، واستفدت في مقابلة نص القصيدة بما جاء في الصحيفة القحطانية، حتى استقام النص بحمد الله.

وكان هذا الشرح بالخط المغربي، صعب القراءة مطموس الكلمات والأحرف، وأحياناً يشمل هذا الطمس فقرات وأسطرا.

وقد أفدت من القسم المخطوط من ديوان الشاعر في تتبع علاقات الشاعر مع أهل عصره، وفي كشف جزء كبير من شعره لم يكن منشوراً، أدخلته مع الدراسة.

واستعنت بالمعاجم اللغوية: كتاج العروس، ولسان العرب، والمخصص، وترتيب القاموس المحيط؛ في معرفة ألفاظ الشاعر وعباراته في قصائده.

واستفدت من تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة، لسرحان بن سعيد الزكوي، في تتبع التواريخ والأحداث في عصر الشاعر وفي ذكر أسماء بعض ملوك بني نبهان.

واستفدت من طبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني في تتبع بعض الأحداث، في ترجمة بعض الأعلام.

أما المراجع الحديثة فمنها: «إنحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان»، للشيخ سيف بن حمود البطاشي، وخصوصاً الجزء الثاني منه الذي صدر مؤخراً، فقد عرفنا الشيخ البطاشي شخصيات كنا نجهلها في عصر الشاعر، من علماء وفقهاء وأطباء وشعراء، كانت لهم علاقات صداقة مع ابن اللواح، فمنهم من كاتبهم بقصائد، وبادلهم التهاني، ومنهم من عاتبهم، ومنهم من رثاهم، مما جعل الباحث يجزم بوجود حركة علمية أدبية في العصر الذي عاش فيه ابن اللواح.

واستفدت من دليل أعلام عمان الذي ألفته هيئة من الأساتذة بإشراف جامعة السلطان قابوس في ترجمة الشخصيات التي احتجت إلى ترجمتها.

واستفدت من معجم النقد العربي القديم للدكتور أحمد مطلوب، في الكشف عن بعض المصطلحات النقدية. ومن «الصورة الفنية معياراً نقدياً» للدكتور عبد الإله الصائغ، في الكشف

عن ماهية الصورة وعن المنهجية في الكشف عن الصورة وكذلك من كتاب «الأسلوب» للدكتور أحمد الشايب في تباین الأغراض الشعرية عند الشاعر وماهية الأسلوب.
هذا والحمد لله أولاً وأخيراً على ما أسبغ عليّ من نعم، وعلى توفيقه تعالى لإتمام هذا

راشد بن حمد بن هاشل الحسيني

نَهْيِد الحياة السياسية

للحكم في عُمان في عصر الشاعر نظامان؛ نظام الإمامة، ونظام الملكية.
ظهرت الإمامة لأول مرة في عُمان سنة ١٣٢هـ، وقد بويع بها الإمام الجُلندي بن مسعود بن
جَيَّر بن جُلندي من بني الجُلندي من مَعُولَة بن شمس.
واستمرت الإمامة إلى أكثر من ألف ومئتي سنة، تخبو حيناً وتتألق أحياناً. وآخر إمام
عُقِدَ له الإمامة في عُمان سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م^(١)
وقد عاصر شاعرنا ابن المُلُوح من الأئمة الإمامين محمد بن اسماعيل الحاضري وولده الإمام
بركات بن محمد. إذ أن وفاة الإمام محمد بن اسماعيل الحاضري سنة ٩٤٢هـ، وبويع ابنه
بركات بالإمامة في اليوم الذي مات فيه أبوه^(٢).
ولابن اللواح قصيدة عاتب فيها الإمام بركات، سنتناولها بالدراسة في الفصل الثاني من
هذه الدراسة.

وفي عهد الأمام محمد بن اسماعيل «ظهرت فئة اتخذت من الربا وظلم الناس ديدناً لها،
فضرب على أيدي هؤلاء القوم بشدة، وأرجعهم إلى جادة الصواب»^(٣)؛ وذلك باجتماع أهل
العلم من المشايخ والفقهاء الذين هم القدوة في ذلك الزمان، ومنهم مداد بن عبدالله بن مداد
العقري النزوي، والفتية عبدالله بن محمد بن سليمان بن عمر النزوي، والقاضي أبو غسان بن
ورد بن أبي غسان البهلوي، وعمر بن زياد بن أحمد البهلوي، ومحمد بن أبي الحسن بن صالح
بن وضاح المنحي، للنظر في غلة بيع الخيار. فحكم الإمام - رحمه الله - ومن معه من العلماء
المذكورين والفقهاء المشهورين، بتحريم غلة بيع الخيار، وفساد البيع أيضاً^(٤).

وقد سجل الشاعر سالم بن غسان اللواح هذه الحادثة في ديوانه في موضعين؛ الأول في

(١) السالمي (محمد بن عبدالله) وناجي عساف، عُمان تاريخ... يتكلم. المطبعة العمومية دمشق- سورية
ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢) السالمي (عبدالله بن حميد) تحفة الأعيان. مطبعة الإمام بمصر ٢٧٠/١.

(٣) السالمي (محمد بن عبدالله) وناجي عساف، عُمان تاريخ... يتكلم. المطبعة العمومية دمشق- سورية
ص ١٥٢، ١٥٣.

(٤) ابن رزق - الصحيفة القحطانية مكتبة بودليانا أكسفورد. مخطوط تحت رقم: ٢٥٦١، S3، السالمي (تحفة الأعيان ٢٦٦/١)
والسيابي - عمان عبر التاريخ، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عُمان ١٩٨٦م، مطابع سجل العرب - القاهرة ط ٢.

قصيدة طويلة قوامها ثمانية وتسعون بيتاً، وجهها إلى أهل نزوى^(١) بحكم إنها: (٢)

قرارُ العلم والعلماء نَزْوِي وأهل الزُّهدِ نَادِيهَا حَوَاها

ومما قاله في هذه القصيدة: (٣)

لئنْ لم ترجعوا يا أَهْلَ نَزْوِي عن الحَالِ الذي فيكم أراها
لتَغْدُو كُلُّكم أَيْدِي سَبَاءٍ رَهائن بالنفوس لمن سَبَّأها

وكان خطابه لأهل نزوى خطاباً عنيفاً نابهاً من غيرته الوطنية والإسلامية على ذلك البلد الذي يطلق عليه بَيضة الاسلام، وعلى ولادة الأمر. يقول: (٤)

أراكم يا وَلادةِ الأَمْرِ فيها تُطِيعُونَ الأَرَاذِلَ مِنْ مَلَاهَا
أرى نَزْوِي بِكُمْ كَشَفْتَ هَنَاهَا وراقتْ من مُحَيَّاهَا حَيَاهَا

فهو يرى أن هذه البلدة - بولادة الأمر - قد كشفت عن خستها وسوءتها، وفي رأيه أن هذا الخطاب لا يجرؤ أن يوجهه شخص عادي إلى ولادة الأمر. إن لم يكن هو من أهل الفضل والتقى، وله مكانة مرموقة بينهم. وعندما يدون تلك الحادثة يقول: (٥)

ضَعِيفُ الحَيْلِ مَظْلُومٌ مُهَانٌ وذو الأُمُوالِ يَظْلُمُ ما عداها
وعِـالِمُكُمْ وزَاهِدُكُمْ مُدَارٍ وَسَيِّدُكُمْ يُدَاهِنُ أَدْنِيَاهَا
وَأَلْهَى الثَّالِثُ الضَّعْفَاءَ مِنْكُمْ مَعَامِلَةُ البُيُوعِ عَلَى رِيَاهَا

والموضع الثاني الذي سجل فيه أبو حمزة حادثة انتشار بيع الخيار وتفشي الريا قصيدته البائية التي مطلعها: (٦)

كُلُّ العَجَائِبِ فِي مَنْ فِيهِ إِعْجَابٌ بِنَفْسِهِ وَهُوَ خَدَّاعٌ وَكَذَّابٌ

(١) نَزْوِي: هي أعظم المراكز العُمانية في الداخل. وتقع في سفح الجبل الأخضر من الجنوب، بين جبال هي سورها في فضاء صالح ذات أنهار وبساتين ونخل باسقة أخرجت علماء أفاضل، (السيابي) سالم بن حمود (العنوان عن تاريخ عمان) ص ٦٤. بها القلعة المشهورة والجامع الكبير، وقد اهتمت بها الدولة الآن وبنيت بها سوقاً من أجمل الأسواق. وتبعد عن مسقط بحوالي ١٧٠ كيلومتر.

(٢) ديوان سالم بن غسان اللواح الخروصي. وزارة التراث القومي في سلطنة عمان ط ١، ١٩٨٩ م. مطابع دار جريدة عمان. رُوِي - سلطنة عُمان / ١ / ٣٩٠

(٣) المصدر السابق ٨٨/٢ (٤) نفسه ٨٩/٢ (٥) نفسه ٩٠/٢

(٦) ديوان سالم بن غسان اللواح. دار المخطوطات والوثائق في وزارة التراث القومي في سلطنة عمان الرقم العام ٣٤٦٩ الخاص ٩٦ ز (مخطوط) ص ١٧٢ وسائير إليه فيما بعد بـ (الديوان المخطوط).

وقد صور أهل زمانه بالوحوش الكاسرة والحيوانات المفترسة فقال: (١)

أَبْقَيْتَنِي لَزْمَانٍ أَهْلُهُ فَهُمْ أَبُو الْحُصَيْنِ وَرِيدَاءُ وَنَعْنَابُ
وَهُمْ قُهُودٌ فَلَا تَأْمَنُ مَخَاتِلَهُمْ وَهُمْ كِلَابٌ وَرَاعِيَهُمْ فِكْلَابُ
وَهُمْ ذُنَابٌ إِذَا رَامُوا مُحَاوَلَةً وَهُمْ ذَبَابٌ إِذَا خَافُوكَ ذَبَابُ

وفي اليوم الذي مات فيه الإمام محمد بن اسماعيل بويع فيه ابنه بركات بن محمد سنة ٩٤٢هـ. واختلف المسلمون عليه واقتتلوا فيما بينهم، مما أدى إلى ضعف الإمامة، وتوزعت السلطة بين أمراء محليين ضعاف.... ومن هؤلاء بنو نبهان وآل عمير وآل هلال.

وقد ظهرت قوة غريبة في المنطقة، غريبة في قيمها وأفكارها، وأطماعها... هؤلاء هم الغزاة البرتغاليون. (٢)

فأول ما جاء الأسطول البرتغالي إلى عُمان، رسا عند قلها^٣ (٣) وكانت يومئذ محطة لتموين السفن القادمة من الهند، ومحمية لمملكة هرمز^(٤).

وبعد دخولهم قلها، ذهبوا إلى قريات، «فقام البوكيرك بمهاجمة البلدة، إلا أن قريات قاومت مقاومة عنيفة، وإن كان البرتغاليون قد تمكنوا فيما بعد من فتح البلدة. وقد أمر البوكيرك بتدمير البلدة ونهبها، بالإضافة إلى حرق ١٤ مركباً راسية في الميناء»^(٥).

ثم توجهوا إلى مسقط فدمروها، وبعد تدميرها غادروها إلى صحار^(٦)، وكانت في ذلك الوقت حامية ضخمة يتطلب الدفاع عنها مالا يقل عن ألف شخص^(٧).

هذه هي أحداث ذلك العصر في عُمان من جهة الساحل، ولعل هذه الأحداث هي التي

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٤

(٢) السالمي - عُمان تاريخ يتكلم ص ١٥٣

(٣) قلها: أولى العواصم في الجاهلية لعُمان قبل غيرها، وذكر الشيخ السيابي أن الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبا نزل بها. وهي الآن تابعة لولاية صور. السيابي (سالم بن حمود) العنوان عن تاريخ عمان - من غير تاريخ ص ٥٣، ٥٤.

(٤) لفتنانت كولونيل - (تاريخ الخليج) ترجمة محمد أمين عبدالله. وزارة التراث القومي في سلطنة عمان ط ٣ ١٩٨٨م. مطبعة الألوان الحديثة ص ٦٦-٦٨. (٥) المرجع السابق ص ٦٨

(٦) صحار: الكورة الوحيدة والبلدة القديمة، تقع في الجهة الشمالية من عُمان. وهي خزانة الشرق في العهد القديم، السيابي (العنوان) ص ٥٣. ذكرها الحميري في الروض المعطار.

وهي اليوم عاصمة منطقة الباطنة وتبعد عن العاصمة مسقط بحوالي (٢٣٠) كيلومتر وقد اهتمت بها الدولة الان اهتماما بالغاً بتطويرها وتنظيم سوقها وشوارعها، بها القلعة التي تطل على البحر والجامع الكبير، وبها «بهجة الأنظار» مزرعة السلطان الخاصة.

(٧) لفتنانت كولونيل - تاريخ الخليج ص ٦٨.

يقصدها ابن اللواح بقوله: (١)

وإنَّ عُمانَ تَطْلُبُهَا جبابرةٌ فتَحَرَّها
وأحداثٌ تُقْلِبُها بمنقلبٍ لمنقلب
وكلُّ يطلبُ الظمعا ولو من مَطْمَعٍ لَمععا
ولو يُعطى لما قنععا بغير الروح والنشب

وعمان مقسمة من الداخل في أيدي الملوك والأمراء؛ فمظفر بن سلطان النبهاني المتوفى سنة ٩٧٦هـ كان في بهلى، وعمير بن حمير على سمائل (٢) وتوابعها، ومالك بن أبي العرب في الرُستاق (٣)، ومهنا بن محمد الهديفي كان على صُحار وتوابعها.

وكانت الحرب لا تزال قائمة بين الإخوة وأبناء العم، كل يطمع في السلطة ولو اضطره ذلك إلى طلب المدد من خارج عُمان، كما فعل الأمير عمير بن حمير عندما طلب النصر من ملك هرموز على أخيه سلطان بن حمير، ومحمد بن مهنا الهديفي، فأمدّه بعدة مراكب مملوءة بالمال والرجال وآلة الحرب. وكان ذلك في حوالي سنة ١٠٢٥هـ. (٤).

وقد مدح ابن اللواح ملوك بني نبهان، ونستدل على ذلك من قوله: (٥)

أهدي لِدَهْمَانَ الفصيح نصائح ولآلِ نبهانِ الملوك مدائح
فَرَجَائِي فيه يكونُ عين الصالح وبهم رَجَائِي أنالُ غايَ مصالح

وفي القصيدة نفسها يذكر ندى بني نبهان فيقول: (٥)

جاورِ بني نبهان واحلم شيمة عن هَجْوِ كُلِّ مخامرٍ ومواتع
فندی بني نبهان مُغنٍ سائرُ عن قُضْلِ غيرهمُ بهَجْوِ فاضح

(١) الديوان ٥٢/٢

(٢) سمائل: ذكرها الحميري في (الروض المعطار ص ٣٢٦) ولكن أخطأ في أسمها فقال: «سنابل». ولسمائل فضل على عمان بسبق الاسلام، فأول من أسلم من عُمان كان من سمائل وهو مازن بن غصوبة السعدي. ولا يزال بسمائل أدباء من أفصح العرب في كل جيل. ذكر الشيخ السيائي أنه ألف كتاباً سماه «زهر الخمائل في شعراء سمائل». السيائي- العنوان ص ٧٠-٧٢.

وهي الآن ولاية في عُمان، وتبعد عن العاصمة مسقط بحوالي ٩٥ كيلو متر.

(٣) الرُستاق: تقع على سفح الجبل الأخضر من الجانب الشمالي، وتسيطر على إقليم واسع به مياه وأشجار كثيرة ونخل. العنوان ص ٦٧-٧٠ وهي من مناطق الحجر الغربي وتعد إحدى ولايات السلطنة، وتبعد عن ساحل المصنعة بحوالي ٥٥ كم.

(٤) الأركوي. تاريخ عمان المقتبس من كشف النعمة سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ط ١٩٨٣م، ص ٩١.

(٦) نفسه ٥٧/٢

(٥) الديوان ٥٥/٢

ولكن الباحث لم يستدل على أسماء أولئك الملوك الذين امتدحهم ابن اللواح إلا أنه في موضع واحد من القصائد المخطوطة ورد ذكر مُظَفَّر، فيظن الباحث أنه المظفر بن سلطان بن محسن النبهاني الذي كان على بُهلى، ومات سنة ٩٧٦هـ. (١)

وقد جاء ذكره في ثنايا قصيدة وجهها لشاعر لولده حمزة. فقال في ذكر السلطان مظفر: (٢)

ولما نَزَلْنَا فِي حِمَاءِ مُظَفَّرٍ فَعَارَضْنَا مِنْ سَعْدِهِ السَّعْدِ سَانِحَا
أَحَالَ لَنَا الْأَجْدَادَ مِنْ سَعْدِ جِدِّهِ سَعُوداً وَقَدْ كَانَتْ نَحْوَساً ذَوَابِحَا
واستمر يذكر نوال السلطان المظفر وإكرامه من نفائس ماله، والشاعر يعرضه عن ذلك المال بنات أفكاره. التي خلدت ذكره، فمظفر هو خاتم الأجياد والكرماء، وابن اللواح خاتم الشعراء بالحمد والثناء - كما يقول: (٣)

فَلَا زَالَ يُولِينَا نَفَائِسَ مَالِهِ	وَنَوَلِيهِ عَنْهَا كَالْعَبِيرِ مَدَانِحَا
فَفِي قَلْبٍ مِنْ صَافَاهُ صَارَتْ صَحَائِفَا	وَفِي قَلْبٍ مِنْ عَادَاهُ صَارَتْ صَفَائِحَا
لَقَدْ خَتَمَ الْأَجْوَادَ طُرّاً وَإِنَّنِّي	خَتَمْتُ بِهِ مَنْ كَانَ بِالْحَمْدِ مَادِحَا
هَنِيئاً لِمَنْ أَمْسَى إِلَيْهِ مُسَابِحَا	وَأَصْبَحَ فِي النَّادِي لَدَيْهِ مُصَابِحَا
غَرَائِبَ مِنْ أَلْفَاظِهِ يَسْتَفِيدُهَا	وَيَقْتَادُ مِنْ حُسْنَاهُ شُرباً ضَوَائِحَا
بَقِيَ مَا بَقِيَ ثَهْلَانُ فِي الْعِزِّ رَاسِحَا	وَيَارَى بِهِ الْبَارِي بِذَا الدَّهْرِ صَالِحَا

(١) سرحان الأزكوي - تاريخ عُمان المقتبس من كشف الغمة ص ٨٣ - والمعولي - قصص وأخبار ص ٨٧

والبطاشي - الاتحاف ٤٠٢/١

(٢) الديوان (المخطوط) ١٢٩

(٣) المصدر نفسه ١٢٩ .

الحياة الاجتماعية والعلمية

الحياة الاجتماعية : سكان عُمان عرب مسلمون، وهم ينحدرون من قبيلتين عربيتين رئيسيتين، هما: قبيلة قحطان وقبيلة عدنان. و«عمان مستقلة في ذاتها عامرة بأهلها» (١) «وهي خصبة ذات أنهار وأشجار وساتين وحدائق، ونخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس» (٢)، ويفصل الحميري في وصف عُمان فيقول: بها مياه ونهر جار وسائر الفواكه، كالموز والرمان والتين والعنب، وهي فرضة الصين، وبها مرفأ الصين، وتحمل من سيراف الأمتعة إليها والحمولة، في قوارب، ثم توقر السفينة العظيمة حتى تلجج في البحر العظيم، فتسير بها الريح الطيبة مقدار أربعين يوماً إلى خمسين يوماً حتى تنتهي إلى مدينة تسمى الشحر (٣).

وطعام أهل عُمان الحنطة والشعير والأرز والأسماك، والأرز يجلب لعمان من الهند، وتتكون فئات المجتمع العُماني حسب طبيعة كل منطقة؛ فالمناطق الداخلية وسهل الباطنة تكثر فيه الزراعة؛ نظراً لوفرة المياه هناك، كما توجد بها بعض الصناعات^(٤)، أما المناطق الساحلية، ففيها صيد الأسماك والتجارة، وبعض الصناعات أيضاً كصناعة السفن في مدينة صور (٥).

ومن مدن عُمان المهمة نَزوى عاصمة الإمامة وبُهلَى (٦) وصحار وصور وقلهات، وقد وصف بعض هذه المدن الكتاب القدامى، فقال ابن بطوطة: «ومن مدن عُمان إزكي» (٦)، لم أدخلها، وهي - على ما ذكر لي - مدينة عظيمة، ومنها القريات وشبا وكَلْبَا وخَوْرقُكَّان وصُحَّار، وكلها ذات أنهار وحدائق وأشجار ونخل» (٧). وفصل الحميري في وصف صُحَّار فقال:

(١) الحميري، محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار. ط (٢) مكتبة لبنان - مطابع هيدلبرغ - بيروت - لبنان ١٩٨٤م ص ٤١٣.

(٢) ابن بطوطة. محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي - رحلة ابن بطوطة ط (١) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٩٨٧م ص ٢٨٤. (٣) الحميري - الروض المعطار ص ٤١٣.

(٤) صور: عاصمة المنطقة الشرقية الآن، تبعد عن العاصمة مسقط بحوالي (٣٣٧) كم تقريباً، وهي أعمر بلاد الساحل الشرقي من عمان، «ولأهل صور مهارة في الأسفار البحرية، وهم أهل علم بأحوال البحر، ولهم يد في صناعة السفن». السيابي. العنوان. ص ٥٦.

(٥) بُهلَى: من أهم بلاد الداخل وأغرقها في حسن السمائل، تقع في الجهة الغربية بعد مدينة نزوى بـ ٣٧ كيلو، وهي مدينة علم وكورة ملك، حيث جعلها ملوك بني نبهان عرش مملكتهم عهداً طويلاً، وأخرجت علماء أفاضل. (السيابي - العنوان ٦٦، ٧٧).

(٦) إزكي: مدينة قديمة من العمارات العريقة مجداً وسودداً، وهي من مدن عمان الداخل، وتقع بعد مدينة سمائل وقبل مدينة نزوى. بـ ٣٠ كيلو، اشتهر بها من فحول العلم عباهل أطواد، ولم تزل العلماء تخرج منها. ذكر الشيخ السيابي: أن أكثر علماء عمان من هذه الثلاث المواسم الكبرى، نزوى وبُهلَى، فإزكي. السيابي. العنوان. ص ٨٧ - ٨٩. وهي الآن ولاية من ولايات السلطنة.

(٧) ابن بطوطة. رحلة ابن بطوطة. ص ٢٨٥.

هي مدينة كبيرة بأرض عُمان، وهي قصبة عُمان، وعلى ساحل البحر، مقدارها فرسخ في فرسخ، ومياهاها من الآبار، وهي أقدم مدن عُمان وأكثرها أموالاً قديماً وحديثاً، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم، وإليها تجلب جميع بضائع اليمن ويتجهز منها بأنواع التجارات، وبها النخيل والموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار الطيبة، وكان بصُحار مجتمع للتجار، ومنها يتجهز لكل بلدة، وكذلك إلى بلاد الهند والصين^(١).

واشتهرت عُمان بمجموعة من الفنون الحضرية، كتشييد المنازل والقلاع والحصون، وبناء المراكب والسفن، وصناعة المنسوجات، والصناعات المعدنية، سواء من ذلك الصناعات الفضية أو النحاسية أو الحديدية، وكذلك بعض الصناعات الجلدية والصناعات السعفية.

ففي مجال صناعة الغزل والنسيج، اشتهرت عُمان بهذه الصناعة منذ ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وكانت تصدر إنتاجها. ومن الأقاليم التي كانت تصدر إليها المنسوجات العُمانية، الحجاز.

وكانت صُحار من أهم مراكز النسيج في عُمان، فاشتهرت منسوجاتها وانتشرت، وكانت تسمى الصحارية^(٢)، ومن صناعاتها الصوفية (بيوت الشعر) والمفارش التي يستخدمها البدوي، وبعض الألبسة مثل (المنسول) وبعض الفرش الذي يفرش على الدواب مثل (السَّيْح والخروج والبَّده والمحاوي)، إلى جانب أربطة الدواب، كالمحاقب والحُطَم والغُرَض والقلائد^(٣).

وعرفت عُمان بصناعة السفن منذ زمن بعيد، وكان العمانيون يتبعون في صنع سفنهم التقاليد السائدة في صناعاتها في المحيط الهندي، إذ كانت السفن في ذلك الوقت تخرز بالألياف وتشد ولا تسمر بمسامير الحديد.

أما الأخشاب المستخدمة فيها، فكانت الصاج والفيني والعيني والفسس، وكانت تلك الأخشاب تجلب إلى عمان من الهند، وبعض العُمانيين كانوا يذهبون إلى الهند ليصنعوا سفنهم فيها؛ نظراً لتوافر هذه الأخشاب هناك، وبعض سفنهم يصنعونها في عُمان^(٤).

أما صناعة الفضة، فتعدّ من أهم الصناعات التي تشتهر بها عُمان، ومن هذه الصناعات،

(١) الحميري، الروض المطار ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(٢) وزارة التراث القومي والثقافة. حصاد ندوة الدراسات العمانية سلطنة عمان. نوفمبر ١٩٨٠م ١٥٢/٤

(٣) نفسه ١٢٧/٤

(٤) حصاد ندوة الدراسات العُمانية ١١١/٤.

صناعة الخناجر والنصال والسيوف، وأدوات الحلبي كالقلائد الفضية والأساور والخلاخل التي تسمى (نطل)، والأقراط والخواتم وغيرها من الحلبي التي تتحلى بها المرأة العُمانية.

ومن تلك الصناعات، الأواني الفضية التي تتميز بزخارف مختلفة، كأباريق القهوة والمباخر ورشاشات ماء الورد، والمكاحل الفضية التي يحفظ فيها الكحل^(١).

الحياة العلمية:- إن الفترة «ما بين أوائل القرن التاسع إلى آخر القرن العاشر الهجريين تقريباً فترة عرفت بكثير من العلماء والفقهاء والشعراء، وظهر في أثنائها بيوتات كان أهلها معادن العلم والفضل والشرف، وتسلسل ذلك في ذرائعهم إلى أمد بعيد، فتوارثوا العلم كابراً عن كابر، وخلفاً عن سلف من آباء إلى أبناء وأحفاد، فكان منهم أئمة هدى وأساطين علم، وتصدّر للفتيا واشتغال بالتأليف»^(٢).

فمن هذه البيوت، بيت آل مفرج؛ ابتداء من أول القرن التاسع إلى آخر القرن العاشر، وبيت آل مداد، وآل بني عبد السلام، وآل المعدّ البهلويون، وآل الطبيب بن هاشم العيني الرستاقى وغيرهم^(٣).

وكان بعض ملوك تلك الفترة يقربون الأدباء والشعراء، فذكر ابن رزق أن الفلاح بن المحسن كان محباً للشعر والشعراء، مكرماً لمن مدحه، وقد مدحه موسى بن حسين بن شوال الحسيني بجملة قصائد، ومدحه غيره من أهل عصره، فأجازهم وأنعم عليهم^(٤).

ولأستطيع أن أستعرض علماء عصر ابن اللواح وشعراءه، فهم كثير، وقد جمع الشيخ سيف البطاشي لبعض علماء تلك الفترة مجلداً كاملاً، ظهر مطبوعاً في هذه الآونة، ولكنني أذكر بعضهم باختصار شديد، ومن شاء التوسع، فليرجع إلى كتاب الشيخ البطاشي؛ «أعيان الأعيان» الجزء الثاني.

فمن علماء ذلك العصر العلامة الفقيه والشاعر البليغ محمد بن مداد بن محمد بن مداد بن فضالة الناعبي، من علماء النصف الثاني من القرن التاسع، وله ديوان شعر، نقل منه الشيخ البطاشي قصائد متعددة في موضوعات مختلفة، فمنها قصائد في ذكر رجال المذهب الإباضي ومدحهم، ومنها في الرثاء، ومنها في صفات القُرس، ومنها في الحكم والنصائح والفخر بشعره، ومنها في مسيره إلى الحج وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، إلى غير ذلك.

(١) حصاد ندوة الدراسات العُمانية ١٥٩/٤ - ١٩٥.

(٢) البطاشي - سيف بن حمود - إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان - (ط ١) مطابع النهضة، روي سلطنة عمان ١٩٩٤م - ٢٩٩/٢.

(٣) نفسه: ٢٩٩/٢.

(٤) ابن رزق - الفتح المبين - وزارة التراث القومي والثقافة (ط ٢) ١٩٨٣م، ص ٢٥٠.

ونحن نقتطف أزهاراً من تلك الرياض، فما قاله في الغزل^(١).

وما ظبية من ظباء السرى	ترود وترعى به الأخرى
بأحسن منها ولا شادن	ترتب حنفاً له أهيما
تميل بفرع لها فاحم	تطل المداري به أسحما
وجه يشابه بدر السما	وكشح لطيف لها أهضما
يزين ترائبها عقدها	وثديان لم يعد أن أحجما
وتخطو ببردتي حابر	سقت المدافع من سيفما
وصدر رحيب وكف خضيب	ثحاكي قنوته العندما
وتبسسم عن برد ناصع	تزين ملاغمه المبسما
سقاء الرضاب سحيق الملاب	إلى ساعدين لها أفعمما
وردف عميم كدعص النقا	سقاء الحيا الجون إذ ديمما

وفي هذه المقطوعة وصف حسي لحاسن الفتاة والتغزل بها.

وفي افتخاره بقوافيه يقول: (٢)

أيا نعم رب كسرى ناعم	نفيت به العين أن تطعمما
ولاح عصيت على حُبكم	وليل جشمت له مجشما
وهم جعلت له الشُعريين	من سميراً لأجلك والمرزما
ورب قواف كمثل السهام	جعلت لها حُبكم سُلما

وله قصيدة بائية أكثر فيها استعمال الغريب في مفرداتها وتراكيبها، ابتدأها بوصف الطبيعة، ثم ملأها حكماً ونصائح وإرشادات، ثم افتخر بشعره فيها .

فمن نصائحه قوله (٣):

(١) البطاشي - إتحاف الأعيان ٢/ ٢٩.

(٢) نفسه ٢/ ٣٠.

(٣) نفسه ٢/ ٣٤.

ولا تَكُ نضاراً لعطفك ناسياً
ولا تَكُ مختالاً فخوراً مغالِباً
ولا تَكُ معطاءً البعيد تناله
كفعل نعام الدَّوَّ يتركُ هِيضَهُ
وإياكَ والسَّوءاتِ لا تَقْرِنَها
إلى أن قال:

وَكُنْ مُخْلِصاً لِلنَّاسِ مُرّاً وَمُرْسِلاً
وَأَغْضِ وَأَغْمِضْ وَافْتَقِدْ وَاعْفُ وَاعْتَقِدْ
قريباً بعيداً راغباً غيرَ راغبٍ
وجُدْ واقتصدْ واحلمْ ولُجْ وخاطبْ

ومن قصائده في مدح رجال المذهب الإباضي، قصيدة صعبة المركب، ركبها على قافية الياء المشددة، وجعلها إجابة عن سؤال فتاة حسناء، سألته مَنْ هو وما دينه. مطلعها: (١)

يا دارَ هندٍ جادِكِ الوسميُّ
وعندَ إجابته لها قال:
إِنَّا أَناسٌ مَجْدُنَا رَفْعِيُّ
ودِينُنَا أَنُورٌ مَحَبُّوبِيُّ
منا ابنُ وَهَبٍ ذاكِ راسِيبِيُّ
وابننا حُدَيْرٌ دِينُهُم سَوِيُّ
وجادِكِ الأَنْواءِ والوليُّ
ما نَعَبَ النَّاعِبَ ناعِيبِيُّ
آلُ الرُّحَـيْلِ كُلُّهُمْ وَفِيُّ
وابنُ إباضٍ الأَزْهَرُ السَّعْدِيُّ
وابننا حُدَيْرٌ دِينُهُم سَوِيُّ
وجابرُ بنُ زَيْدٍ الحَفْفيُّ

إلى أن قال وهو يذكر العلماء خاصة من أهل عُمان: (٢)

وقَدْ كَفَاكَ العِلْمَ مَخْلُديُّ
ثم الإمامُ العالِمُ العينيُّ
ومَجْدَةُ بنُ الفاضِلِ النخليُّ
والكَدَميُّ شَيْخُنَا الرضِيُّ
ثم ابنُ عيسى العالِمُ السَّريُّ
ومَثَلُهُ في الدينِ مَعْقَدِيُّ
مَحْمُودٌ وصِنْوُهُ عَلِيُّ
وتربُهُ في الحِكْمَةِ الوليُّ
نَصْرُهُ لهُ العِلْمُ بِسَيِّدِيُّ
والتَّحْسِينُ لَهُم قَرِيُّ

ومن علماء النصف الثاني من القرن التاسع الشيخ محمد بن موسى البهلوي، وهو شاعر وأديب، من آثاره الباقية مقصورة بليغة ورائية. يقول في المقصورة: (١)

لِكُلِّ شَيْءٍ جِدَّةٌ سِوَى الثَّنَا	مَوْصُولَةٌ مِنَ الزَّمَانِ بِالبَلَى
فَلَا تُرَقُّ مَاءَ الْحَيَا بِمَطْمَعٍ	فَإِنَّ مَاءَ الْوَجْهِ مِنْ مَاءِ الْحَيَا
فَالْحَرُّ أَوْفَى أَنْ يُصَانَ عَرِضُهُ	صَوْنًا عَلَى الْعَيْنَيْنِ مِنْ وَقَعِ الْقَذَا
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا شِيْمَةٍ	تَرْقَعَتْ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَخَنَا

ومطلع رائيته هو: (٢)

رَتَتْ بَعِينَ الرِّشَاءَ الْأَحْوَرِ	ذَاتُ الْجَبِينِ الْوَاضِحِ الْأَزْهَرِ
وَأَشْرَقَتْ كَالشَّمْسِ رَأْدَ الضُّحَى	بَنُورِ وَجْهِ ضَا حَكٍ مُسْتَفْرِ
وَأَقْبَلَتْ مَقْصُورَةً فِي الْخُطَا	تَجَرُّ أَذْيَالًا مِنَ الْعَبْتِ قَرِي
كَأَنَّمَا رَقَرَأَتْ مَاءً عَلَى	نَارٍ يَدَا فِي خَدَّهَا الْأَحْمَرِ

ومن علماء القرن العاشر من بيت آل عبد السلام، الشيخ الفقيه أبو الحسن بن عبد السلام ومنهم الشيخ الفقيه عبد السلام بن أبي الحسن بن عبد السلام من علماء النصف الثاني من القرن العاشر (٣)، والشيخ العالم الفقيه أبو عبدالله محمد بن سعيد بن محمد بن عبد السلام من علماء نخل، ومن مؤلفاته كتاب «سر الأحكام» ذكر الشيخ البطاشي أنه يوجد بمكتبة وزارة التراث القومي (٤).

وعندما توفي هذا العالم، رثاه شاعرنا المُلُوحِي بعينية غرام (٥).

ومنهم العالم الفقيه القاضي صالح بن أبي الحسن بن عبد السلام الرستاقِي، من علماء النصف الثاني من القرن العاشر، ولعله أخ للشيخ عبد السلام بن أبي الحسن السالف الذكر (٦)، وقد رثاه شاعرنا المُلُوحِي بقصيدة عينية مطلعها: (٧)

الرَّزْءُ أَعْظَمُ أَنْ تُرَاقَ دَمْعُ أَوْ أَنْ تُقَدَّ مِنَ الزَّفِيرِ ضُلُوعُ

أما بيت ابن هاشم الطبيب، فقد «تخرج منه علماء جمع بعضهم بين الفقه وعلم الطب، وكان لهم فيه مهارة فائقة وشهرة واسعة في معرفة الأمراض وعلاجها، فألفوا فيه الكتب المفيدة» (٨).

(١) الإتحاف ٢/ ١١٤. (٢) نقه ١١٦. (٣) نقه ١٢١ - ١٢٧. (٤) الإتحاف ٢/ ١٢٩.

(٥) تنظر القصيدة في ديوان اللوح ١٦٩/ ٢. (٦) الإتحاف ٢/ ١٣١. (٧) الديوان ٢/ ١٧٥.

(٨) الإتحاف ٢/ ١٥٥.

ومن أشهر أطباء بيت ابن هاشم، الطبيب الماهر الشيخ راشد بن عميرة بن ثاني بن خلف، وهو أعرف بقوانين الطب من عم أبيه راشد بن خلف وأطول باعاً وأغزر علماً، وأكثر مؤلفات، ومن مؤلفاته:

١- فاكهة ابن السبيل، طبعته وزارة التراث في جزأين.

٢- مختصر فاكهة ابن السبيل.

٣- منهاج المتعلمين.

٤- منظومة وشرحها في سن الإنسان من الطفولة إلى الهرم.

٥- منظومة في تشريح العين، وقد شرحها بنفسه.

٦- منظومة وشرحها في ذكر الأعضاء الرئيسية في جسد الإنسان.

٧- مقاصد الدليل وبرهان السبيل.

وله رسالة صغيرة في الكي بالنار ووشمه، وهيئة الآلة الحديدية التي يوسم بها موضع العلة من الجسد، يقول في مقدمتها: «اعلم أن الكي لا يكون إلا من علة تولدت من رطوبة مع حرارة، أو رطوبة مع برودة، وأما مع اليبس، فلا ينبغي ذلك أصلاً، لمقابلة النار اليبس، والنار حارة يابسة فتهلكه.

ولا يكون إلا لما كان من الأعراض التي لا تبرأ لتقادمها واستيلاتها عن الأعضاء، ولكونه في قعر الأعضاء وغورها، فاضطر المتطببون إلى التكلف لها والوصول إليها بالكي، وهو أبلغ أصناف العلاج وأنجع وأحسم للعرض القديم والحديث» (١).

ومما قاله في قصيدته الميمية في خلق العين وتشريحها والأمراض التي تصيبها وكيف يكون

علاجها قوله: (٢)

إني نظمتُ مقالاً في الذي شرعتُ	فيه الأطباءُ من علمٍ ومن حِكمٍ
مُبيناً فيه تشريحَ العُيونِ على	قولِ الأوائِلِ من لفظٍ ومن كِلمٍ
مُصرّحاً طبقاتِ العينِ إذ خُلقتُ	أعدادُها سَبْعُ ما في القولِ من وَصَمٍ

(١) الإتحاف ١٦٧/٢.

(٢) نفسه ١٧٨.

قال في الشرح «والطبقات هي طبقات العين، واحداً طبقة وعدد أطباق العين سبع طبقات. سوف نذكرها في الأبيات التالية»: (١)

ثُمَّ الرُّطوباتُ فِيهَا النُّورُ يَجْمَعُهُ مِنْهَا الْجَلِيدُ فَكَالسُلْطَانِ وَالْحَدَمُ

قال في الشرح: "لها ثلاث رطوبات، وهي الزجاجية والجليدية والبيضية، وقوله يجمعها منها الجليد، وهي الرطوبة الوسطى التي فيها النور، وسميت الجليدية؛ لأنها تشبه الجليد، ثم التي هي أسفلها فهي الزجاجية، هي تشبه الزجاج الذائب، ثم تليها الرطوبة البيضية، وهي شبيهة ببياض البيض الرقيق، وخلقت لتندي الرطوبة الجليدية لئلا يجفها الهواء". (٢)

ومن أصدقاء أبي حمزة، العالم الفقيه والشاعر البليغ عبدالله بن عمر بن زياد بن أحمد الشقصي، من علماء بهلى، له قصائد وأراجيز كثيرة في الأديان والأحكام. قال الشيخ البطاشي: لو جمعت تلك الأراجيز والقصائد لكانت مجلداً كبيراً.

والشيخ عبدالله البهلوي من بيت علم وفضل، فقد كان أخوه سعيد بن عمر ووالده عمر بن زياد وعمه سعيد بن زياد وجده زياد بن أحمد من رجال العلم في زمانهم، وهم من علماء القرن العاشر.

وقد عاصر الشيخ البهلوي من الأئمة، الإمام محمد بن إسماعيل، وكان على رأس المبايعين لولده بركات بن محمد بن إسماعيل بالأمامة سنة اثنتين وأربعين وتسعمئة.

ونمثل بقصيدة من قصائده قالها في أمر الاختلاف بين المسلمين في أيام الإمام علي - كرم الله وجهه - وفي مدح أصحاب المذهب الإباضي، مطلعها: (٣).

أَرَقْتُ لَطِيفَ حَالِ القَلْبِ لَمْ يَسِرْ وَأَسْعَرَ فِي جَسْمِي لَهيباً مِنَ الجَمْرِ
وَجَدَدَ تَبْرِيحاً وَعَيْلَ بِهِ صَبْرِي وَأَزْعَجَ حُزْناً فِي الحِشَا دَائِمَ الحَرِّ
فَبِتُ كُنُيباً وَاجِفَ القَلْبِ ذَا ضُرِّ

وما هو من فقد الحبيب الذي بانا لخنودٍ خروودٍ غَضَّةِ الجِسْمِ قَدْ كَانَا
مُنْعَمَةً هَيْفَاءَ فِي النُّومِ تَفْشَانَا تُرِيكَ سَنَا وَجْهِ كَبَدْرٍ إِذَا بَانَا

وَقَدْ أَسِيلَا مَاءً حُسْنٍ بِهِ يَجْرِي قَطُوفُ خُطَاهَا إِنْ مَشَتْ مِشْيَةَ المَهَا
تَيْسُ كَفَصْنِ البَانِ فِي الحَسَنِ وَالبَهَا

(١) الإتحاف ٢/ ١٦٧.

(٢) نفسه ١٧٨.

(٣) تنظر ترجمة هذا المَلَم في الإتحاف ٢/ ١٩٧ - ٢٣٠.

وترنو بعين الريم من أعين لها برهره خوذ تجدد دلهـ
خذ لجة الساقين خمسانه الخضر

فليس لها قد زال قلبي عن الكرى ولا ذكرتني للمنازل والقرى
نسيم الصبا أو جدت لي تذكرًا وقد صرت من بين البرية في الورى

حليف صباها وقد خانتني صبري
ولكن لدين الله إذ صار حبله دريساً عفت آثاره ثم سبله
وقد عز أهله وأهل جملة فصار ضعيفاً لا يعظم فضله
قلوب الورى مجته من باطن الصدر

وفي ذكر الصحابة وقتلى النهروان قال :

فكم من تقي أرحي مجاهد رضي وكى مخلص الدين عابد
قتيلاً ثوى في الحرب عند التجالد على طاعة الرحمن غير معاند
وكم من فتى حبر هناك ومن بر

والفان من قتلى التخيلة قد قالوا بقية أهل النهر للفضل قد نالوا
كرام عفاف صالحون وأبطال ولم يلهم في الله أهل ولا مال
شروا أنفساً لله بالثمن الوفر

هداة تقاة ليس في دينهم غمز زكيون أو أبون للعرف يهتزوا
مساغير في الهيجاء للدين قد عزوا فما فيهم رمز وما فيهم نبز
فأحلامهم أصفا من الوابل القطر

يبستون طول الليل لله يعبدوا ويتلون وحي الله إذ يتهمجدوا
ويدعون رب العرش لله وحدا قلوبهم طارت من الخوف ترعد

وكانوا قياماً ركعاً مدة العمر

وفي ذكر إباحية أهل المغرب قال :

نوالهم في الله حقاً وتقتدي بهم في أمور الناس يوماً ونهتدي
فهم خلفاء الله من بعد أحمد على الأمر بالمعروف في كل مقصد
فما فيهم شك وطعن لمن يزري

هداة تقاة ليس في دينهم زلل لقد صحبوا القول الصحيح مع العمل

وقد خالفوا في الله قولَ ذوي الجدَلِ بغيرِ مقالِ الحقِّ كلهم كملُ
عليهم سلامُ الله في الليلِ والفجرِ
وفي آخر القصيدة قال مفتخراً بها:
فدونكمُ غراء ذات العجائبِ مُعدّكة الأوزانِ من كل جانبِ
تميسُ كخودِ غضةٍ ذي ترائبِ تتيه بحُسنِ الحلي فوق الترائبِ
لها حُكْلٌ من سُندُسٍ ناعمٍ خضرِ
إذا ما شداها ماهرٌ في الملا حَلَّتْ لسامعها بالحبِّ في قلبه زَكَّتْ
يقول لشاديها أعدها فقد أَتَتْ بحُسنٍ معانٍ للكآبة قد حَلَّتْ
فَيَسْلُو بها الراوي ومستمعُ الشعرِ
تَنَحَّلْتُها من حُسنِ فكرٍ سَبَكْتُها ومن قالب البحر الطويل غرَفْتُها
وعارضْتُها بالنحو لما رويتُها وفي أصل دين المسلمين أختصرْتُها
لِيُفْهَمَ معناها وَيَدْرِي الذي يَدْرِي
ولكنها في قلبِ كُلِّ منافقٍ كَسَمُّ الأفاعي بين تلك الغواسِقِ
وفي حلقِ عاصي الله من كل فاسقٍ شجى وحميمٍ للشقيِّ المفارقِ
وصمَّتْ به الآذانُ من شدةِ الوقرِ

الفصل الأول السيرة

بسم الله الرحمن الرحيم الفصل الأول السيرة

اسمه ولقبه: هو سالم بن غسان بن محمد بن راشد بن محمد بن أبي غسان بن غسان الخروصي الشنوي الأزدي^(١).

ولا اختلاف في اسمه واسم أبيه، إنما الاختلاف في جده ومن بعده، فالشيخ البهلوي^(٢) ذكر نسبه كما ذكرناه سابقاً، وهو من أصدقائه ومعاصريه،

ووافق حميد بن محمد بن رزق في الصحيفة القحطانية البهلوي في هذا النسب^(٣)، إلا أن الدراسات المعاصرة^(٤) جعلت جده «راشد»، بدلاً من محمد بن راشد، وزاد مهناً بن خلفان الخروصي (في ترجمته للشاعر) على الجد، (راشد) بن علي بن عبدالله، وتبعه محقق الديوان في ذلك^(٥).

وإني أرجح أن يكون اسمه كما أثبتته سابقاً، لا كما جاء في الترجمة «وفي الديوان» للأسباب التالية:

١- إن الشيخ البهلوي كان معاصراً للشاعر وصديقاً له، وكانت القصيدة الهائية التي أرسلها الشاعر إلى أهل المغرب بخط يد الشيخ البهلوي، وقد بين الشاعر نفسه ذلك فقال: ^(٦)

كذاك كاتبها يهدي تحيته إليكم ما امتطى في البيد سافرها
عبدلإله ببهلى حل مسكنه نجلى الفتى عمر ما سار سائرها

فعبدلله بن عمر إذن هو دري بجد الشاعر ونسبه إذ بينه في شرحه لها.

٢- أن حميد بن محمد بن رزق مؤرخ ونسابة قديم، فيحتمل أن يكون قد اطلع على نسب الشاعر من شرح الهائية أو من مصادر أخرى لم تصل إلينا.

(١) حميد بن محمد بن رزق: الصحيفة القحطانية ٢ ورقة ٣٧٦، وعبدالله بن عمر بن زياد: شرح هائية الشاعر لأهل المغرب، ورقة ٤٤.

(٢) تحدث عنه في التمهيد ضمن الحياة العلمية.

(٣) حميد بن محمد بن رزق مؤرخ ونسابة من علماء القرن الثالث عشر الهجري، السعيد بدوي وغيره، دليل أعلام عمان ص ٥٣.

(٤) محمد بن راشد الخصيبي. شقائق النعمان. ج ١: ٤٥. والسعيد بدوي وغيره: دليل أعلام عمان ص ٧٧.

(٥) ديوان اللواح ج ١: ٥٢، ٥٣.

(٦) ابن رزق: الصحيفة القحطانية ٢ ورقة ص ٣٨١.

٣- أن المترجم للشاعر، وهو الشيخ مُهَنَّأ بن خَلْفَان الخُرُوصِيّ - وهو معاصر - اعتمد في ترجمته الكتابة على الأحجار بموضع (غاف البَقْرَةِ) ، وما كتبه علي بن أيوب في محراب مسجد الحَيْل في قرية العَلْيَا من وادي بني خروص وذلك لا يمكن أن يُعَدَّ مصدراً .

فالكتابة التي على الأحجار لا تكاد تقرأ، فقد أثرت فيها عوامل التعرية، كما أن الأحجار المكتوب عليها تَمُرُّ بها السيارة والمارة، فلا يصح أن تعد مصدراً يعتد به في نسب الشاعر إذ لا يمكن الثقة بها .

أما بالنسبة إلى ما كتبه علي بن أيوب الخروصي في محراب المسجد، فأمر يدعونا للتساؤل عن علي بن أيوب. من هو؟ هل هو مؤرخ؟ فإن كان كذلك - وكما ذكر مُهَنَّأ بن خلفان - وله كتب تاريخية؛ فإننا لم نطلع عليها، ولم يذكرها مؤرخو السير العمانية - في حدود اطلاعي - وإن كان مطلعاً على التاريخ، فإن حياة علي بن أيوب لا تعدو أن تكون في النصف الثاني من القرن الماضي (الرابع عشر الهجري)، إذ إن عُمُرَ مَسْجِدِ الحَيْل في قرية العَلْيَا لا يعدو خمسين سنة، وعليها يكون تاريخ علي بن أيوب أحدث وأقل دقة من تاريخ البُهْلُوي وابن رُزَيْق.

وقد بين الشاعر اسمه واسم أبيه في شعره وانتسابه إلى قبيلة بني خروص وهي من الأزد

فقال(١):

أنا العُماني واسمي سالم وأبي غسان والأزد هُم قومي وهُم عَصْبِي
ومن خروص إذا أنسبتني نسبي وأنت حسبي ومولاي ومنتخبني

وهناك أيضاً اختلاف في لقبه باختلاف الروايات التي اطلعت عليها؛ فمعاصره الشيخ البُهْلُوي وابن رُزَيْق يرويان لقبه «الملُّوحِي»، وفي الشقائق والإسعاف «اللواحي»، وفي دليل أعلام عمان والديوان، أثبت «اللواح».

فنحن الآن أمام ثلاث روايات، فلو نظرنا إلى الرواية الثانية وهي «اللواحي» بإثبات الياء بعد الحاء، لم نجد لها عند البُهْلُوي وابن رزيق، ولم يثبتها الشاعر في شعره، بل أثبت الأولى «الملُّوحِي» والثالثة (اللواح) فقال عندما كان يناجي ربه(٢):

فياربَّ عَفْوَاً للملُّوح وابنه وإن لم يكن عَفْوَاً فبنس الملُّوحُ

(١) ديوان اللواح ج ١: ٥٢ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٨٠ .

(٣) الديوان ٦٦: ٢ .

وقال في رسالته التي أرسلها مع مُبارك بن غريب وَخِنْجَر بن غريب للنبي صلى الله عليه وسلم (١)

وقولا له اللّواح عبدك سالم
لكم طالب من سُحْبِ نَعْمَاك وَبَلْهَا
فعلى أغلب الظن أن يكون لقبه «المُلوحي» أو «الملوح» و «اللواح» حسبما أثبتته بنفسه،
وكما دونه لنا معاصره البهلوي.

نسبه وأسرته : «وينو لواح ينتسبون إلى بني خروص، فهم فرقة منهم» (٢) ولقبوا ببني
لواح لأن جدّ هذه الأسرة كان يعمل ألواحاً من الرخام الأسود الموجود بموضع «صَلَف العَلَامَة»
شمالي قرية سِتَال (٣) وكان ينحتها حتى تكون صالحة للكتابة بالرخام الأبيض الذي يكثر في
شعاب الجبل الأخضر، وخاصة بقرية الهَجَار (٤)، ثم يبيع هذه الألواح لطلاب مدارس تحفيظ
القرآن؛ ليكتبوا عليها حروف التهجي في الدروس الأولى (٥).

أما نسبته إلى بني خروص فصحيحة باتفاق، وهو يصرح في أشعاره، ويفتخر بأئمة بني
خروص وعلمائهم.

وأما من هم بنو خروص؟ فأولئك من صميم الأزد كما ورد في شعره في الصفحة السابقة،
من اليحمد، قال ابن الكلبي: «وَلَدَ نصرُ بن زهران: عثمان، ودهمان، ووَلَدَ عثمان بن نصر:
عبدالله، وهو حُمَيّ» ووَلَدَ حُمَيّ بن عثمان: اليحمد، ووَلَدَ اليحمد بن حُمَيّ، الشُّرَيّ،
وماجداً» (٦).

وفي الاشتقاق: «اليحمد بن حُمَيّ بن عبدالله بن نصر بن زهران.

ومن بطون اليحمد: المُجَدّ، وهم بنو ماجد، والشُّرَيّ وهم بنو شاري» (٧)

وفي الفتح المبين: «خروص بن شاري بن يحمد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زهران بن

(١) الديوان : ١٨٩/١

(٢) الشقائق ١: ٤٥.

(٣) سِتَال: قرية في وادي بني خروص، وتبع الآن ولاية العَوَامي من الحجر الغربي، وإليها يُنسب الشاعر أبو
بكر أحمد بن سعيد الخروصي (الستالي). وزارة الداخلية - المرشد العام للولايات والقبائل في سلطنة
عمان - مسقط، سلطنة عمان. ص ٢٤٣.

(٤) الهَجَار: قرية في وادي بني خروص، تتبع الآن ولاية العَوَامي. من الحجر الغربي. وهي بلدة الإمام
الوَارث بن كعب الخروصي. المرجع السابق ص ٣١١.

(٥) الديوان ١: ٥٢.

(٦) هشام بن محمد بن السائب الكلبي - نسب معد واليمن الكبير ج ٢: ٢٩٧.

(٧) ابن دريد - الاشتقاق: ٥٠٦.

(٨) حميد بن محمد بن رزيق - الفتح المبين - ص ١٧٩.

كعب بن حارث بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت «(١)»
وبنو خروص لهم بيت الإمامة في عمان، «وبيت العلم والعمل وأهل الفضل والشرف الديني،
ومنهم الأئمة الأمجاد والعلماء الفطاحل» «(٢)».

قال شاعر العرب أبو مسلم «(٣)»

وأبن قوأم أمر الناس قادتهم بنو خروص حماة الدين مذ كانوا
لا يُنكرُ الناسُ ما للقوم من قَدَمٍ وكيف يلحق عينَ الشمس نُكرانُ
أحسابهم ومعاليهم ودينهم كسواكبٍ وهداياً وإتقانُ

«وهم أبسَرُ قبيلة يتفق العمانيون على إمامتهم منها، إذ لا يخشى أهلُ عمان منهم تسلطاً
على الملك» «(٤)». ولهم النصيب الأوفر في الأئمة، إذ نُصِّبَ منهم ثلاثة وعشرون إماماً «(٥)».

ومن أئمتهم البارزين، الإمام، الوارث بن كعب الخروصي «(٦)»، والإمام الصلت بن مالك
الخروصي «(٧)»، ومن علمائهم الفطاحل، جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي «(٨)»، ومن شعرائهم
اللسنين، أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي «(٩)»، شاعر النباهنة الأوائل، وشاعرنا الملوحي، وسعيد
بن محمد بن راشد الغشمري «(١٠)».

(١) حميد بن رزق - الفتح المبين - ص ١٧٩.

(٢) سالم بن حمود السيابي - إسعاف الأعيان - ص ١١١.

(٣) ناصر بن سالم بن هديم الرواحي، كنيته أبو مسلم (١٨٥٦-١٩٢٠م) عالم، قاض، شاعر، وكُد في
وادي مَحْرَم، ونشأ نشأة علمية، من مؤلفاته: ديوانه، نثار الجواهر. دليل أعلام عمان: ١٥٩، ١٦٠.

(٤) سالم بن حمود السيابي - إسعاف الأعيان - ص ١١١.

(٥) محمد بن عبدالله السالمي، نهضة الأعيان، ص ٦٨.

(٦) الوارث بن كَعْب الخروصي: (.../١٩٢هـ) أول إمام عُمان من قبيلة بني خروص، تولى الإمامة سنة
١٧٦هـ، ومدة إمامته اثنا عشرة سنة وستة أشهر، وفي زمنه، أرسل هارون الرشيد عيسى بن جعفر في
سنة آلاف فارس، فأخرج له الوارث قائد فارس بن محمد ومعه جيش كبير، فانهزم عيسى وأسر،
وأسك الوارث من قتله وتركه في السجن. (دليل أعلام عمان ص ١٦٩).

(٧) الصلت بن مالك الخروصي: (.../٢٧٥هـ) إمام عقدت له الإمامة سنة ٢٣٧هـ. عُمر في الإمامة
طويلاً، وفي أيامه نقض الأحباش عهدهم، فهاجموا جزيرة سَقَطْرَى وقتلوا واليها، وكثيراً من أهلها،
فسير الإمام إليهم جيشاً في مائة مركب فاقبلها وهزم محتليها، وفي عهده، كثر العلماء وازدهر العلم.
(دليل أعلام عمان ص ٩٦).

(٨) جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي: المكنى أبا نبهان: (١١٤٧هـ - ١٢٣٧هـ) شيخ فقيه من كبار
العلماء من قرية (العليا) من وادي بني خروص، كان عالماً وشاعراً، لقب في عمان بالشيخ الرئيس،
تصانيفه كثيرة منها (تفسير لفاتحة الكتاب) و (كتاب الدقاق في دق أعتاق أهل النفاق). ولشعره عصره
في منبهه جملة قصائد طنانة، ومجموعها يسمى (فلائد المرجان في مدح أبي نبهان). (دليل أعلام عمان
ص ٤٥)

(٩) أحمد بن سعيد الستالي المكنى أبا بكر: من شعراء القرن السادس الهجري، يعرف شاعر النباهنة،
وينسب إلى بلدته ستال في وادي بني خروص، له ديوان شعر مطبوع. (دليل أعلام عمان ص ٢٨).

(١٠) سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخروصي: شيخ شاعر من أهل الرستاق، عاش في القرن الثاني
عشر، قرض الشعر وأبدع فيه، له ديوان مطبوع. (دليل أعلام عمان ص ٨١)

والمَلُوحِي يفتخر بأنه خروصي، وأن خروص من أزد شنوة، وأنهم منذ الجاهلية كانوا ملوكاً، فلما جاء الاسلام ازداد فخرهم(١):

من القوم الكرام بني خروص وأزدِ شنوة فــــهم ذُراها
لنا البيت المقدسُ في زهيرٍ إذا ما شاعَ في قومِ خُناها
ملوكُ الجــــاهليةِ أولونا وفي الإسلام مَفخرُنا تناهى
فَنَحْنُ ولاةُ سِرِّ الســــلْكِ أُمستْ وأخِرُنا تُورثُها أولاهـا

ويفتخر بأولئك الأئمة العدول الذين ساد عدلهم عمان وخارجها لما حكموا عمان، وتوسعت مملكتهم خارجها، وبأولئك العلماء والقضاة الذين كانت ترجع إليهم الفتوى في عصرهم، وأنه أصيل منهم وليس ممن يدعي الأصالة(٢):

أئمةٌ عدلٍ أيدَ اللهَ فـعلهم بهم ظهر الاسلامُ واعتزَّ شاربه
ذُابة هودٍ فــــرعُ أزدِ شنوةٍ لهم كاهلُ المجدِ الأثيلِ وغاريه
وإني منهمُ مثلُ إنسانٍ مُقلِّدٍ وما الليثُ إلا من ليوثٍ مناجبه

وأما من ناحية أسرته، فلم يحدثنا التاريخ عنها؛ كأبيه وأمه وإخوته وزوجته وأخواله وعمومته وأبنائهم، فعمدت إلى ديوان شعره، إلا أنه لم يشف الغُلة، فلم يذكر شيئاً عن أبيه وإخوته وأخواله وعمومته، وإنما ذكر مرثيتين لأمه وواحدة لزوجته ولم يتبين لي اسمها، بل تبين اسم أبيها، وهو أحمد بن موسى بن مسلم، ولم يذكر كل أبنائه منها، بل ذكر منهم غربياً وحمة، فقال(٣):

وإن نظرتُ عيني غربياً وحمةً وإخوتهم حــــولي وهم يتوجّدوا
يقولون لي: قلْ مَنْ لنا بعدَ أمنا ومن غيرُها نأوي إليها ونقصدُ

وقد ذكر حمزة في مواضع متعددة، منها قوله(٤):

أَحْمَزَةُ نَسْلي أنا الليثُ شـب لي لعلك مثلي لن ترعظا

(١) الديوان ٨٦/٢.

(٢) الديوان (المخطوط): ١٧٩.

(٣) الديوان ١٤٥/٢.

(٤) الديوان (المخطوط): ١٢٨.

الترغيط: التقدير والتعجيل . خبذ . (الطاهر أحمد الزاوي . ترتيب القاموس المحيط ٣٥٦/٢).

وكنيته أبو الأشبال أو أبو الشبل^(١):

ألا مبلغٌ مني أبا الشبلِ حمزةً
نصائحَ لا تلتقى بهنَّ نصائحا
وأغلب الظن أن حمزة قد أقام عند السلطان المظفر بن سلطان النبهاني^(٢) في بهلى لطلب العلم^(٣):

أبا الشبلِ خذْ حظاً من العلم والنهى
تعشْ في حِمى المولى لعلَّكَ ناجحاً
وحمزة هذا كان كثيراً ما يعتمد عليه أبوه في مهماته الكبرى، وقد كتب حمزة بيتاً من الشعر في كثير من أحجار الجبال المحيطة بقرية ستال، هو^(٤):

صَبَرْنَا عَلَيْهِمْ فَاتَّقِضْنَا بِشَارِنَا
وَنَصْبِرُ أَيْضاً لِلْجَمِيعِ وَنَقْتَضِي
وللشاعر من الأولاد أيضاً درويش وكنيته أبو الخرصين، وكأنه من أدباء عصره^(٥):

لئن هَكَتِ الورقَا هَدِيلاً فَإِنِّي
لأبكي أبا الخرصين لا أَتَقَنَّدُ
فما بعدَ درويش الأديب بن سالمٍ
سَلُّوْا عنه عَزْزاً وَتَجَلَّدُ
وإضافة إلى كونه أديباً ذكّرَ فطنته ونباهته ومعرفته بالفقه والتوحيد وحفظه للأحاديث النبوية الشريفة، وهو في سنٍّ مبكرة^(٦):

لقد عَرَفَ التوحيد وهو ابنُ ثُدِيهِ
رِضَاعاً وَهَلْ أُمَثَالُ هذا يُوَحِّدُ
وَيُسَنِّدُ أَخْبَاراً صِحَاحاً وَأَيْنَ مَنْ
كَأُمَثَالِهِ فِي سِنِّهِ وَهُوَ يُسَنِّدُ
نَبَاهَتُهُ كَانَتْ بَعِيسَى بن مريم
وقد قال هُزِّي الجِدْعَ سَاعَةً يُولَدُ

وإن كان في وصفه لابنه مبالغة، فقد أجاب هو بنفسه على نفسه (وهل أمثال هذا يوحد). ومن أولاده أيضاً، أحمد؛ الذي قتله ابن عمه ظملاً وجوراً، وقد أرخ الشاعر لمقتله بقوله^(٧):

بالْجُمُعَةِ الزَّهْرَا وسَادِسَ عَشْرَةٍ
من ذي جمادى الآخر المنسابُ
من عام تسع مئتين يحدو خَلْفَهَا
عَدُّ الثَّمَانِينَ الحِسَابِ حِسَابُ

أي في يوم الجمعة السادس عشر من شهر جمادى الآخرة من سنة ٩٨٠ هـ.

(١) الديوان (المخطوط): ١٢٢.

(٢) السلطان المظفر بن سلطان بن محسن بن سليمان النبهاني. من ملوك النباهنة المتأخرين. كان ملكاً على بهلى. مات سنة ٩٧٦ هـ.

(٣) الديوان (المخطوط: ١٢٩).

(٤) الديوان ٥١/١.

(٥) نفسه ١٠٦/٢.

(٦) نفسه ١٣٧/٢.

(٧) نفسه ١٣٧/٢.

نشأته: وقد وُلد شاعرنا المُلَوَّحِي في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وقد حدد كاتب ترجمته مُهَنَّأ بن خَلْفَانَ الحَرُوصِي سنة مولده بعام ٨٦٢هـ، وحدد سنة وفاته بعام ٩٢٠هـ، فيكون قد عاش على هذا التحديد ٥٨ سنة.

وفي موضع آخر حدده الكاتب بقول : «ولد في أواخر القرن التاسع الهجري، وامتدت به الحياة السعيدة إلى أواخر القرن العاشر»^(١) فتكون سنُّه قد تجاوزت مئة عام، وفي هذا نظراً!!!

فقد حاولت أن أجد قرائن أستدل بها عن حياة هذا الشاعر من معاصرتِه للشخصيات التي ارتبط معها بعلاقات صداقة، إذ إن هذه الفترة التي عاش فيها شاعرنا من الفترات المجهولة تماماً، ولذلك، يقول الشيخ سيف بن حمود البطاشي في الإتحاف: إن من يحاول دراسة هذه الفترة في عصرنا الحالي - أي فترة النباهنة - سيرتقي مرتقى صعباً^(٢)، فلم أهتمد إلى مصادر أخرى تحدد سنة مولده وسنة وفاته.

وإن أغلب الشخصيات التي ذكرها الشاعر في ديوانه مجهولة التاريخ في ميلادها ووفاتها، إلا أن بعض هؤلاء الأعلام - من مجربات التاريخ وحوادث السير - يستدل أنها عاشت في منتصف القرن العاشر الهجري، فمثلاً نجد قصيدة في الديوان عاتب الشاعر فيها الإمام بركات بن محمد بن إسماعيل في بعض الولاة، ومعروف لدى التاريخ العماني، أن الإمام بركات قد بويع على الإمامة في اليوم الذي مات فيه أبوه الإمام محمد بن إسماعيل؛ أي في سنة ٩٤٢هـ، ومن بايعه الشيخ القاضي عبدُالله بن عُمَرَ بن زياد الشقصي^(٣).

والشيخ العلامة الفقيه أحمد بن مُدَاد النَّاعِبِي من المعارضين للإمامين محمد بن إسماعيل وابنه بركات، وله فيهما حديث طويل، تبرأ فيه من الإمامين، لارتكابهما أحداثاً توجب البراءة منهما^(٤).

وعندما توفي هذا العلامة، رثاه ابن اللواح، ولكني لم أجد تاريخاً لوفاة هذا العلامة ولا لمولده.

وارتبط الشاعر بعلاقات مع غريب بن مُحمد السمانلي وأولاده ومع ملوك بني صلت

(١) مُهَنَّأ بن خَلْفَانَ الحَرُوصِي: اللواح كما صورته المصادر التاريخية، فعاليات المتدى الأدبي يونيو/ ٩١ ص ٢١٦.

(٢) سيف بن حمود البطاشي. إتحاف الأعيان ١/ ٣٩٣.

(٣) ينظر في ذلك: عبد الله بن حُميد السالمي. تحفة الأعيان ١/ ٣٨٦.

(٤) تنظر هذه السيرة في: سرحان بن سعيد الأزكوي، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق عبد المجيد حبيب القيسي. ص ٧٥-٨١.

كالسلطان أبي مالك؛ أبي العرب بن أبي العرب بن صلت، وولده السلطان محمد بن أبي العرب، لكنني لم أجد لهذه العلاقات تاريخاً، إلا أن بني صلت كانوا يحكمون الرُّسْتاقَ ونَخْلَ في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، كما كانت له علاقة مع السلطان المظفر بن سلطان بن محسن النبهاني، وقد مات هذا السلطان سنة ٩٧٦هـ^(١).

ثم إن هناك ثلاث قرائن تَبَّهَ عليها محقق الديوان: (٢)

الأولى: أَنَّ الشاعر قد رثى ابنه أحمد وأرخ لوفاته بسنة (٩٨٠هـ) (٣).

الثانية: أرخ لوفاة أبي سبت بن أحمد المنذري بسنة (٩٨١هـ) (٤).

الثالثة: أَنَّ الشاعر قد عاش اقتران قرنين. يقول (٥):

بَدَّهْرٍ عِشْتُ بَعْدَهُمْ غَرِيباً أَخْبَرُ عَنْهُمْ غَيْلان طيِّباً
وَمِنْ بَكْ عَاشَ مِنْ قَرْنٍ لِقَرْنٍ تَنَكَّرَ مِنْهُمْ طَبْعاً وَزِيّاً

وهناك قرائن أخرى تبين أن الشاعر قد تجاوز الستين عاماً ووصل السبعين، يدل على ذلك قوله (٦):

إِذَا كَانَتْ السُّتُونُ عَاماً تَصَرَّمَتْ بَعُمَرِي وَذِي السَّبْعُونِ يَحْدُو بِهَا الْحَادِي

وفي قصيدته الهائية التي كتبها لأهل المغرب وذكر فيها علماءهم، وعبادهم، فأولئك الأعلام ينتمون إلى الخمسين الثانية من المئة العاشرة للهجرة، كما يقول الشيخ سالم بن يعقوب، من مشايخ أهل تونس، وهذه القصيدة قد شرحها الشيخ القاضي عبدالله بن عمر بن زياد الشَّقْصِيّ، وهو من بايع الإمام بركات بن محمد الحُرُوصِي بالإمامة سنة ٩٤٢هـ. وبقي على قيد الحياة حتى شهر المحرم من سنة ٩٦٣هـ، إذ إنني وجدت خطأ يد الشيخ الشَّقْصِي على كتاب التقييد للعلامة محمد بن عبدالله بن بركة، وقد نسخه بيده، وأرخ تاريخ فراغه بسنة ٩٦٣هـ.

وصفوة القول أَنَّ أحداث حياة شاعرنا - في الغالب - لم يكن شئ منها في القرن التاسع، وإنما كانت في العقد الخامس من القرن العاشر، ولعله لم يولد سنة (٨٦٢هـ)، فلو ولد في هذا التاريخ، لسجل لنا شيئاً من الأحداث ما بين ٨٨٣-٩٠٠هـ. ففي هذه الفترة، يكون قد بلغ

(١) البطاشي. الانتحاف ٧٦/٢.

(٢) الديوان ٨/٢.

(٣) المصدر نفسه ١٠٦/٢.

(٤) المصدر نفسه ١٢٢/٢.

(٥) المصدر نفسه ٢٨٤/٢.

(٦) المصدر نفسه ٣٠٨/١.

مرحلة من النضج - لو ولد سنة ٨٦٢هـ لكان يستطيع أن يسجل فيها أحداث عصره التي من أبرزها - في إمامة عمر بن الخطاب الخروصي - حكمه على تغريق أموال بني نبهان التي اغتصبوها ظلماً وجوراً، وتوزيعها على من عند الإمام من الشراة^(١).

ولم أجد تسجيلاً لهذه الحادثة في الديوان، ولا ارتبط الشاعر بعلاقات مع شخصيات تلك الفترة من سنة ٨٨٣ - ٩٠٠هـ.

ولو قدرنا ولادته بسنة (٨٩٥هـ) لربما كان ذلك أقرب، لكونه عاش من قرن لقرن، ولكونه قد تجاوز الستين والسبعين، ورثى ولده أحمد، وأبا سيت بن أحمد المنذري.

وقد وُلد أبو حمزة بقرية «ثُقب» (بشاء مثلثة مفتوحة وقاف ساكنة وباء موحدة)، وهي قرية صغيرة في وادي بني خروص على سفح الجبل الأخضر، لا تتجاوز مساحتها ٢ كيلو متر مربع.

وقد أكد الشاعر نفسه هذا فقال : «وُلِدْتُ بدارِ حَيِّ بني خروص»^(٢) وقد نشأ في ثقب وتعلم القرآن الكريم بقرية الهَجَار من وادي بني خروص^(٣) وبعد أن ختم القرآن الكريم، ذهب إلى العَوَابي ثم إلى نَحْل ليتعلم النحو والصرف وجزءاً من الفقه مع المبتدئين، فقد قال : «وقطعت التمانم عند سوني»^(٤) وقد تعلق قلبه ببلدة نَحْل، فهو يقول^(٥):

فَجِئْني مُقيماً في ديارِ شِنومة غريباً وأوطانُ الفُؤادِ فني نَحْلِ

لأن تعليمه المبكر كان في نَحْل حيث قطع فيها سلك تمانم^(٦)

هي الدارُ قد قَطَعْتُ سِلْكَ تمانمي بها وبها جُمَعْتُ مُفْتَرَقاً شَملي

وربما ذهب بعد ذلك إلى الرُستاق؛ لأخذ نصيبه التعليمي منها^(٧):

دارُ خَلَعْتُ بها عَقودَ تمانمي وِبرَوْضِها أهُمَلْتُ تركَ جلابي

وخلَعْتُ أَرسانَ الصُّبَا بملاعب مِنْها فَلَمْ تُقَفِّرْ رِسمُ مِلاعبي

ولعله بعد أن أخذ قسطاً من التعليم في بلدة الرستاق قد هاجر منها إلى بلدة بُهلي، وعاش

(١) ينظر سرحان الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس ٧٢، السالي، التحفة ٣٧١/٢.

(٢) الديوان ٣٨١/١.

(٣) نفسه ٤٧/١.

(٤) المصدر نفسه ٣٨١/١.

سوني: الاسم القديم لبلدة الموابي الحالية. سالم بن حمود السايي. إسعاف الأعيان ص ١١١.

(٥) الديوان (المخطوط): ١١٨.

(٦) المصدر نفسه: ١١٨.

(٧) الديوان (المخطوط): ١٦١.

فيها جزءاً من حياته الأولى إذ قال: (١)

دارُ قائمٍ سَنِي قَدْ خَلَعْتُ بِهَا كَمَا خَلَعْتُ بِمِيدَانِ الْهَوَى عُدْرِي
وَكَمْ قَضَيْتُ بِهَا عَصْرَ الصَّبَا وَطَرَا أَرْعَيْتُ فِي زَمَنِ نَاهِيكَ مِنْ وَطَرِ

« ثمَّ رحل إلى «نَزْوَى» لمواصلة تعليمه عند أرباب العلم وشيوخ الفقه، وربما كانت إقامته بقرية سُعال من مدينة نَزْوَى» (٢) عند أحوال أبيه من أولاد شائع.

فهو إذن تعلم العلم في دائرة وطنه عمان ولم يخرج منها، وقضى شبابه فيها مصاحباً العلماء الأخيار والنصحاء من أهل ذلك العصر (٣).

وَقَضَيْتُ الشَّبِيهَ فِي عُمَانَ مصاحباً كلَّ ذي عِلْمٍ وَدِينِ

وكان ينتقل في مدن عمان؛ فمن نَزْوَى إلى إِزْكِي إلى سَمَانِلِ إلى مسقط، وربما أقام في هذه المدن؛ لأنه يذكر ذلك: (٤).

جِسْمِي بِنَزْوَى قَدْ أَضَرَّ بِهِ النَّوَى رُوحِي وَقَلْبِي عِنْدَكُمْ بِسَمَانِلِ

وفي إقامته بإزكي يقول: (٥)

فَجَسْمِي زَكٌ فِي إِزْكِي مُقِيمًا وَقَلْبِي بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مُقِيمٌ

وإقامته في إِزْكِي أبعدته عن أصحابه المخلصين، فأحس بغربة فيها إذ يقول (٦):

أَنَا الْغَرِيبُ بِإِزْكِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلٌ

ولعل إقامته في إِزْكِي كانت تكليفاً له، وهو غير راغب أن يقيم فيها (٧):

وَمَا إِزْكِي زَكْتُ عِنْدِي وَلَكِنْ مُقَامِي فِي قَضَى حَاجٍ مُفِيدٍ

وقد ذهب إلى مسقط أيضاً فأقام فيها: (٨)

مُقَامِي بِجَرَعَا مُسْقَطٍ عَنْ بِلَادِكُمْ وَلَيْسَ وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ مُقَامِي

وكان يجوب الأقطار متنقلاً بين الشرق والغرب، تارة على السفن وهي تمخر عباب البحر،

(١) الديوان ١/ ١٧٠ . (٢) الديوان ١/ ٤٨ .

(٣) الديوان ١/ ٣٨١ . (٤) الديوان (المخطوط): ٤٩ .

(٥) نفسه: ١١٦ . (٦) نفسه: ٤٩ .

(٧) الديوان ١/ ١٢٦ . (٨) الديوان (المخطوط): ٨٦ .

وطوراً آخر على ناقة يقطع بها الزيازي المقفرة، الخالية من النبات ومن بقر الوحش، فهو يقول^(١):

رَكِبْتُ الْبَحْرَ مِنْ شَرْقٍ لَغَرْبٍ بَظَهْرِ الْمَوْجِ فِي بَطْنِ السُّفِينِ
وَجُبْتُ الْأَرْضَ مُقْفَرَةً الزِّيَازِي عَقْتُ مِنْ كُلِّ مُغْزَلَةٍ وَعَيْنِ (٢)

وفي هذه التنقلات، لا أدري: أذهب إلى مصر، ورأى نهر النيل فيها، وشرب منه؟ أم أنه بمجرد سماعه عن نهر النيل ضمنه في شعره، فهو يقول^(٣):

وَلَوْ شَرِبْتُ مِياهَ النَّيْلِ مِنْ صَدَائِهِ شَوْقاً لَكُمْ لَمْ أَزَلْ يَا سَادَتِي صَادِي

وقد سافر إلى حج بيت الله الحرام، وربما كان ذلك في الخمسينات من عمره، وربما كان سفره عن طريق البر؛ لأنه أنشأ بمدينة الأحساء قصيدته الهائية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم^(٤):

حَلَّ الْكُتَيْبَ بِدَائِهِ فِي ذَاتِهِ فَفُؤَادُهُ قَدْ ذَابَ مِنْ حَسَرَاتِهِ

وله في تنقلاته نهج يتبعه في مدن عمان وقراها، وهو ألا يقيم في بلدته «ثُقُب»، وإنما يأتي إليها زائراً كحجاج مكة، يأتونها زواراً، وذلك يتضح من خلال وصيته لولده حمزة عندما قال له^(٥):

وَتُقْبَا فَدَعْنَاهَا كَعْبَةً فَهِيَ مَكَّةُ تَوْمُ لَهَا الْأَعْجَامُ وَالْحَضَرُ وَالْبَدُو
وَبَحْرًا خِضَمًا زَاخِرَ الْعِلْمِ طَامِيًا جَمِيعُ الْوَرَى مِنْهَا عَلَى الْعَلِّ تَوَرِدُ

يأتيها العربي والأعجمي، الحاضر والبادي، يردون من بحر علمها الزاخر.

فهذا تصويره لبلدته ثقب، فهي متمكنة في قلبه، يمدحها ويشني عليها، لأنها غذته يافعاً وشيخاً، وارتضع من خيرات ثديها، فلا يمكنه أن يجحد معروفها وفضلها^(٦):

وَمَنْ لَا تَمِي فِيهَا إِذَا مَا مَدَحْتُهَا فَذُو الْفَضْلِ وَالْآلَاءِ بِالْحَمْدِ يُحْمَدُ
هِيَ الْأُمُّ غَذَّتْنِي صَبِيًّا وَشَايِبًا وَكَمْ أَرْضَعْتَنِي ثَدْيَهَا يَوْمَ أَوْلَدُ
فَإِنْ فَاتِي حَمْدُ لَهَا أَنَا ظَالِمٌ جَحُودٌ وَمِثْلِي فَضْلُهَا لَيْسَ يَجْحَدُ

(١) الديوان ٣٨١/١

(٢) الزيازي: ما غلظت من الأرض. والأكمة: ترتيب القاموس المحيط ٤٩٨/٢.

العين: بالكسر بقر الوحش. ترتيب القاموس المحيط. ٣٦٠/٣.

الغزالة: كسابة: عشبة من السطاح حلوة يأكلها كل شيء. نفسه ٣٩١/٣ والمخصص ١٦١/١١.

(٣) الديوان (المخطوط): ١١١. (٤) الديوان ٢٤٧/١.

(٥) الديوان (المخطوط): ١٣٨. (٦) نفسه: ١٣٩.

وهي وإن كانت صغيرة وبها أناس قليلون؛ فإن أهل الفضل قلة، وإن هجرها وسافر عنها فما ذلك إلا هجر دلال^(١)؛

فإن قال بعض الناس دارٌ قليلة قليلٌ ولأهْل الفضل من حيث يوجدُ
وإن قيل لي ما الذنبُ كيف هجرتها فقلتُ لهم هجر الدلال مؤيِّدٌ

ويدعو لها ألا يصيبها قحط، بل يتمنى لها ألا تغادرها السحب الماطرة والرعد والبرق حتى تغدو كرياض الفردوس، تشفق عليها العصافير وتغني بها الطيور فرحاً؛ فتسعد بها أهلها ليعيشوا أعزاء في نعمائها^(٢)؛

ولا جدبتُ ثقبٌ ولا ساءَ دهرُها ولا سامها بالخسف لحزٌ مُزْتَدٌ^(٣)
ولا فارقتها السحبُ كلَّ عَشِيَةٍ بها البرقُ مُسْتَنٌّ بها الرعدُ يُرْعَدُ^(٤)
فتصْبِحُ كالفرْدوسِ بهجاً رياضُها بأغصانها ورقُ الحمام يغرَّدُ
ولا برحتُ سكَّانها في سعادةٍ عِزاً وفي النعماءِ والفضلِ يُحْسَدُوا

ولما تجاوز أبو حمزة سنهُ الخمسين، أحس بندمه على أيامه الماضية التي لم يرض فيها عن كل أعماله^(٥)؛

جاوِزْتُ بالخمسين عاماً لم أحلْ عن شِرتي ومَداعِبي ومَذَاهِبي
وعندما أحس بعلامات الشيب قد نزلت عليه، تذكر أيام صباه وشبابه بجمالها إبان اللهو والتصابي^(٦)؛

نَسَخْتُ همومي هِمتي مَدُّ أنزلتُ آياتُ ضعفي عند شيب الراسِ
رُغياً لأَيَّامِ الشبابِ وطيبِها واللَّهُو قبل تساقطِ الأُضراسِ

وقد طال العمر بابن اللواح حتى شاخ وسكَّ سمعه وتساقطت أضراسه

(١) الديوان (المخطوط): ١٣٩.

(٢) نفسه: ١٣٩.

(٣) اللُّحْزُ: الإلحاح واللَّحْزُ: كَتَفَ: البخيل الضيق الخُلُقُ: ترتيب القاموس المحيط ١٢٨/٤. مُزْتَدٌ: كَمُتَّظَمٌ: البخيل الضيق والدعي. نفسه ٤٨١/٢. سام فلاناً الأمر: كلفه إياه أو أولاه إياه كَسَوَمَه، نفسه ٦٥١/٢.

(٤) مُسْتَنٌّ: لم أجد لها معنى يناسب السياق، وأول بدء البرق يسمى الإيشام. وقد أوشمت السماء قال الشاعر (حتى إذا ما أوشم الرواعد) (المخصص ١٠٧/٩، وفي اللسان: أوشم البرق لمع لمعاً خفيفاً. قال أبو زيد هو أول البرق حين يرق قال الشاعر (يا من يرى لبارق قد أوشما. (مادة وشم).

(٥) الديوان (المخطوط): ٩٧.

(٦) الديوان ٣٤٢/١.

وضعف بصره (١):

بَلَقْتُ فِي الْعُمُرِ غَايَاتٍ وَمَا بَرَحْتُ نَفْسِي بِحَالٍ عَمَايَاتٍ وَغَايَاتٍ
سَمِعْتُ أَسِيكَ وَأَضْرَاسُ قَدْ انْهَدَمَتْ وَالضَّعْفُ فِي بَصَرِ أَقْوَى الشَّهَادَاتِ

بل تقدمت به العُمُر حتى احدودب ظهره وأصبح يمشي على عكازة، يقول (٢):

وَأَصْبَحَ عِنْدِي ثَالِثٌ وَهُوَ قَائِدِي وَمَا حَالٌ مِنْ يَمْشِي بِطِينًا بِمِقْرَادٍ
وَبِالْأَمْسِ، إِنِّي كُنْتُ لِلدَّهْرِ قَائِدًا فَأَمَسْتُ عَصَايَ وَهِيَ مِنْ بَعْضِ قُوَادِي

وقد سئم الحياة وملها فكأنه غريب يعيش مع أناس ليسوا من دهره وعصره، فهو ينتظر
المنية تأتيه (٣):

مَنْ ذَا يَرْقُ إِلَى غَرِيبٍ قَدْ بَقِيَ عَنْ تَرْبِهِ بِأَرَاذِلِ أَنْكَاسِ
يَا صَاحِبَ السَّبْعِينَ نَادَاكَ الرَّدَى يَبْغِي الْمَسِيرَ لِمَنْزِلِ الْأَرْمَاسِ

أما وفاته؛ فلم تدونها المصادر المتوافرة لديّ، إلا ما ذكره مُهَنَّأ بن خَلْفَان؛ بأنه توفي في
حدود عام ٩٢٠هـ (٤)، وحدده في موضع آخر وقد تجاوز هذا التاريخ، فقال: «وامتدت به الحياة
السعيدة إلى أواخر القرن العاشر» (٥) وعلى ما يبدو، لا يوجد تاريخ لوفاة الشاعر لدى مُهَنَّأ بن
خَلْفَان، وإنما قدره.

والأقرب للاحتمال أن تكون وفاته في أواخر القرن العاشر، ولعلها بعد سنة ٩٨١هـ؛ وذلك
على أساس القرائن التي ذكرتها سابقاً.

صفاته : لم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئاً عن صفاته الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة،
فعمدتُ إلى تصفح الديوان والبحث فيه علكي أجد شيئاً منها، فابن غسان المَلُوحِي - كما يظهر -
يتصف بالورع والتقوى والتواضع، «فهو سيد قومه ومرجع أمرهم، وقد ظهر عليهم بقوة عزيمة
ورسوخ عقيدة» (٦).

فله مكانة اجتماعية وعلمية ليس عند قومه وبني قبيلته فحسب، بل عند

(١) الديوان ١/ ٢٩١.

(٢) نفسه ١/ ٣٠٨.

(٣) نفسه ١/ ٣٤٢.

(٤) نفسه ١/ ٥٢.

(٥) مُهَنَّأ بن خَلْفَان الخروصي. اللوح كما صورته المصادر التاريخية. فعاليات المنتدى الأدبي في سلطنة
عُمان. شهر ٦/ ١٩٩١ ص ٢١٦.

(٦) المصدر السابق ص ٢١٦.

أمراء ذلك العصر وسلاطينه، فهو عندما يرأسل جماعته يطلب منهم أن يبلغوا سلامه وتحياته للملوك بني صلت، وأن يوصوهم بالعدل والإنصاف بين الرعية عند القريب والبعيد(١):

وُخْصُوا بني صَلْتِ سَلامِي وَحِزِّيهِمْ وَأَوْصُوهُمْ بِالْعَدْلِ غَارُوا وَأُنْجِدُوا
فَأَتَى يَجْرُو شَخْصٌ عَادِي أَنْ يَوْصِي مَلِكاً أَوْ أَمِيراً بِالْعَدَالَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ قَوْمِهِ
وَعِنْدَ مَنْ يَوْصِيهِ.

وعلى ما يبدو أنه من دواهي عصره، إذ يحسب له العلماء حساباً، فهو عندما كتب قصيدة، ووجهها للشيخ نجدة بن عبد السلام الرُّستاقِي، تفرس فيها الشيخ نجدة - وهو شاعر - فرأى فيها أنه يدس له السم في العسل، فرد عليه الشيخ نجدة بقصيدة مطلعها(٢):

أَرَاكَ بِحُلُوِّ الْقَوْلِ تَمِزُجُ لِي سُمّاً وَتُوسِّعُنِي فَضْلاً وَتُوجِّعُنِي لَطْماً
فرد عليه شاعرنا ينفي عن نفسه التهمة التي وجهها له الشيخ نجدة، وقال له فيها(٣):

أَبَا الْفَضْلَ أَهْلَ الْفَضْلِ وَالْمَجْدِ نَجْدَةً حَمِيدَ الْمَسَاعِي الْمَخْبِتَ الصَّمَدَ الْقَرْمَا (٤)
أَرَاكَ بِنِيَّاتِ الطَّرِيقِ تَرَكَّتْهَا وَأَنْصَبْتَ لِي لَمّاً تَبْهَجَتْهَا سَمّاً
تَفَرَّسْتَ فِي شَعْرِي فَغَادَرْتَنِي بِهِ عَلَى وَضْمٍ لَمَّا تَأَوَّلْتَهُ لَحْمّاً
فَأَنْسَبْتَنِي لِلذَّمِّ فَيْكَ وَلِلْهَجَا أَنْظِمُ فِي شَيْخِ الْإِبَاضِيَةِ الذَّمَا

فالبيت الثاني بدلنا على أن الشاعر صنو للشيخ نجدة من حيث الفضل والمكانة بدلالة خطابه المباشر «أراك بنيات الطريق تركتها» إذ كيف يجرؤ شخص أقل مكانة أن يوجه هذا الخطاب لعالم في عصره. وهو مع مكانته وفضله رجل متواضع؛ فكما ينصح لغيره لا يتأنف أن يقبل النصيحة، ولو كانت من شخص أقل منه سناً فعندما، نصحه الشيخ أسد بن عبد الله بن أسد الأغبري النخلي(٥)، تقبل منه وقال له(٦):

وَأَوْعِظْ مَا يَكُونُ فَتَى صَبِيٍّ لَشَيْخٍ وَاعِظْ حَتَّى يَقُوضَا
فَقُلْ مَا شِئْتَ يَا أَسَدَ فِسَانِي مُطِيعٌ لَا عِيْصُوفَ وَلَا كَطُوظَا (٧)

(١) الديوان (المخطوط) ١٣٩. (٢) نفسه: ١٥٥. (٣) نفسه: ١٥٥.

(٤) أَخْبَتَ: خَشَعَ وَتَوَاضَعَ. الْقَرَمُ وَالصَّمَدُ: السِّيدُ (ترتيب القاموس المحيط مادة خبت، قمر)

(٥) أسد بن عبد الله بن أسد بن عبد الله الأغبري: من فقهاء أهل نخل وشعرائها، كان يسكن محلة الغريض، وهو من معاصري شاعرنا ابن اللواح. (حمد بن سيف البوسعيدي. قلاند الجمان. ص ١٦).

(٦) نفسه: ٩٢. (٧) كَطْلُهُ الْأَمْرُ كَطَاظاً وَكَطَاظَةً: بهظه وكربه وجهده، وَرَجُلٌ كَطٌّ: تَبْهَجُهُ الْأُمُورُ حَتَّى يَمَجُزُ عَنْهَا، فَهُوَ كَطِيطٌ وَكَطُوظٌ. وَكَطَاظٌ: الشَّدَّةُ وَالتَّعَبُ. ترتيب القاموس المحيط مادة (كظ) ٥٧/٤.

فأثلجت قلبه وانشرح صدره، وتقبلها بقبول حسن وقال له (١):

نصائحك التي وردت علينا بها قلبي لطاعينكم أريضا
فكانت عذبة شرب عن أوار وروضا نشره بهجا أريضا

وهو يشعر بغربة في زمانه الذي عاش فيه، لأن أهل المجد وأهل العلم والأدب قلة، وقد نفر عن أهل زمانه؛ لأن سجاياهم الخبيثة وسجاياه الغر لا تتفق، كالصحيح لا يمكنه العيش مع من فيه مرض مُعدٍ، فهو لا يرضى صحبة من هو أقل منه (٢):

أنا الغريبُ فلولا المجدُ والحسبُ والمنقذان لعمرى العلم والأدبُ
ولا يكون غريباً من تكون له أم العلاء أمه والمجد فهو أب
فلا تفرّيت عن أهلٍ وعن وطنٍ فقلت كل غريب فهو مغترب
لا أصطفي من بني الأيام غير صفٍ ولست أرضى بدوني حيث اصطحب
قد نفرّتي السجايا الغر عن زمني أنا الصحيح ومن فيه بهم جرب

وكبر سنه قد هيا له أن يصحب بني الأيام ويخبرهم فاكتسب خبرة واسعة بهم (٣):

إنني امروء قد عرفت الدهر معرفة أكلاً وشرباً ومسموعاً ومُلتحاً
وقد حكيت من الأيام أشرها وقد قدحت زناد الدهر فاقتدحاً
فكدت أعلم ما كنت ضمائرهم ولو أردت بها التصريح لا نصرحاً

ومن صفاته أيضاً أنه تقي ورع خاضع متبتل لله جلّ وعلا، نستدل على ذلك من مدائحه في المولى جل وعلا. فمن ذلك قوله (٤):

استغفر الله من كيل طفت ومن وزن خفت ومن ذرع على عجل
الحمد لله أنشاني وصورني من صلب آدم من طين ومن عجل
الحمد لله إن الله أضح لي نهجاً إلى دينه من أضح السبل

ونستدل على تقواه وورعه أيضاً من إخوانياته، وذلك عندما طلب منه خاطر بن غريب أن يستسقي لسمائل، وقد أصابها الجدب، فقال مستجيباً له (٥):

أخي سنّادي حبيبي عصمتي ثقتي من نص ديني لدين المصطفى المدني

(١) الديوان (المخطوط): ٩٢. (٢) الديوان ٤٩/٢.

(٣) المصدر نفسه ٦١/٢. (٤) المصدر نفسه ٩١/١.

(٥) الديوان (المخطوط): ٥٠.

سألتني أَسْتَقِي والاستقاء له شرائطُ يَرْتَضِيهَا اللهُ لم تُخْنِ
فاستغفر الله تعالى ودعا لسائل بالسقيا والغيث فما قاله: (١)

وأخَصِبُ سَمَائِلَ بالغيثِ المغيثِ هَما طَلًا وَوَبْلًا فَمِنْ مِيكَالَ لِلْمَزْنِ
فَالْمَزْنُ مَرْتَكُمُ والبرقُ مَضْطَرَمُ والرعدُ مَرْتَزَمُ والغيثُ فِي رَزْنِ
فاستجاب الله دعاءه (٢):

أَرَوِي سَمَائِلَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا وَدَارَ كَالْفَلَكَ الدَّوَارَ بِالْحُضْنِ (٣)
وربما طلب من رجال الورع والتقوى في قيامهم الليل أن يدعوا له لعل دعوة منهم تصادفُ
ساعةً إجابة في حالكات الليالي، وبعد الصلوات الخمس، فيفوز بالمغفرة مثل ما طلب من
علماء المغرب وأتقيانهم ذلك، فقال: (٤)

لا تُحْرِمُونَا دُعَاءَ اللَّيْلِ بَيْنَكُمُ إِن سَامَرَ اللَّيْلَةُ اللَّيْلَاءُ سَامِرُهَا
وَإِثْرَ كُلِّ صَلَاةٍ مِنْ عِبَادَتِكُمْ لِيَدْقَعَ اللهُ أَشْيَاءَ تُحَاذِرُهَا
لَعَلَّهَا دَعْوَةٌ مِنْكُمُ تَجَابُ لَهُ لِيَغْفِرَ الزَّلَّةَ الْعَظْمَاءَ غَاوِرُهَا

وكذلك يتصف بالذكاء والبديهة واليقظة، فعندما يصف نفسه يقول: (٥)

بَدَيْهَتِي قَدْ جَرَتْ مَجْرَى دِمَائِهِمْ بَيْنَ الْعُرُوقِ وَبَيْنَ الْجُلْدِ وَالْعَصَبِ
وكانه يملك زمام القواني وأعنتها، بحيث إذا طلب إليه بعض أصحابه أن ينظم موعظة أو
أدباً أو حكمة، تجد ذلك ينساب على لسانه، كما حصل ذلك من صديقيه خميس وحاجز إذ
قال: (٦)

أَلَا مُبْلَغُ مَنِي خَمِيْسًا وَحَاجِزًا نَتَائِجَ أَفْكَارٍ سُبُكْنِ أَرَاكِزًا
وَقُلْ لِهَما مَنِي وَعَنِي نَصِيحَةٌ وَوَعَظًا غَدَا حِرْزًا عَنِ الذَّنْبِ حَارِزًا
وهو عندما يصف شاعريته يقول: (٧)
وَكَمْ مَحْمُودَةُ الْأَلْفَاظِ ذَالَتْ عَلَى السُّدُوتِ وَهِيَ قَمِينُ نَفَائِي
بَثَّتْ عَلَى عُمانَ وَكُلِّ أَرْضٍ أَجَلُ حِكْمًا تُصَانُ عَنِ الْبِشَائِ
بِهَا الرِّكْبَانُ غَنَتْ فِي الزِّيَاذِي وَأَشْدَاهَا الْمُرْمُثُ فِي الرِّمَاشِ (٨)

(١) الديوان (المخطوط): ٥. (٢) نفسه: ٦.

(٣) الحُضْنُ: من الجبل ما أطاف به، أو أصله (الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط. ١/٦٦٢).

(٤) ابن رزق. الصحيفة القحطانية، ٢/٣٩٨.

(٥) الديوان ١/٢٧٤. (٦) نفسه ١/٣٣٨. (٧) نفسه ١/٢٩٥.

(٨) الزِّيَاذِي: جمع زيازي. وهي ما غلظ من الأرض، والأكمة الصنيرة (ترتيب القاموس المحيط ٢/٤٩٨).
رَمَثَ: الرَّمَثُ: بالتحريك: خَشَبٌ يُقَسَّمُ كَالطُّرْفِ، وَيُرْكَبُ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ وَالْجَمْعُ أَرْمَاشٌ. (الزبيدي - تاج
العروس - مادة رمت).

وعندما يعدد تأبيناته ومراثيه، يقول^(١):

وَكَمْ أَهْنَتْ أَرْيَابَ الْفَتَاوَى وَكَمْ أَهْنَتْ أَصْحَابَ الْأَثَاثِ^(٢)
وَكَمْ أَجْلَيْتُ فِي ذِكْرِ الْمَرَاثِي ثَنَى ذِكْرَانِ حَيٍّ أَوْ إِنَاثِ

ثقافته : يوجد بين يدي الباحث من المصادر ما يسعفه على تتبع ثقافة الشاعر التعليمية، إلا ديوانه، فلا يعرف شيئاً عن أخذ علمه، وما هي أنواع ثقافته التي تحصلت عنده خلال هذا العمر الطويل الذي عرفناه.

أما نشأته التعليمية، فما وجدته الدارس في ديوانه قد تحدث عنه في النشأة، فلا داعي لأن يكرر ما قاله.

وأما تنوع ثقافته فقد اكتسبه من مشايخ عصره، إذ كان عصره حافلاً بالعلماء الكبار والمشايخ الأخيار الذين يجمعون بين الفقه والأدب، فأغلب علماء عمان يجمعون بين الفقه والأدب، فمنهم أشعر العلماء، ومنهم أعلم الشعراء، وابن اللواح من أعلم الشعراء، ولا غرو في هذا؛ فهو من قبيلة بني خروص أسرة العلم والأدب والورع والتقوى، فلهم الدور المجلي في هذا. فمن علماء عصره أصحابه الذين ارتبط معهم بعلاقات وطيدة مثل غريب بن محمد السمانلي، وولده خَاطِر بن غريب، ومنهم عبدُ السَّلام بن أبي الحسن الرُّستاقِي، وولده نَجْدَة وصالح، وعبدالله بن أسد الأغبري النخلي، وولده أسد بن عبدالله. ومن علماء عصره الكبار أيضاً، الشيخ أحمد بن مداد بن عبدالله الناعبي، وبنو مداد أسرة علم، والشيخ أحمد بن خلف ابن أحمد الإزكوي، والشيخ أبو عبدالله محمد بن عبد السلام النخلي، والشيخ أحمد بن قاسم ابن كَهْلان، وعلي بن أبي القاسم محمد بن سليمان الإزكوي، ومن الأطباء المهرة الشيخ عميرة ابن ثاني بن خلف العوفي، والشيخ علي بن مبارك بن هاشم الهاشمي^(٤).

فكانت لهؤلاء المشايخ مجالس علم وأدب يتدارسون فيها المسائل الفقهية في المفروض والمنسنون، ويتدارسون أيضاً الأحاديث النبوية الشريفة ويأتون فيها بطرائف من الشعر والنثر،

(١) الديوان: ٢٩٥/١.

(٢) الأناث: كَسَحَاب: الكثير من المال، وقيل كثرة المال، وقيل متاع البيت.

(الزبيدي- تاج العروس- (مادة أثث).

(٤) الديوان. وينظر مهنا بن خَلْفان الخروصي. اللواح كما صورته المصادر التاريخية، فعاليات المتدنى الأدبي

في سلطنة عمان. إصدار يونيو ١٩٩١ ص ٢١٦.

فيذكر ابن اللواح هذه المجالس، ويتمنى أن يكون فيها إذا ما نزلت به الأيام، فهو عند خطابه لخاطر بن غريب يتمنى ذلك، فيقول^(١):

لَيْتَ اللَّيَالِي خِلافَ الشَّتِّ تَجْمَعُنَا جَمَعَ الْجَمَانِ بِسِلْكٍ مِنْ يَدِ الزَّمَنِ
بِمَجْلِسٍ طَاهِرِ الْأَصْحَابِ لَيْسَ بِهِ إِلَّا الْأَسَانِيدُ فِي الْمَفْرُوضِ وَالسُّنَنِ
وَفِي الْمَنْصَرِّ عَنِ الْبَارِي يُنْزَلُهُ جَبْرِيلُ لِلْمُصْطَفَى فِي آلِهِ الطَّيِّبِينَ (٢)
وَفِي الْكَلَامِ الْمُنْقَى كَانَ مُنْتَظَمًا أَوْ كَانَ نَشْرًا شَفَاءَ الْأَلْسَنِ اللَّكُنِ

فكان شاعرنا يختلف على هذه المجالس، لذلك، كانت ثقافته متنوعة، فقد كان عارفاً بتاريخ العرب في جاهليتهم، وإسلامهم، ولذلك، نراه يكثُر الإشارات إلى الأعلام والأحداث التاريخية، فقد قرأ سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعرفها معرفة تامة، وما قصائده في مدائح الرسول عليه الصلاة والسلام إلا نتاج دراسته للسيرة النبوية، وقد قرأ الأحاديث النبوية الشريفة أيضاً، وأثرها واضح بجلاء في شعره.

فنجده مثلاً ينظم حديثاً طويلاً بأكمله كقوله^(٣):

خَمْسٌ بِخَمْسٍ عَنِ الرَّحْمَنِ أَسْتَدَهَا مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْمُبْعُوثُ مِنْ مُضَرَ
مَنْ يَنْقُضُ الْعَهْدَ يَغْلِبْهُ الْعَدُوُّ وَمَنْ لَمْ يَقْضِ بِالْحَقِّ بَيْنَ النَّاسِ يَفْتَقِرْ
وَمَنْ يُطْفَفُ وَيَبْخَسُ كَيْلُهُ أَزِمَتْ بِهِ السُّنُونُ وَمَاتَ الْبَيْتُ عَنْ إِبْرِ
وَإِنْ فَشَتْ فِي نَوَادِي الْقَوْمِ فَاحِشَةٌ فَشَى الرَّدَى فِيهِمْ لَا شَكَّ فَاخْتَبِرْ
وَمَنْعُ لَزْكَاءِ الْمَالِ حَلٌّ بِهِ فَحَظُّ قَلَمٍ يُسْقَى شُرُوبٌ مِنَ الْمَطَرِ (٤)

كما يظهر في شعره بجلاء أيضاً اقتباسه من القرآن الكريم، فهو إما أن يقتبس آية ويجعلها في بيت أو في شطر بيت كقوله^(٥):

وتحدَّثْتُ أَخْبَارُهَا عَنْ حَالِهَا وتكشَّفتْ عَنْ سِتْرِهَا أَعْمَالُهَا

(١) الديوان (المخطوط): ٤ .

(٢) الطَّبَن: الجمع الكثير. ترتيب القاموس المحيط ٥٥/٣ .

(٣) الديوان ٢٣/٢ .

(٤) ينظر الحديث في (سنن ابن ماجه) كتاب الفتح. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث ١٩٧٥ .
حديث رقم ٤٠١٩ الجزء الثاني في صفحتي ١٣٣٢، ١٣٣٣، وموطأ مالك، نفس المحقق والدار ١٩٨٥
ج ٢- كتاب الجهاد. حديث رقم ٢٦، ص ٤٦٠ .

(٥) الديوان: ٣٩٦/١ .

مشيراً إلى الآية الكريمة ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (١)

وحيناً آخر يقتبس آية ويجعلها في بيت كقوله (٢):

يا ساعةً ذُهِلَتْ مَرَاضِعُهَا بِهَا والحاملاتُ تساقطتُ أحمالُها

يشيرُ إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها نلُهلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَها.﴾ الخ الآية (٣).

وحيناً آخر يشير إلى أن ما يقوله آية قرآنية كأن يقول: «أتى به الذكر» أو يقول «والله قال»: مثل قوله (٤):

وفي الدينَ مَحْضُ النُّصْحِ قَرَضُ أَتَى بِهِ لَهُ الذِّكْرُ مَنْصُوصاً عَلَيْنَا وَبُسْتَدُّ
فَقَالَ عَلَى التَّقْوَى عِبَادِي تَعَاوَنُوا وَقَالَ مُحِثاً: إِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا

مشيراً إلى الآية ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.﴾ الخ (٥) وإلى الآية: ﴿ثُلَّ اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ، وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٦)

وأحياناً يقتبس كلمة من الآية، كأن يقول (٧):

يا خَاطِرٌ فَاخْطُرْ بِبَالِكَ سَاعَةً وَاخْذَرْ وَلَا تَنْظُرْ لِمَنْ دَسَاكُمُ

مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٨)

وقد قرأ كتب السلف الفقهية مثل كتاب الضياء؛ لأبي المنذر سلمة بن مسلم العوتبي (٩)، ونظم منه مسائل (١٠)، وتوسعت ثقافته في الفقه، فنظم في مسائل شرعية متعددة، كأصول الدين وعلم الميراث.

(١) سورة الزلزلة آية ٤ .

(٢) الديوان ٣٩٨/١ .

(٣) سورة الحج آية ٢ .

(٤) الديوان (المخطوط) ١٣٦ .

(٥) المائدة آية ٢ .

(٦) النور آية ٥٤ .

(٧) الديوان (المخطوط) ٢١ .

(٨) سورة الشمس آية ١٠ .

(٩) سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري: عالم مؤرخ عاش في القرن الرابع الهجري، من مؤلفاته كتاب الأنساب والضياء، دليل أعلام عمان ص ٨٢ .

(١٠) ينظر الديوان ٣٧/٢ .

ومما قاله فيما يجب بالتقاء الحتانين (١):

إذا ما الحتانان التقيَنَ فعمشرةً يكونُ بها إن كُنْتَ في الحكمَ تعلمُ
وَضُرَّوهُ وَغَسَّلْ ثُمَّ عَقَّرْ وعدةً وحدُّ وتحليلٌ وذو البعلِ يحرمُ (٢)
ويَقْسُدُ حَجٌّ ثُمَّ صَوْمٌ وثابتُ بهِ نَسَبُ الأبناءِ في الحكمِ فاعلموا
فواضح أن هذه الأحكام لا يمكن أن يلم بها إلا رجل متعمق في الفقه، وله دراية في
المخاصات والمرافعات في الأحكام أمام القضاء، يدل ذلك قوله (٣):

قلبي من شهودِ الشوقِ بالبينِ خمسةً بهِ حَكَمَ القاضي ويرضى المخاصمُ
حشَى حُشِيَتْ حُزْنًا وَقَلْبٌ مُتَمِّمٌ وعينانِ كالعينينِ والجسمُ سَاهِمٌ

وقد قرأ في النحو والصرف والبلاغة، وقرأ الشعر العربي القديم، وقرأ العروض؛ وعرف
الضرورات الشعرية وغيوب الشعر، وبدا ذلك واضحاً في شعره، وقد نظم في تركيب الميمات
في الآلات، فمما قاله (٤):

ألا إنما الآلاتُ تُكسرُ ميمُها إذا بُتدأتْ والميمُ فيهنَّ أولُ
سوى سِتِّ آلاتٍ فيُرفعُ ميمُها فدُونُكها معلومةٌ ليسَ تُجهَلُ
مُدَقُّ صليبٍ مُسَعَّطٌ ثم مُذهَنُ ومُكْحَلَةٌ بل مُنْخَلٌ ثم مُنْصَلُ
ولمجد الإشارات النحوية ظاهرة، فمما قاله (٥):

لَمَّا نَصَبْتُمْ لِي اسْمَ بَعَادِكُمْ جُرَتْ حروفي بلا لَتِقَاءِ الساكنِ
وقوله أيضاً (٦):
وأصدقُ مِصدقِ الشهاداتِ بَيْنَنَا ألا إنها الأفعالُ تُرْقِعُ والأَسْمَا
عليكمُ لَمَنَ عاداكمُ النَّصَبَ والذي يُواليكمُ فالجرُّ لا الخفضُ والضَّمَا
وقوله (٧):

(١) الديوان ٤٥/٢.

(٢) العَقَرُ: مَهْرٌ للمنتصبة من الإماء، كمهر البُتْل للحرَّة. (الزبيدي. تاج العروس مادة عقر).

(٣) الديوان (المخطوط) ١٤٥.

(٤) الديوان ٤١/٢.

(٥) الديوان (المخطوط): ١١٩.

(٦) الديوان (المخطوط) ١٢٠.

(٧) الديوان ٦٥/٢.

وما العلمُ مذرُوكاً بحتى ولا عسى وعَلَّ وَمَهْمَا سَوَفَ أَمْسِي وَأَصْبَحُ
ومن معالم ثقافته معرفته بعيوب الشعر والضرورات الشعرية، ومن ذلك قوله (١):
قَوَانٍ فَلَا إِقْوَا وَإِكْفَا تُشِينُهَا وليس بهَا لَحْنٌ وَإِخْنٌ وَلَا ثَلْبُ
وفي موضع آخر، قال (٢):
وليس بهَا إِيظَا وَإِكْفَا وَمَا بهَا صَلُوعٌ وَإِقْـوَاءٌ وَلَا أُوْدَعَتْ قَلَمَا
مُعْدَلَةُ الْأَوْزَانِ مَا زَاغَ وَتَدَهَا وقد صَلَحَتْ معنى كما حَسَنْتُ خَزَمَا
وقد قرأ تاريخ الجاهلية والاسلام، فمن إشاراتِهِ للقبائل القديمة البائدة قوله (٣):
أَلَمْ تَذَرِ مَذْ غَالَتْ جَدِ يَسْ ظَلِيمَهَا على الْخَتْلِ عَمَلِيْقَا وقد قَتَلَتْ طُسْمَا
وقوله أيضاً (٤):
وَلَيْسَتْ بِهِ خُصَّتْ سَدُوسٌ وَأَلْهَا جَدِيلُهُ بَلْ عُمْتُ بِهِ الْخَضَرُ وَالْبَدُو
ومن إشاراتِهِ للأشخاص في الجاهلية، قوله (٥):
أَخَذْتُ الْحَزَمَ مِنْهَا فَهُوَ غَوَلٌ أَضَرُّ عَلَى كُلِّبٍ مِنْ بَسُوسٍ
وقوله أيضاً (٦):
وَقَدْ قَتَلَ الْكَنْدِيُّ فِي حَيٍّ قَبْصَرٍ بِخِدْعَتِهِ الطَّمَاخُ وَالْخَبُّ يَطْمَحُ
أما الأشخاص في عهد الإسلام، وكذلك المواقع الإسلامية، فلا يخلو شعره منها. من ذلك قوله (٧):
وقد عَاتَبَ الْفَارُوقُ أَحْمَدَ قَبْلَنَا على سِرِّ مَرْوَانَ وَمَا قَصْدَا وَهْمَا
وفي موضع آخر، يقول (٨):
يَا مَنْ يُقْرِ لَهُ الرَّبِيعُ وَجَابِرُ فِي الْعِلْمِ وَالزَّكَاةِ أَبُو مَوْدُودِ (٩)
وفي ذكره للمواقع الإسلامية قوله (١٠):
وَسَابِقُ عِلْمٍ خَالِقُنَا جَرَى فِي أَهْلِ صِفْتَيْنِ

وشعره تكثر فيه الإشارات للقصاص القرآني، مما يدل على أنه

(١) الديوان ٢٠٢/١. (٢) الديوان (المخطوط): ١٥١، ١٥٢.

(٣) نفسه ١٢٠. (٤) الديوان ٦٨/٢.

(٥) الديوان ٣٤٤/١. (٦) الديوان ٦٣/٢.

(٧) الديوان (المخطوط) ١٥٤. (٨) نفسه ١٥٨.

(٩) الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي، عالم بالحديث إياضي. روي عنه (المسند). الزركلي - الأعلام ١٤/٣.

أبو مودود: حاجب الطائي، كان بالاجتهاد موصوفاً وبالزهد والورع معروفاً، وفي ماله حق للسائل والمحروم. عده الدرجيني من الطبقة الثانية الذين عاشوا في القرن الثاني للهجرة، الدرجيني، طبقات المشايخ ٢٤٨/٢. (١٠) الديوان ٣٨٠/١.

يتتبع القصص التي قصها لنا القرآن الكريم، وجرت للأنبيا والرسل وغيرهم، ويدل ذلك قوله (١):

فَمِنْ قَبْلِ هَذَا أُخْبِدَ الْفَضْلَ آدَمَ فَبُدِّلَ مَنْ فَرَّدَ وَسِيهِ الْجِبِلَّ الشَّرْقِي
وَهَابِيلُ سَقَاهُ الرَّدَى كَفُّ صِنْوهِ وَيُوسُفُ بَعْدَ الْجُبِّ فِي السَّجْنِ قَدْ أَلْقَى
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا (٢):
أَنَا فِي الْمَحَبَّةِ مِثْلُ هَارُونَ لَكُمْ وَلَا أَنْتُمْ يَا سَادَتِي مُوسَاهُ
إِنْ كُنْتُمْ فِي الصَّبْرِ عَنِي يَوْسُفَا فَأَنَا الَّذِي بِهِوَائِكُمْ خُنْسَاهُ
وعلى ما يبدو أنه قد قرأ في الأمثال العربية، واطلع على كثير منها وحفظها، بحيث ضمنها شعره. فمن ذلك قوله (٣):

فَمَا كَصَدَا مِيَاهُ قَدْ عَلِمْتُ وَلَا مَرَعَى مَرِيعٌ بَرُوضٍ مِثْلَ سَعْدَانِ
يشير إلى المثلين (ماء ولا كَصَدَاءَ) و (مرعى ولا كالسعدان) (٤)
ومن ذلك قوله (٥):

أَرَاكَ غَادَرْتَنِي فِيهِمْ بَلَا زَلَلٍ مِثْلَ الْمَعِيدِي تَسْمَعُ بِي وَلَمْ تَرَنْ
يشير إلى المثل: «أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه» (٦).

وكذلك يشير في شعره إلى أعلام الحكماء والأطباء القدماء من اليونانيين وغيرهم. من ذلك قوله (٧):

يَا سِرُّ عَيْسَى نَبِيِّ اللَّهِ فِي زَمَنِ لَا هُرْمُسُ لَكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَثَلِ
حَسْبِي لَدَيْكَ فَجَالِينُوسُ صَاحِبُهُ أَذْ لَاطُونُ بَلْ أَرَسَطَا طَالِيْسُ كَالْحَوْلِ
وقوله أَيْضًا (٨):

لَوْلَا الْعَزَاءُ وَأَنَّ الْمَوْتَ مُفْتَرِسُ الْـ آسَادِ فِي الْأَجْمِ وَالْأَوْعَالِ فِي الشُّغْفِ
لَمِتْ مَوْتُهُ فَرُّهُدٍ بِحُكْمَتِهِ ثُمَّ احْتَرَقَتْ بِنَارِ الْحُزْنِ وَالْأَسْفِ

ويضمن شعره أعلاماً من مشاهير العرب في الذكاء وفي علو القدر، وفي الجود والزهد والحلم. مثل قوله (٩):

(١) الديوان ٧٣/٢. (٢) الديوان (المخطوط) ٨٨، ٨٩. (٣) نفسه ٣٥.
(٤) أبو الفضل؛ أحمد بن محمد الميداني. مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ٢ دار الجيل. بيروت - لبنان. ١٩٨٧. ٢٦٧/٣، ٢٦٥.
(٥) الديوان ٨٢/٢. (٦) الميداني مجمع الأمثال، ٢٢٧/١. (٧) الديوان ٢٣٢/٢.
(٨) الديوان ١٨٧/٢. (٩) الديوان (المخطوط) ٤٦.

فإنك في الفتى الربيع وجابر
وأنت إياس في الذكاء وعامر
ولا ينسى أعلام الغنى والمال، كمثل قوله (١):
ولو أنني في المال يحيى بن خالد
وفي الزهد عمار وفي الحلم عاصم
لعمري وفي العلياء والجود حاتم

وقد قرأ الشعر الجاهلي والإسلامي وعرف مشاهيره وأعلامه؛ ولذلك، فهو يكثر ذكر أعلام الشعر، فمن ذلك قوله (٢):

أقر لك الماضون قيس ودعبل
ودان لك الأعشى وابن أبي سلمى
وقوله (٣):

إليك في عجل نظا
ممن دونه وقف الأخي
ملم لم يقله الأخنس
طل والفقتى المتلمس

وقد قرأ قصة كعب بن زهير عندما أهدر دمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعندما جاء كعب معتذراً عن ذنبه الذي اقترفه في حق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد جاء بقصيدته اللامية (بانت سعاد). فضمن ابن اللوح في شعره هذا المعنى فقال (٤):

كن كالنبي لكعب حين أعذره
فقال حرمته عندي بحرمتكم
وفي ذكره لأعلام الشعر، يقول أيضاً (٥):

سأحمدكم كفيلان بلالاً
وديك الجن في أبناء معن
وقد قرأ عن شعراء الحب العذري وعرف أعلامه المشهورين، فمن ذلك قوله (٦):
ما وجد قيس بن الملوح في الهوى
إلا عشير عشير ما قاساه
وقال أيضاً عندما يذكر كتاباً مرسلأ قد وصله (٧):

وقد عانقته كعناق ليلى
فدع غيلاً من عناقته مي

وقد قرأ للكُتاب والمرسلين ومشاهير النثر؛ فلذا، هو يضمن من أعلامهم في شعره، فقد قال (٨):

(١) الديوان ٢٠٢/١ (٢) الديوان (المخطوط) ١٥٥ (٣) الديوان ١٣٤/١ (٤) نفسه ٧٦/٢ (٥) الديوان (المخطوط) ٨٣ (٦) نفسه ٨٨ (٧) نفسه ١٠٧ (٨) الديوان ١٢٧/١

يَنْثُرُ أَبِي ثُبَّاتَةَ وَالْمَعَانِي إِبَاسًا وَالنُّطَامُ فَمَنْ عُبِيدِ
وربما قرأ في الفلك وعلومه؛ لأنه يدون في شعره معرفته بالنجوم والكواكب ومطالعها
والسعد والنحس، من ذلك قوله (١):

فَلَا زِلْتَ تَرْقَى رُتَبُهُ دُونَهَا السُّهَى بِجِدِّ لِهَامَاتِ السَّمَائِينَ نَاطِحُ
ومن ذلك قوله: (٢)

سَقَى ثَبَرَكَ الْمُنْزُ نَوْمًا وَعَلَا بَنُوهُ الْوَسْطَى ثَرَاتًا وَنَوَى الْجَدِي
وقوله أيضاً (٣):

وَيْتُ أَرَاقِبُ الْجَوْزَا سُهَادًا وَدَمْعِي بَاتَ نَوْمًا عَقْرَبِيًّا
ومن معرفته بالسعد والنحس قوله (٤):

يَقُولُونَ لِي يَوْمَ الْخَمِيسِ مَبَارَكُ لَهِ الْمُشْتَرِي سَعْدٌ وَمَا فِيهِ أَسْعَدُ
وقوله أيضاً (٥):

سَعْدُ السُّعُودُ طُلُوعُهُ بِطُلُوعِهِ وَعَلَى سِوَايَ طُلُوعِ سَعْدِ الذَّابِحِ

إن تلك القراءات المتعددة والمتعمقة الواسعة في القرآن وقصصه وفي الأحاديث النبوية
الشريفة وفي الفقه وأصوله وفي الفلك وعلومه وفي الطب، وفي الأدب العربي قديمه وحديثه
شعره ونثره، جعلته شاعراً فصيحاً وخطيباً مصقلاً وعالمًا فذاً، مما جعل العلماء يرجعون إلى
شعره ليستدلوا به، فقد عدَّ العلامة بن العلامة الشيخ خميس بن الشيخ جاعِد بن خَمِيس
الْحُرُوصِي من علماء القرن الثالث عشر الهجري شعر ابن غسان مصدراً رجع إليه في معرفة أئمة
بني خروص. وقد قال عنه المؤرخ والأديب النسابة ابن رُزَيْق (٦):

وَسَالِمٌ وَالْفَتَى الْعَشْرِي يَرُوقُ لَنَا إِذَا هُمَا نَثَرَا لَفْظًا وَمَا نَظَّمَا
فشاعران أدبيان هُما انْتَسَبَا إِلَى خُرُوصٍ وَمَا نَازَلَا وَهَمَا

وفي الفتح المبين عنه أيضاً: (٧) «ومن فصائحهم الشاعر العالم الشيخ الذلق اللسان، سالم بن
غسان، وقد أجاد في نظم القصيدة الهائية التي ذكر فيها مناقب آل بني خُرُوص.. وشعره كله
عجيب يلد لسامع الأدباء، وأهل الفصاحة، ويعذب لأفواههم، فله دره

(١) الديوان (المخطوط) ١٤٩. (٢) الديوان ١٨٩/٢. (٣) نفسه ٢٨٤/٢.

(٤) نفسه ١٤٥/٢. (٥) نفسه ٥٦/٢.

(٦) ابن رُزَيْق - الصحيفة القحطانية - مخطوطة ٤٠٨/٢. (٧) ابن رُزَيْق - الفتح المبين - ص ١٨٠.

من عالم وفصيح ناثر ناظم».

وقد قال عنه العلامة الشيخ جاعد بن خميس الحَرُوصي (١) يكفي أهل عمان فخراً أن يكون من شعرائهم الستالي وابن غسان سالم، وفي التقى والورع سالم بن غسان أشهر.

ومن علماء القرن الرابع عشر الهجري الذين استشهدوا بشعره الشيخ القطب محمد بن يوسف اطفيش من علماء الجزائر، فقد استشهد بشعره في غير موضع في كتابه «الجنة في وصف الجنة» الذي شرح فيه القصيدة العبيرية للشيخ العلامة العُماني محمد بن إبراهيم الكندي صاحب كتاب بيان الشرع، فاستشهد بشعره عند شرحه للبيتين التاليين من العبيرية (٢):

يُشَقُّ لَهُمْ رُمَانُهَا عَنْ كَوَاعِبِ يَرُدُّ وَمِئُضَ الْبَرْقِ مِنْهَا حُسُورُهَا
مُعَقَّرَةُ الْأَصْدَاغِ كَحُلِّ جُفُونِهَا تَرَدَّدُ فِيهَا غَنْجُهَا وَفُتُورُهَا

قال القطب: «قال الشيخ سالم بن غسان:

وَإِذَا الْوَلِيُّ أَرَادَ مِّنْ رُّمَانَةٍ حُورًا يُسَبِّحُ مُطَرِبًا خَلْجَالُهَا
فَيَقَالُ ذِي حُورَاءُ رُمَانِيَّةٌ عَنَاءُ أَسْبَلِ ضَافِيَا سِرْبَالِهَا
سَبْعُونَ أَلْفَ ذَوَابَةٍ مِّنْ خَلْفِهَا مِثْلَ الشُّمُوسِ وَصَائِفَا حِمَالِهَا»

علاقاته: ينتمي أبو حمزة إلى قبيلة بني خَرُوص، وهي قبيلة لها مكانتها السياسية والاجتماعية والعلمية، فلا غرو أن تكون له علاقة مع ذوي النفوذ من الشخصيات السياسية والاجتماعية والعلمية؛ فقد ارتبط بعلاقات مع سلاطين ذلك العصر وأمرائه، كبني نبهان وبني صلت.

وتاريخ بني صلت لم تدونه السير العُمانية، فهو أشد غموضاً من تاريخ بني نبهان؛ لذلك لم أجد مصادر أستعين بها في تتبع علاقات الشاعر مع شخصيات عصره، واتصاله بعلماء زمانه وأهل الفضل منهم. إلا ديوانه، فاعتمدت عليه.

فمن خلال تتبع الدارس للديوان، وجد أن الشاعر كان مرتبطاً بعلاقات مع أهل العلم والفضل من مدن عمانية مختلفة مثل: غريب بن محمد وأولاده من أهل سمائل، وعبدالله بن أسد الأغبري وولده أسد؛ من أهل نَحْل، وعبد السلام بن أبي الحسن وأولاده من أهل الرستاق.

(١) ينظر ابن رَزِيْق - الصحيفة القحطانية ٣٨٢/٢.

(٢) محمد بن يوسف اطفيش - الجنة في وصف الجنة. وزارة التراث في سلطنة عمان - مطبعة أمون القاهرة ١٩٨٣ ص ١٢٥.

أما عن علاقته خارج عمان؛ فمما توصل إليه الباحث، رسالة وجهها الشاعر إلى إباضية أهل المغرب؛ ذكر فيها علماءهم وعبادهم ومناطقهم.

وكانت له علاقة مع السلطان المظفر بن سلطان بن محسن النبهاني: وكان السلطان مظفر على أغلب الظن يقرب الأدباء والشعراء في مجلسه ويعطيهم الهبات، وهم يشنون عليه ويحلونه بقصائدهم^(١):

ولما نزلنا في جماء مظفر فعَارَضْنَا مِنْ سَعْدِهِ السَّعْدُ سَانِحَا
أَحَالَ لَنَا الْأَجْدَادَ مِنْ سَعْدِ جَدِّهِ سَعُودًا وَقَدْ كَانَتْ نُحُوسًا ذَوَابِحَا
فَلَا زَالَ بُولِينَا نَفَائِسَ مَالِهِ وَثَوَلِيهِ عَنْهَا كَالْعَبِيرِ مَدَانِحَا

وفي المناسبات يقدمون له التهاني، كحلول شهر الصوم وحلول العيد، فهذا ابن الملوّح يهنئه بشهر رمضان المبارك ثم حلول عيد الفطر، فيقول^(٢):

وإن عِشْتُ والمولى المظفرُ لي جَمِي فَلَمْ أَخْشَ كَلْبَ الدَّهْرِ مَا عَاشَ نَابِحَا
فَلَا زَالَتْ الْأَقْدَارُ مِنْ بَعْضِ جُنْدِهِ وَآرَاؤُهُ لِلْمُعْضِلَاتِ مَفَاتِحَا
لِيَهْنَأَ بِعِيدِ الْفَطْرِ وَالصَّوْمِ قَبْلَهُ وَأَعْدَاؤُهُ لِلْعِيدِ عَادَتُ ذَبَانِحَا

ويحتمل أن أبا حمزة قد ترك ولده حمزة عند السلطان مظفر لطلب العلم، يدلنا على ذلك قوله^(٣):

أبا الشُّبْلِي خُذْ حَظًّا مِنَ الْعِلْمِ وَالتَّقَى تَعِشْ فِي جَمِي الْمَوْلَى لَعَلَّكَ نَاجِحَا

وللشاعر آراء ومبادئ وآداب لمقابلة السلاطين والجلوس في حضرتهم والاستماع إلى أحاديثهم، بل وأدب الدخول في بيوتهم مع أهلهم وذويهم.

عرض هذه الآداب والأخلاق في نصائح ومواعظ أرسلها لابنه كي يتحلى بها أمام السلطان المظفر، إذ قال^(٤):

وَكُنْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُطِيعًا لِأَمْرِهِ كَدِيكَ السُّمَّا بِالْخَمْسِ مَا زَالَ صَادِحَا
وَفِي بَيْتِهِ أَعْمَى فَكُنْ إِنْ دَخَلْتَهُ وَكُنْ أَخْرَسًا مَهْمَا خَرَجْتَ مُصَافِحَا
إِذَا شَرَحَ السُّلْطَانُ فَاسْمَعْ لِشَرْحِهِ وَإِيَّاكَ لَا تَشْرَحْ لِمَا كَانَ شَارِحَا
إِذَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ أَمْتَحَكَ الرُّضَى فَكُنْ مِنْ سَجَايَاهُ الشَّرِيفَةِ مَانِحَا

(٢) نفسه ١٣٢.

(١) الديوان (الخطوط) ١٢٩.

(٤) نفسه ١٣٠.

(٣) نفسه ١٢٩، ناجحا من حقها الرفع، لأنها خبر لعل.

ويأمر ولده أن يثني على السلطان إذا غصّ المجلس بالقوم، فقال^(١):

ولا تُخسِرِ الميزانَ مِنْ مَنْطِقِ الثَّنَا إذا حَقَلَ الناديُ تَعِيشَ فيه رابحاً

وكان على علاقة مع ملوك بني صلت الذين كانت لهم دولة في الرُستاق وتخل ووادي بني خروص، فالشاعر تربطه بهم صلات صداقة.

ومن بين أولئك الملوك، السلطان أبو العرب بن أبي العربي بن الصلت، تدلنا على هذه العلاقة تعزية ابن غسان لهذا السلطان في ابنته فاطمة، فمما قاله^(٢):

ظَنَنْتُ قُبَيْلَ فـَاطِمَةَ ظَنُونَا بَأَنْ تَبْقَى كَأَنَّ بِنَا جُنُونَا
وَمَذْ مَاتَتْ فَمَزَقْنَا الْجَفُونَا نُصَلُّ عَلَى الْفَقَائِدِ أَوْ نَبِيتُ
وَلَوْلا أَنْ حِلْمَكَ وَالْمَنَايَا مَقْدَرَةٌ عَلَى كُلِّ الْبَرَايَا
لَأَقْنَتُ حِلْمَنَا هَذَا الرِّزَايَا وَمَا أَنْ لَدَى لِي شَرْبٌ وَقُوتُ

ويحتمل أن أبا العرب هذا كان يهوى الأدب والشعر ويقرب إليه الشعراء، فابن اللواح لا يجد بداً من الثناء عليه مادام يرى معروفاً وفضلاً منه؛ فلذلك يقول^(٣):

وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى الْحَادِثَاتِ إِذَا مَا عِشْتُ لِي فِي الْحَادِثَاتِ
أَبَا الْعَرَبِ الْمُحَامِي الْحَاذِيَاتِ وَعَاشْتُ لِي الْمُنَى غَيْرَ الصُّلُوتِ

ولما تُوفي أبو العرب المكنى أبا مالك رثاه ابن غسان بقصيدة أشار فيها إلى الذي خلفه في الملك، وهو فتى صغير السن اسمه محمد - لعله ولده - فمن هذه القصيدة قوله^(٤):

أَبَا مَالِكٍ مَنْ لِلْمَعَالِي يُشِيدُهَا خِلَاقَكَ مَذْ أَتَّبَتْهَا بِالْدَعَائِمِ
فَمَا فَقِدْتَ مَذْ كُنْتَ أَمْلَأكُ حِمِيرٍ وَلَا لِسِوَاكَ الْحَمْدُ عِنْدَ الْمَوَاسِمِ
أَبَا الْعَرَبِ الزَّاكِي ابْنَ بِلْعَرَبِ الْفَتَى ابْنِ مَنْ صَلَّتِ الْحَيَا ذَا الْعُمُومِ الْعَمَامِ

وللشاعر علاقة مع السلطان محمد بن بلعرب بن صلت الصلتي - ولعله ابن السلطان بلعرب الذي ذكرناه سابقاً - وقد كتب له قصيدة مدحه فيها وهنأه بعمره الجديد، فمنها^(٥):

يَهْنَأُ بِكَ الْعَرِسُ الْجَدِيدُ مُحَمَّدُ بِسُعُودِ إِقْبَالٍ عَلَيْكَ تَجَدُّدُ

(١) الديوان (المخطوط) ١٣٠ .

(٢) الديوان (٢/ ١٢٣) .

(٣) الديوان (٢/ ١٢٤) .

(٤) الديوان (٢/ ٢٣٩) .

(٥) الديوان (المخطوط) ١٣٩ .

ومنها (١):

واليك من شجر الكلام قصيدة لِسِوَاكَ تَأْبَى يَا مُحَمَّدُ تَقْصِدُ
لَوْلَاكَ مَا نَطَقْتُ لِسَانِي بَعْدَهَا ظَهَرَ الْمَشِيبُ وَحَلَّ خَالُ أَعْهَدُ
جَلَدْتُ لِي حُسْنَ الْقَرِيحَةِ بَعْدَهَا دَرَسْتُ وَكَادَتْ يَا ابْنَ صَلْتٍ تُلْحَدُ

وواضح أن هذه القصيدة قالها في شيخوخته بعد أن انقطع عن قول الشعر، وعندما تقدمت السن بأهوي السلطان محمد، رعى أبو حمزة تلك السيرة، فنصح للسلطان أن يبرّ والدیه، وأن يرفق بهما في شيخوختهما، مما يدل على حسن الصحبة، ووثاقة السيرة بينهما، فقد قال له (٢):

وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ أَجَلُ شَيْءٍ فَالْزَمْ فِيهِمَا الصَّبْرَ التَّزَامَا
فَلَا تَجْعَلْ خَتَامَهُمَا جَفَاءً بَلِ الْحُسْنَى لَهُمْ مَنَّكَ الْخِتَامَا
فَارْفُقْ بِالْأَبِ الزَّاكِي وَأُمِّ تَعِشْ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ إِمَامَا

وكان على علاقة مع غريب بن مُحَمَّد بن خَاطِرٍ وأولاده من أهل سمائل، وارتبط سالم بن غسان مع غريب بن محمد وأولاده؛ خاطر ومبارك وخنجر؛ بأخوة في الله، إذ ليس بينه وبينهم قرابة نسب، وإنما هي أخوة في الله، وعندما زجت يد الزمن بالشاعر بعيداً من أصحابه، تمنى أن تجتمع بينهم الأيام، فقال (٣):

لِتَجْمَعَ الشَّمْلُ مِنْ قَوْمٍ أَوْدُهُمْ فَيَكُ الْإِلَهُ بِهِمْ أَرْجُوكَ تَجْمَعُنِي

ويتشوق إليهم وإلى بلدتهم سمائل في رسائله، ويدعو لها بالسقيا (٤):

سُقِيتَ سَمَائِلُ كُلُّ يَوْمٍ صَيِّبًا هَطَلًا يَوَاصِلُ وَيَلُهُ بِسِجَالِهِ
بَلَدُهَا قَلْبِي اسْتَقَرَّ وَمَقَلَّتِي قَهْمًا لَشَحْطِ الْبَيْنِ مِنْ خِلَالِهِ
فِي بَقْطَتِي يَرْتَاعُ قَلْبِي عِنْدَهُ أَوْ نِمْتُ طَارَحَنِي خِيَالُ خِيَالِهِ
لَا أَبْتَغِي عَنْهَا الْبَدِيلَ وَأَهْلَهَا لِمَحَبَّتِي فِيهَا هُدَى إِبْدَالِهِ
ومدينة سمائل كهيرة (٥).

(١) الديوان (المخطوط) ١٤٩.

(٢) نفسه ١٤٢، ١٤٣.

(٣) نفسه ٤.

(٤) نفسه ٢٠، ٢١.

(٥) سمائل: مقسمة إلى سمائل العليا وسمائل السفلى، وكل من العلاية والسفالة متسع الأرجاء.

والشاعر يحدد مقر أصحابه منها، فيقول: (١)

على الحاجر القُرْبَى مِنْ ذِي سَمَائِلَ تحيةً مشتاقٍ عميدِ الهلابلِ

ويقول في موضع آخر (٢)

يا نازلي الحاجرِ القُرْبَى لا بَرَحْتُ مِنِّي التَّحِيَّةُ فَيَكُمُ بِالشَّنا نَفَحْتُ
لي في سَمَائِلَ حاجاتٍ جَنَحْتُ لها يا لَيْتَها لي علي شَحَطِ النوى جَنَحْتُ

وربما سكن خاطر بن غريب في الحاجر الشرقي إذ قال عنه المُلَوِّحِي (٣):

يا نازلي الحاجرِ الشرقي لا فُقِدْتُ أخلاقُكُمْ ومواليكُمْ فلا فُقِدا

وقد أشار الشاعر إلى أسماء أبناء غريب بن محمد، فقال (٤):

لَكَ خَاطِرٌ ومباركٌ يا خِنْجَرٌ وُدًّا على وُدِّ صفاكُمْ زادني

وفي بيت آخر، يقول (٥):

مُباركٌ يا رُكني القوي وخِنْجَرٌ إذا جِئنا ليلَى الشَّرِيفَةِ قل لها...

وعندما توفي غريب بن محمد السَمائِلِي، رثاه ابن اللواح بقصيدة مطلعها (٦):

المرءُ لا زالَ في دُنْياهُ كالعَرَضِ صَمِيمُهُ لسَهامِ الموتِ كالغَرَضِ

وعندما توفيت زوجة غريب بن محمد - أم أبنائه - رثاها الشاعر بقصيدة، ولم يشر إلى

اسمها، بل أشار إلى أبيها وهو موسى، وقد توفيت بعد زوجها غريب بن محمد.

وخاطر بن غريب له مكانة خاصة عند الشاعر - من بين إخوانه - يخصصه بالمدح ويكن له

المحبة الخالصة، ويحليه بغرائب ألفاظه وبنات أفكاره، فهو يقول له (٧):

وإن دَامَ لي ما دُمْتُ في العُمُرِ خَاطِرٌ فَمَا أنا لِلعُمُرِ الطَوِيلِ مَثُولُ
أخي ثِقَتِي ذَخْرِي سِنَادِي وَصَفْوَتِي مَبْرِي إِذَا خَانَ الخَلِيلَ خَلِيلُ
أخي يا أخي فَيَ اللهُ لَكَ دُنا لنا بعدَ إيضاحِ المشيبِ رَحِيلُ

وهو الذي يستصفيه عن غيره ويستأنسُ بصحبته، فقد طلب ابن اللواح من خاطر أن يصحبه

إلى الحج، فقال له (٨):

(١) الديوان (المخطوط) ٢٩ . (٢) نفسه ٢٦ ، ٢٧ . (٣) نفسه ٧ . (٤) الديوان ١/ ١٧٨ .
(٥) نفسه ١/ ١٨٩ . (٦) نفسه ٢/ ١٦١ . (٧) الديوان (المخطوط) ١٥ . (٨) الديوان ١/ ١٢٦ .

تَاهِبُ لَا عَدَمْتُكَ فِي جُمَادَى إِذَا مَا كُنْتُ حَلَمِي لِلْمَدِيدِ
وَأَنْ تَكُ أَمْلَكَ الْخَدْرَاءُ عَصَا فُلَسْتُ لَهَا بِعَاصِرٍ أَوْ عَنِيدِ
فَمَعْنُورٌ وَعَرَفْنِي لَعَلِّي أَحَاوِلُ صُحْبَةً لِأَخٍ جَدِيدِ
إِذَا مَا الْمَاءُ عَزَّ عَلَى الْمُصَلِّي فَمُقْضٍ مَنْ تَيْمَّمُ بِالصَّعِيدِ
فإذا كان خاطر لا يستطيع مصاحبة الشاعر للحج بسبب ظروف أمه، فإن أبا حمزة يرى
صحة غيره كالتييمم بالتراب إذ أعدم الماء للمصلي أو للمتوضئ.

ويتبادل الشاعر مع خاطر بن غريب وإخوته التهاني بالمناسبات، فعندما هنا خاطر الشاعر
بسلامته من الجنود التي عارضته، ولجأته من ركوب البحر، ردَّ عليه ابن اللواح بقوله (١):

هَنَاتْنِي بِسَلَامَاتٍ ظَفِرْتُ بِهَا بِمَوْقِفٍ قَدْ نَسِيَ نَوْحاً بِهِ سَامُ
وَالْمَوْتُ فِيهِ بَدَتْ مِنْهُ نَوَاجِذُهُ وَأَوْضَحَتْ لِلْمَنَابِا فِيهِ أَعْلَامُ
نَجُوتُ مِنْهُ وَعَيْنُ اللَّهِ كَالْيَهُ وَالْخَلْقُ لَيْسَ لَهُمْ نَقْضُ وَإِبْرَامُ

وقد هنا الشاعر غريب بن محمد بنجاته من البحر عندما كان قاصداً حج بيت الله الحرام، إذ
رمى ماله في البحر ولجأ بنفسه، فقال له (٢):

قَصَدْتَ الْحَجَّ كَيْ تَمْحُو ذُنُوباً وَأَتَى يَا غَرِيبُ لَكَ الذُّنُوبُ

وعندما تزوج ولد ل خاطر بن غريب وهو خلف، هنا الشاعر بقصيدة منها (٣):

وَالْعَرِيسُ يَهْتَأُ بِهِ الزَّاكِي الْفَتَى خَلْفُ بِهِ فَقَدْ سَعِدَتْ لَمَّا بِهَا سَعِدَا
سَارَتْ إِلَيْهِ مَسِيرَ الشَّمْسِ قَاصِدَةً لِسَعْدِهَا حَمَلٌ لَمَّا بِهَا اقْتَصَدَا
لَا زُحْزَحَتْ عَنْهُ مَدٌّ فِي بُرْجِهَا رَكَدَتْ وَلَا ذَوَى بَرْجِهَا عَنْهَا وَقَدْ رَكَدَا
عَاشَا كَمَا عَاشَ لُقْمَانُ وَأَنْسَرُهُ مَجْدُاً وَعِزّاً وَعِيشاً دَغَقْلَا رَغْدَا

وعندما ذهب إخوة خاطر بن غريب إلى حج بيت الله الحرام، بقي خاطر يلبي أمورهم. إلا أنه
جزع لفراق إخوته، فأخذ ابن اللواح يصبره ويأخذ بيده، فقال له (٤):

لَا تَجْزَعَنَّ وَعَنْكَ الْإِخْوَةُ اعْتَمَدُوا قَبْرَ النَّبِيِّ وَلَيْلَى وَالْمَقَامَاتِ
اللَّهُ يُرْجِعُهُمْ فِي خَيْرٍ مُنْقَلَبٍ بَعْدَ انْقِضَا الْحَجِّ فَرَضاً وَالزِّيَارَاتِ
وَاللَّهُ يَرْزُقُهُمْ أَضْعَافَ سَعْيِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ رِيحِ التَّجَارَاتِ

(١) الديوان (المخطوط) ٨٠. (٢) نفسه (٨٠).

(٤) نفسه ١٢.

(٣) نفسه ٧.

واستمرت صداقة الشاعر الحميمة مع أولاد غريب بن محمد، منذ شباب الشاعر إلى أن شاب (١):

رَاعَيْتُكُمْ عَصْرَ رِيْعَانِ الشَّبَابِ إِلَى شَيْبِي وَإِخْلَاصُكُمْ مَا عِشْتُ رَاغَانِي
فهو معهم بقلبه، وإن زجت به الأيام بعيداً عن ديارهم، يرسلهم بقصائده ويشني عليهم فيها،
وهم يرسلونه بكرمهم (٢):

بِمَجْدِهِمُ وَالثَّنَا فِيهِمْ بِهِمْ نَطَقْتُ فِي كُلِّ نَادٍ لِسَانَ الْحَمْدِ قَدْ شَرَحْتُ
أَهْدِي لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ حِكْمَةً فَإِذَا وَعَتْ صُدْرُهُمُ الْفَاطِظَهَا انْشَرَحَتْ
لِيَعْلَمُوا أَنَّنِي لَمْ أَنْسَهُمْ أَبَدًا دَتَتْ دِيَارُهُمْ سِيَّانٍ أَوْ نَزَحَتْ

ولعلَّ الشاعر قد ترك أحد أبنائه عندهم لطلب العلم، تدل على ذلك مراسلته لهم، وطلبه إليهم أن يبلغوا سلامه ولده، فقال (٣):

وَقُرَّةَ عَيْنِي بَلَّغُوا تَحِيَّتِي وَخُصُّوا عَلَيَّانَا تَحِيَّاتِ بَاسِلٍ

ومما هو جدير بالذكر أن سمائل في عصر سالم بن غسان كانت في أيدي العُمَيْريين، وكان الشاعر مرتبطاً معهم بصلات، وربما أغدقوا عليه العطايا والهبات، وفي هذا دليل على أن أمراء ذلك العصر كانوا يقربون الشعراء وأهل العلم والفضل إليهم، من أولئك الأمراء الأمير علي بن سنان العُمَيْري الذي قرن الشاعر ذكره بفضله على الخلق في ذلك الزمان وأياديه الجسام، إذ قال (٤):

وَأَنْ بَقِي فِي ذُرَا الْعَلِيَّا أَبُو حَسَنٍ فَالْخَلْقُ وَالْدَّهْرُ فِي نِعْمَاهُ كُلُّهُمْ
فَاخْلَعْ نِعَالِيكَ فِي نَادِيهِ مُحْتَشِمًا تَأْتِيكَ مِنْهُ الْأَيَادِي الضُّخْمُ وَالْحَشْمُ
وَاشْكُو لَهُ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ مُنْتَصِفًا فَإِنَّهُ الْخِصْمُ لِلشَّدَاتِ وَالْحَكْمُ

وكانت له علاقة مع عبدالله بن أسد الأغبري النخلي وولديه، فقد ارتبط ابن اللواح بعلاقة وثيقة مع الشيخ العلامة عبدالله بن أسد النخلي وولديه؛ أسد ومحمد، وهذا الشيخ وولده من أعلام الفقه والأدب في ذلك العصر، ومسكنهم بلدة نخل، وبالتحديد في محلة الغريض (٥):

(١) الديوان (المخطوط) ٣٥.

(٢) نفسه ٢٧.

(٣) نفسه ٣٠.

(٤) نفسه ٤١.

(٥) نفسه ٩٣.

سَلَامُ اللَّهِ زَارَكُمْ وَحَمْدُ يُقَسُّ مَا بَعَثَنَاهُ الْعُرُوضَا
يَخْصُكَ وَالْأَبَ الزَّاكِي وَحَسْبِي شَقِيقُكَ وَالَّذِي نَزَلَ (الْغَرِيضَا)
وَعُمُّ جَمِيعِ مَنْ وَالَاكَ دِينَا يَنْخُلُ كَانَ عِلْقَا أَوْ نَقِيضَا
سَقَى نَخْلًا وَسَاكِنَهَا سَمَاءُ يَطْبُقُهَا الشَّوَامِخُ وَالْأُرُوضَا

ويرى الشاعر أن الشيخ عبدالله بن أسد وولديه أسد ومحمداً هما غايات أمله وسنده (١):

عَبْدُ الْإِلَهِ وَشَبِيلُكَ الَّذِينَ هُمَا غَايَاتُ سُرُلِي وَتَطْلَابِي وَإِسْنَادِي

إذ يرى أنهم سندا للمذهب الإباضي في عصرهم، فهم كالزيتونة المباركة (٢).

مَا عِشْتَ فَالِدِينُ الْإِبَاضِي أَيْضُ أَوْ مِتُّ مِنْكَ وَعَنْكَ غَيْرُ الذَّاهِبِ
فَلَعْنُكَ تُسَنِّدُهُ بَنُوكَ لِكُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ أَعَاجِمٍ وَأَعَارِبِ
فَقُلُوبُكُمْ كَالدُّغْنِ مِنْ زَيْتُونَةٍ زَهْرَاءُ ذَاتِ مَشَارِقٍ وَمَغَارِبِ

ويشيد الشاعر بأسد بن عبدالله وأخيه محمد في أدبهما وذلك في خطابه لأسد قائلاً له (٣):

فَنَشْرُكَ فَهُوَ مَنْظُومُ اللَّكِّي وَنَظْمُكَ فَهُوَ سِمْطُ جَوْهَرِي

وفي خطابه لمحمد بن عبدالله، يقول له (٤):

أَمُولَانَا وَيَا مَوْلَى الْقَوَافِي وَكُلُّ مُنْجَبٍ يَنْزَرُ النَّجَابَا

وأغلب الظن أن عبدالله بن أسد وأولاده من قادة أهل نخل يدلنا على ذلك قول الملوحي (٥):

لَوْلَا الْغَرِيضُ وَقَادَاتُ الْغَرِيضِ بِهَا غَلَقْتُ رَهْنًا وَمَا بِالرَّهْنِ مِنْ قَادِي

وعندما توفيت ابنة لأسد بن عبدالله، عزاه الشاعر بقصيدة منها (٦):

أَيَا أَسَدَ الْبَارِي نَعَزِيكَ وَالْأَسَى لَعَمْرُكَ فَيُنَا مِنْكَ زَادَ عَلَى الْحَدِّ
فَحَزَنُكَ يَا نَوْرَ الْإِبَاضِي بَعْضُهُ لِيُحْرِقَ مِنَّا مَعْلَقَ الرُّوحِ لَا الْجِلْدِ

وقد عزاه في زوجته أيضاً، بنظم ونثر، وتظهر على النثر الكلفة والتصنع اللفظي، إلا أن

النظم غير موجود في الديوان المطبوع.

وللشاعر مكاتبات مع الشيخ عبدالله بن أسد، إذ كان الشيخ عبدالله في نزوى، وكانت له ولاية عليها، بل ربما كان قاضياً فيها، وكان الشيخ عبدالله يرسل الشاعر وابن

(١) الديوان (المخطوط) ١١١. (٢) نفسه ٩٧. (٣) نفسه ١٠٨.

(٤) نفسه ٩٩. (٥) نفسه ١١٢. (٦) الديوان ١٣٤/٢.

اللواح يرد عليه، فيقول(١):

عَبْدُ إِلَهِ بِكَ الْكِتَابُ قَدْ اتَّسَى
قَبْلَتْهُ تَقْبِيلِي الْحَجَرِ الَّذِي
إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا(٢):

وَبَقِيَ الْفَتَى أَسَدُ الرِّضَى وَمَحْمَدُ
وَبَقِيَ لَكُمْ أَسَدُ بِأَسْعَدَ دَوْلَةٍ
فِي دَوْلَةٍ بِكَ عُمَرْتُ لَنْ تُحْتَوَى
مَحْرُوسَةٍ مِنْ مَوْبِقَاتٍ أَوْ تَوَى

وكانت للشاعر مراسلات مع الشيخ أسد بن عبدالله، إذ كان الشيخ أسد من قراض الشعر ومتذوقي الأدب وكذلك والده، فلذلك، نرى بعض القصائد التي يرسلها شاعرنا للشيخ عبدالله وابنه أسد تظهر عليها الصنعة اللفظية والمحسنات البديعية، فكأنه يريد أن يستعرض لهم ثقافته وتمكنه من نظم القريض ومسكه لزمام اللغة، فقد أرسل قصيدة جواباً للشيخ عبدالله بن أسد، وهي غاية في التكلف والصنعة، إذ جعل الحرف الأول من كل بيت متسلسلاً على حروف الهجاء، بدءاً من الحاء حتى انتهى إلى الياء، وجعل لكل حرف بيتين، فمن هذه القصيدة قوله(٣):

دَمَلْتُ الْجُرْحَ مِنْ صَبْرِي
ذَهَلْتُ الْعَمَلُ مِنْ وَلَهِي
رَحَلْتُ وَبِي هَوَى مِنْكُمْ
رَمَلْتُ لَكُمْ لَكِي أَسْلُو
زَجَلْتُ لَكُمْ جَسْوَى لَمَّا
زَمَلْتُ ضَعْفَانِي عَنْكُمْ
وَجَرَحُ الْبَيْنِ مَادَمَلَا
وَمَنْ يَبْلَى بِهَذَا ذُهَلَا
فَمِمَّا عَنَى بِكُمْ رَحَلَا
وَمَنْ ذَا يَحْكُمُ الْبَرْمَلَا
سَمِعْتُ الرُّعْدَ قَدْ زَجَلَا
فَلَيْتَ الْجَدُّ مَا زَمَلَا

وعندما كتب الشيخ أسد بن عبدالله قصيدة ميمية وأرسلها للشاعر، أجابه ابن الملوح بميمية مثلها على الوزن والرمي، أظهر عليها الصنعة البديعية وردّ الأعجاز على الصدور، قال في مطلعها(٤):

مُدَامُ اشْتِيَاقِي وَالتِّيَاعِي إِلَيْكُمْ
مُوَامِي الْجَوَى تَهْنَأُ بِهَا بَعْدَ بَعْدِكُمْ
مُشَامِي بُرُوقاً لَامِحَاتٍ يَمُرُّنَكُمْ
سَكَرْتُ بِهَا لَا سَكْرَ شَرْبٍ مُدَامُ
وَلَا كَمُوَامِي الْبَيْنِ تَيْهَ مُوَامِي
أَذَابَ فُؤَادِي مُذْ أَشْمْتُ مُشَامِي

(١) الديوان (المخطوط) ٩٠ . (٢) نفسه ٩٠ .

(٣) نفسه ١٠٢ ، ١٠٣ . (٤) نفسه ٨٦ .

وكان على علاقة مع عبد السلام بن أبي الحسن الرستاقى، ومن أولى مكاتباته لأهل الرستاق مكاتبته للشيخ عبدالسلام بن أبي الحسن بقصيدته الميمية التي أجاب بها الشيخ عبد السلام التي مطلعها (١):

هو الرُّوضُ عن ثغر الكواكب بِاسْمِ مُشَقَّقُهُ أَذْيَالُهُ وَالْمَاكِمْ
بِهِ بَكَرَتْ مِنْ سَارِيَاتِ غَوَادِيَا وَرَاحَتْ مَرَاخِ الشُّوْلِ فِيهِ غَمَائِمُ

وللشيخ عبدالسلام من الأولاد الذين ذكرهم ابن غسان: نَجْدَةُ، وأبو راشد؛ لعله المهدي بن عبد السلام، نرى ذلك في البيتين التاليين (٢):

أَبُوكَ أَبُو الْعَلِيَا وَصِنُوكَ صَالِحُ بِهِ صَلَحَتْ أَذْيَانُنَا وَالْأَقْسَالِمُ
وَنَجْدَةُ فِي كُلِّ الْمَكَارِمِ مُنْجِدُ وَهُوَ رَاشِدُ الْمَهْدِي جَوَادُ وَعَالِمُ

ويشير أيضاً إلى أن أبناء عبدالسلام من علماء أهل الرُّسْتَاق، فالشيخ نَجْدَةُ، شاعر وأديب وعالم بالفقه وأصوله، وربما كان متصديراً للفتوى في عصره، فما يدلنا على أنه شاعر قول أبي حمزة (٣):

أَمْوَالِي التَّرَافِي السَّاتِرَاتِ مِنَ الْخَنَا فَلَا لِبَسْتِ عَاراً وَلَا كَسَبْتِ إِثْمَا

وما يدل على أنه واسع المعرفة بالفقه وأصوله وتصدره للفتوى، قول أبي حمزة (٤):

عَقَدْتُ حَبَا الْفُتَيَاءِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ تَرُدُّ وَلَاءُ الْحُكْمِ فِيهِ لَكَ الْحُكْمَا
يَمِينَا لَوْ اسْتَفْتَاكَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجُمْلَةُ مَنْ فِي الْأَرْضِ أَوْسَعَتْهُمْ عِلْمَا

والشيخ صالح أخو عبد السلام حبرٌ عالم ذو كرم وعفة، قال ابن اللواح في رسالته التي وجهها إلى أولاد عبد السلام (٥):

يَعْمُ بَنِي عَبْدِ السَّلَامِ جَمِيعُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَخْصُوصاً بِهِ الْخَبْرُ صَالِحُ
فَتَى مَلَأَ الدُّنْيَا عَفَافاً وَنَانِلًا فَنِي جُودِهِ حَقٌّ وَفِي الْحِلْمِ قَارِحُ

وقد أشار ابن اللواح إلى بعض صفاته الأخرى بقوله (٦):

تَرَى النَّاسَ وَقَافاً عَلَى بَابِ دَارِهِ كَمَا وَقَفْتُ بِالْبَيْتِ رَكْبٌ مَشَائِحُ
فَمِنْ طَالِبٍ عِلْماً وَمِنْ طَالِبٍ غِنًى وَمِنْ مُسْتَقِلٍّ عَشْرَةَ فَهُوَ صَالِحُ

(١) الديوان (المخطوط) ١٤٣. (٢) نفسه ١٤٦. (٣) نفسه ١٥٤.

(٤) نفسه ١٥٥. (٥) نفسه ١٤٩. (٦) نفسه ١٤٩.

وعندما توفي الشيخ نجدة؛ رثاه أبو حمزة بقصيدة مطلعها (١): .

لا جَدَّدَ اللهُ في ما بَيْنَكُمْ حَزَنًا مِنْ بَعْدِ ما الصَّبْرُ في مجرى الإِسارِ دنا

ولابن غسان مكاتبات مع إباضية أهل المغرب، إلا أنه لم يصل إلينا شيء منها إلا قصيدته الهائية التي قدم لها بمقدمة ثرية، ومطلعها (٢):

ما رَوْضَةٌ باتَ سارِبها يُباكِرها وَرَاحَ فيها مَرَّاحُ الشُّولِ ما طَرَّها

وجه الشاعر هذه القصيدة تحية سنية أهداها إخوانه المغاربة، وشاها بذكر قرى جبل نفوسة وجربة وقصور بني مصعب، وامتدح فيها أئمة الفرس الرستميين وحملة العلم من المشرق إلى المغرب، وجملة من مشاهير فحول علماء المغرب وعباده.

وسندرس هذه القصيدة، في دراستنا للإخوانيات، من الفصل الثاني.

(١) الديوان ٢/ ٢٦١.

(٢) ابن رزيق، الصحيفة القحطانية ٢/ ٣٩٨.

الفصل الثاني

شعره

الفصل الثاني شعره. دراسة موضوعية

الديوان :

أصدرت وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان ديوان سالم بن غسان المَلُوحِي الخُرُوصِي، وخرجت الطبعة الأولى منه عام ١٩٨٩م بتحقيق محمد علي الصليبي، وحققه على نسختين- كما يقول- من ممتلكات دائرة المخطوطات والوثائق في وزارة التراث القومي والثقافة، إحداها تحت رقم عام (١٩٣٢) وخاص (٩٦ز) وتقع في (٣٥٧) صفحة، وهي بخط النسخ، وانتهى من نسخها سُلَيْمان بن سيف بن سعيد بن خَلْف بن خَمِيس بن مَسْعُود بن راشد بن زامل المَعُوكِي، يوم الأحد (٣٠ من شهر رجب سنة ١١٩٩هـ)؛ أي بعد الفترة التي عاش فيها الشاعر وهي سنة ٩٨١هـ - حسب ما استنتجته في الفصل الأول، بمئتين وثمانين عشرة سنة.

والثانية تحت رقم عام (٣٤٦٩) وخاص (٩٦ز) وتقع في (٣٧٥) صفحة،

نسخها سالم بن سعيد بن علي الصائغي، ولم يؤرخ تاريخ نسخه لها، وقد كانت في وادي بني خروص توجد نسخة لديوان الشاعر، وفي آخرها مراسلات نشرية لأدباء المغرب، منها مراسلات فقهية ولغوية وأدبية ملحقة بآخر الديوان^(١) ولكن هذه النسخة ضاعت.

ولقد عرف المحقق الشاعر، وعرض نماذج من شعره في المقدمة، وأثبت ترجمة الشاعر بقلم الشيخ مُهَنَّا بن خُلْفان الخُرُوصِي، كما أثبت مقدمة الشاعر للديوان.

وقد رتب المحقق قصائد كل باب حسب الحروف الهجائية، وَوَضَعَ عنواناً لكل قصيدة، وأثبت بحر كل قصيدة، سقط ذكر بحرهما في المخطوط، ورقم الأبيات، ووضع فهرساً لمطلع كل قصيدة، كما فسر بعض معاني الكلمات، وأخرج الديوان في جزأين.

وقد حافظ المحقق على تقسيم الشاعر نفسه لأبواب الديوان، فجاء الجزء الأول منه في أربعة أبواب:

الأول: في مدائح المولى سبحانه وتعالى.

الثاني: في مدائح ليلي الشريفة وتوديعها وتوديع مقاماتها ووداع منى وعرفات.

الثالث: في مدائح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

الرابع: في المدائح والمواعظ والدعوات.

والمتتبع للديوان يجد أن قصائد المدح غير موجودة في الجزء الأول ولا الثاني، وكذلك لا توجد أيضاً في النسخة الثانية من المخطوطة، وقد سقطت هذه القصائد.

وجاء الجزء الثاني في ثلاثة أبواب:

الأول: في مسائل شرعية واجبات.

الثاني: في التأيينات والمراثي.

الثالث: في مراعاة الإخاء والمكاتبات.

وقد لاحظت من تتبعي للديوان أن الباب الثاني جاء في النصائح والمعاتبات، والباب الثالث في التأيينات، وبهذا سقط باب مراعاة الإخاء والمكاتبات، ولعل ذلك يعود إلى المحقق، حيث لم يجد هذه القصائد في المخطوطة التي اعتمدها أصلاً ورمز لها بـ «النسخة»، فهذه القصائد موجودة في النسخة الثانية التي رمز لها بـ (نسخة)، فربما أسقطها؛ لأنه شك فيها، ويتضح ذلك من سؤاله التالي: «وما هي علاقة بعض القصائد التي أثبتت في النسخة الثانية، التي وقعنا عليها مجهولة التاريخ»^(١).

ومن قراءتي للديوان، وجدت قصيدتين في الجزء الثاني، إحداها في ص ٢٠٧، عاتب فيها الشاعر بعض الولاة، والثانية في ص ٢١٩، وهي نصيحة وجهها الشاعر إلى أهل نزوى، وموضع هاتين القصيدتين في الباب الثاني في النصائح والمعاتبات، إلا أنه قد أدرجن في الباب الثالث في التأيينات والمراثي.

ووجدت أيضاً في الجزء الأول قصيدة وضعت ضمن قصائد الحكم والمواعظ، وموضعها في الجزء الثاني ضمن المسائل الشرعية.

فعلى هذا قد سقط من الديوان المطبوع قصائد المدح والباب الثالث في مراعاة الإخاء والمكاتبات، وهذا الباب في النسخة المخطوطة الثانية.

ولعل المحقق رأى أن إخراج تلك القصائد في المكاتبات ومراعاة الإخاء ودمجها في قصائد النسخة الأولى يتطلب منه جهداً مضمياً، وربما يتعذر عليه إخراجها؛ لعدم وجود نسخة أخرى يستعين بها في بيان ما غمض عليه في تلك القصائد من عدم وضوح الخط، وسقط في الكلمات، واختلال في الأوزان، وغموض في الألفاظ والعبارات، لا يستبينها حتى المتخصص، إلا بالاستعانة بالمعاجم.

ويبدو أن المحقق لم يبين شكه على أسس علمية؛ لأن الدلائل تجعلنا نعتقد اعتقاداً جازماً أن تلك القصائد هي لابن اللواح.

فمن تلك الدلائل، أن النسخة التي اعتمدها المحقق أصلاً، كتب الناسخ عليها العبارة: «انتهت القطعة الأولى من ديوان سالم بن غسان اللواح (١)»، مما يدل على أن الشعر الذي ورد في تلك القطعة ليس كل شعر ابن اللواح، وأن هناك قطعة أخرى من شعره.

ووجود النسخة الثانية، وقد جاء فيها كثير من القصائد التي وردت في النسخة الأولى، إلا قصائد المكاتبات التي لم ترد في تلك النسخة، وكتابة ناسخ النسخة الثانية وهو سالم بن سعيد ابن علي الصائفي في آخر النسخة: - «تم ما انتخبناه من ديوان سالم بن غسان اللواح» - لدليل واضح أن تلك القصائد هي لشاعرنا.

إن القصائد التي وردت في المطبوع، والقصائد التي لم ترد فيه، وهي قصائد المكاتبات، يخرجن من مشكاة واحدة؛ فغرابية الألفاظ وجزالتها، وتكرار الألفاظ والعبارات وردت في المطبوع والمخطوط متماثلة. وإضافة إلى ذلك، فإن الأشخاص الذين رثاهم الشاعر وردت مراثيهم في المطبوع، وقد اتضحت لنا علاقته بهم في المخطوط، من مثل غريب بن محمد بن خاطر السمائي وأولاده خاطر ومبارك وخنجر، فقد جاء في المطبوع بعدد أسماء أولاد غريب بن محمد فقال: (٢)

لك خاطرٌ ومباركٌ يا خنجرٌ ودأً على ودٌ صفاكم زادني

وقد تبينت هذه العلاقة في دراسة الفصل الأول حول علاقات الشاعر. وذلك في مثل قوله: (٣)

أبنا غريب غريبات صنائعهم من فعلهم في جميع العالم الحسن
لا زال محضُ الثنا في كل طائفةٍ مني عليهم ومن أسدى الجميل ثني
يا خاطرُ بنُ غريب يا أخا كلم عني اغتربت فأوأها إلى الوطن
لولاكَ درُ كـلامِي راحَ مَنثَرًا مثلَ انتشارِ سباعن مأربِ اليمن

ففي هذه الأبيات، ذكر الشاعر خاطر بن غريب، وفي الأبيات التالية، يذكر مباركاً بقوله: (٤)

(١) الديوان ٤١/١ (١) الديوان (المخطوط) ٣٧٥. (٢) الديوان ١/١٧٨. (٣) الديوان (المخطوط) ٣. (٤) نفسه ٩.

مباركُ يا مَنْ لیسَ یَنسَى قَیْنَسی وَكُنَّا عَلَى قُرْبٍ وَیُعَدِّ فَمَا أَغْضَا
هَذَا یَاكَ أَمْشَاجٍ عَلَى الْبُعْدِ تَأْتِنَا وَكُتُبُكَ تُسَلِّیْنَا وَحَفْظُكَ مَا مَضَى
وَأَنْتَ كَمَثَلِ الزَّیْتِ بِشْفَى مِنَ الْأَذَى وَنُورٌ إِذَا مَا لَیْلَةٌ أَظْلَمَتْ أَضَا
أَأَیْنَا غَرِیْبٍ تَاجَ رَأْسِ زَمَانِکُمْ وَفِي الْجُودِ عَشْتُمْ سَنَةً الْجُودِ وَالْفَرْضَا
وَفِي الْأَبْیَاتِ التَّالِیَةِ، یَسْلَمُ عَلَى أَهْنَاءِ غَرِیْبٍ، وَیَخْصُ بِالذِّكْرِ مِنْهُمْ خَاطِرًا، إِذْ وَصَلَتْ لِلشَّاعِرِ
مِنْهُ بَعْضُ الرِّسَالِ، فِیْقُولُ: (١)

وَتَسْلِیْمِ یَخْصُ بَنِي غَرِیْبٍ عَلَى أَحْرَارِهِمْ وَعَلَى الْعَبِيدِ
وَلَا زَالَ الثَّنَا مِنِّي عَلَيْهِمُ مَتَى تَسْدِي بِهِمْ حَسْنَ النِّشِيدِ
طُرُوسُكَ خَاطِرَ الزَّاكِي أَتَتْنِي كَأَنْ سَطُورَهَا نَظْمُ الْفَرِيدِ
وَلَا یَشْكُ أَرِیْبٌ أَنَّ الْبَيْتَ الثَّانِي مِنْ هَذِهِ الْأَبْیَاتِ وَالْبَيْتَ السَّابِقَ ذَكَرَهُ فِي بَدَايَةِ هَذِهِ
الْصَفْحَةِ:

لَا زَالَ مُحَضِّ الثَّنَا فِي كُلِّ طَائِفَةٍ مِنِّي عَلَيْهِمْ وَمَنْ أَسْدَى الْجَمِیلِ تُنِي
یَصْدُرَانِ مِنْ مُرُودٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ لِتَكَرُّرِ الْأَلْفَاظِ وَالْعِبَارَاتِ وَالْمَعَانِي فِيهِمَا.
وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ أَنَّ الشَّاعِرَ أَقَامَ فِي مَدِیْنَةِ إِزْكِي وَاسْتَشْهَدَنَا بِالْبَيْتِ التَّالِي مِنَ الْمَخْطُوطِ: (٢)
فَجَسَمِي زَكٌّ فِي إِزْكِي مُقِيمًا وَقَلْبِي بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مَقِیمٌ
وَهَا هُوَ ذَا یُؤَكِّدُ فِي الْمَطْبُوعِ كَلَامَنَا، وَنَكْتَفِي بِالتَّمْثِيلِ لَهُ فِي مَوْضِعَيْنِ: أَحَدُهُمَا فِي الْبَيْتِ
التَّالِي، وَهُوَ یَخَاطِبُ خَاطِرَ بَنِ غَرِیْبٍ بِقَوْلِهِ: (٣)

بِإِزْكِي مُقَامِي عَنْكَ وَاللَّهُ شَاهِدٌ كَأَنِّي عَلَى ضِیْقِي بِكَفَّةٍ صَائِدٍ
وَالْبَيْتَ الثَّانِي كَذَلِكَ یَخَاطِبُ فِيهِ خَاطِرَ بَنِ غَرِیْبٍ: (٤)
وَمَا إِزْكِي زَكَّتْ عِنْدِي وَلَكِنْ مُقَامِي فِي قَضَا حَاجٍ مُفِیدٍ
وَعِنْدَمَا اخْتَارَ اللَّهُ غَرِیبًا بَنَ مُحَمَّدٍ، رثاه الشَّاعِرُ بِمِثْلَتَيْنِ (٥) وَرثَى بِنْتَهُ كَذَلِكَ، وَعِنْدَمَا تَوَفَّيَتْ
أُمُّ خَاطِرٍ وَإِخْوَتُهُ، وَهِيَ بِنْتُ مُوسَى بْنِ عَامِرٍ رثاها الشَّاعِرُ بِقَصِيدَةٍ. (٦)
وَتَبَيَّنَا أَنَّ لِلشَّاعِرِ عِلَاقَةً مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسَدٍ الْأَغْبَرِيِّ وَوَلَدِيهِ أَسَدٍ وَمُحَمَّدٍ، وَلَهُ قَصَائِدٌ فِيهِمْ
جَيِّدَةٌ (٧)، وَقَدْ عَزَى الشَّاعِرُ أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي ابْنَتِهِ وَزَوْجَتِهِ (٨).

(١) الديوان ١/ ١٢٦.

(٢) الديوان (المخطوط) ١١٦.

(٣) الديوان ١/ ١٢٦.

(٤) الديوان ٣/ ١٢٦.

(٥) ينظر ٢/ ١٦١، ٢٨١.

(٦) الديوان ٢/ ١٣٣، ٢٩١.

(٧) ينظر المخطوط من ٩٠-١١٧.

(٨) الديوان ٢/ ١٣٣، ٢٩١.

وفي النسخة المخطوطة، طلب الشاعر من صديقه خاطر بن غريب ألا يذهب إلى الحج إلا وهو في صحبته، فقال: (١)

وأما الحج لا تقصده دوني لتُسليكَ المنابرُ والمنارُ
بِعَهْدِ اللَّهِ بِجَمْعِنَا إِذَا مَا لَنَا أَقْبَلَتْ حَجٌّ وَاعْتَمَارُ

ثم طلب شاعرنا من خاطر بن غريب أن يتأهب للحج في شهر جمادى، وذلك في المطبوع فقال: (٢)

تأهبْ لا عَدمتُكَ في جمادى إِذَا مَا كُنْتَ حَلَمِي لِلْمَدِيدِ
وَإِنْ تَكُ أُمُّكَ الْخَدْرَاءُ عَاصِرُ فَلَسْتَ لَهَا بِعَاصِرٍ أَوْ عَنِيدِ

ذلك من حيث علاقاته؛ أما من حيث قبيلته وموطنه وولده، فقد قلنا: إنه من قبيلة بني خروص وهي من صميم الأزد، وقلنا: إن موطنه «ثَقَب» وأحد أولاده الذين حملوا عبء والدهم وخصه بالمحبة هو ولده حمزة وكنيته أبو الأشبال أو أبو الشبل، وسنستخرج هذه المعاني كلها من هذه القصائد الإخوانية، تأكيداً لصحة نسبتها لأبي حمزة، قال يخاطب ولده حمزة: (٣)

لَعَلَّ أَبَا الْأَشْبَالِ قَرَّ عَيُونَا وَطَابَ فَوَادَاً وَاسْتَقَرَّ سَكُونَا
وَأَسْدَى بَدَأَ فِي قَوْمِهِ حَاتِمِيَّةُ وَأَغْضَى عَلَى قَذَعِ الصَّدِيقِ جُفُونَا
إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا:

فَقُلْ لِبَنِي الْأَعْمَامِ أَزْدَ شَنَوَمَةٍ فَلَا يَسْتَثِيرُوا مَا يَكُونُ دَفِينَا
إِذَا الْمَرْءُ أَوْهَى بِالْعَصِيِّ ابْنَ عَمِّهِ يَعْيشُ وَإِنْ كَانَ الزَّعِيمُ وَهِينَا
أَلَّ خُرُوصٍ أَنْتُمْ ذُرْوَةُ الْوَرَى فَصَرْتُمْ بِشَتَانِ الْقُلُوبِ فَنُونَا

وفي موضع آخر، يخاطب فيه ولده حمزة بكنيته واسمه، فيقول: (٤)

أَبَا الشَّيْبَلِ يَا حَمْزَةَ فَاسْتَمِعْ مَقَالِي وَلِلْأَمْرِ مِنِّي أُطْعِ
أَوْصِيكَ يَا حَمْزَةَ إِنَّنِي عَلَى الرِّغْمِ كَأْسَ الرَّدَى مَجْتَرِعُ

ويؤكد في القصيدة نفسها أن حمزة هذا ولده، فيقول: (٥)

أَيَا وَلَدِي يَا أَمِينِي اسْتَمِعْ وَصَاتِي إِذَا كُنْتَ بِالْمَسْتَمِعِ

(١) المخطوط ٧٤. (٢) الديوان ١/١٢٦.
(٣) المخطوط ١٣٢. (٤) الديوان (المخطوط) ١٣٣.
(٥) نفسه ١٣٤.

وقال مخاطباً ولده، ويذكر بلدته «ثقب» ويذكر قومه وحكمهم وعدلهم ومقارعتهم للأعداء: (١)

وثقباً فدعها كعبةً فهي مكة تؤم لها الأعجام والحضر والبدو
ويحراً خضماً زآخر العلم طامياً جميع الورى منها على العل تورداً
أثيروا من الأرماس آل شنوية فكم لكم بيت المكارم شيدوا
فكم ملكوا برأً ويحراً يعدلهم وكم قدحوا زند الجهاد وأصلدوا
وكم جدعت أنف الأعداي سيوفهم وكم دوخوا أرضاً وسادوا وسودوا

وفي نفس القصيدة، يدعو لبلدته «ثقب» بالخصب، فيقول: (٢)

ولا جدبت «ثقب» ولا ساء دهرها ولا سامها بالخسف لحز مزند
ولا فارقتها السحب كل عشيبة بها البرق مستن بها الرعد يرعد
فتصبح كالفردوس بهجاً رياضها بأغصانها ورق الحمام يغرد
ولا برحت سكانها في سعادة عازاً وفي النعماء والفضل يحسدوا

ويقول: لا ألام إذا ما مدحت هذه البلدة، فلها فضل عليّ عظيم، فهي الأم التي أظلتني بسمائها وغذتني بغذائها، فإن لم أحدها، فأنا ظلوم جاحد لفضلها كما يقول: (٣)

ومن لاتي فيها إذا ما مدحتها فذو الفضل والآلاء بالحمد يحمد
هي الأم غذتني صبياً وشاباً وكم أرضعتني ثديها يوم أولد
فإن فاتي حمدي لها أنا ظالم جحود ومثلي فضلها ليس يجحد

أما ما يتعلق بجزالة الألفاظ وتكرارها وتقارب المعاني وانطباقها، فنضرب الأمثلة التالية في وصف الشاعر للرعد والبرق والمطر، فقد قال: (٤)

إذا البروق خبت هب النسيم لها فراح يورى زناد البرق زامرها
أو الرعود وتت عن الجنوب فلن تزال تملأ عبريها هوارها
كأنما البرق في حافات رجت عبس فصلت بذبيان بواترها
فسدت الأفق طرفيه طوارفها وحجرت محجر الحربا محاجرها
فانحل منعقد القطرين متبجساً كأنما الغيث للدحا قطائرها

(١) نفسه ١٣٨ . (٢) نفسه ١٣٩ ، حذف الشاعر نون (يحسدون) من البيت من غير جازم.

(٣) (٤) الصحيفة ٣٩٨/٢ .

(٢) نفسه ١٣٩ .

فإن هذه الأبيات مكررة عن الأبيات التالية بجزالة ألفاظها وتقارب معانيها وانطباقها، وهي من قصائد مراعاة الإخاء (١):

إذا خبا البرق هبت ريحٌ مَشْرِيقِهِ وهي الصبا فأثارتُهُ من الحُضْنِ
وإن ونى الرعدُ تحدوه الجنوبُ فلا تزال تبكي بكاشجو على شَجْنِ
فأنحلَّ عقدُ الحيا في الأرض منتشراً على الرياض انتشار اللؤلؤ الثمينِ

وهذه وتلك تكرار للأبيات التالية من المطبوع (٢):

وكُلِّما نأوحتُ فيه الجنوبُ صبا همى من المزنِ بالريحانِ وادُّه
متى خبا البرق شبتَه الصَّبا فغدتُ تنقضُ كالجمر منشوراً عقائده
وإن ونى الرعدُ تحدوه الجنوبُ فلم تنفكُ ترزم إرزاماً أيا نقه
فأوبلَ الويلُ حيثُ الطلُّ يقدمه والودقُ طفً وطاف الأكم غادقه

وكذلك الأبيات التالية مكررة عن تلك، وهي من المخطوط: (٣)

إذا خبا البرقُ هبتُهُ الصَّبا فغدا كمثُل قدح مشير الجمر وقادِ
وإن ونى الرعدُ تحدوه الجنوبُ فلا يزال في أثرها كالمطربِ الحادي
فأنحلَّ ذاك الحيا من كل ساحةٍ ذبلاً على الأفق منها سحب إبرادِ

والأمثلة على ذلك كثيرة، ونظن أن في هذا بياناً كافياً لإثبات أن القصائد التي جاءت في النسخة الثانية - وهي قصائد المكاتبات ومراعاة الإخاء - حتماً لشاعرنا أبي حمزة سالم بن غسان اللواح.

وأطمع أن يتهيأ لي وقت - لاحقاً إن شاء الله - فأتمكن من نشر هذه القصائد غير المنشورة التي يزيد عدد صفحاتها على مئة وسبعين صفحة.

وبعد هذه الملحوظات التصنيفية، أنتقل إلى الملحوظات المنهجية التي تتعلق بمنهجية التحقيق، وأود لو أنقل قبل ذلك ملحوظات الدكتور: الطاهر أحمد الدرديري، الأستاذ في جامعة السلطان قابوس. على تحقيق الديوان تحت عنوان «قراءة في ديوان اللواح الخروصي» أنقل منها النصوص

(١) الديوان (مخ) ٦.

(٢) الديوان ٧٥/٢.

(٣) الديوان (مخ) ١٠٩.

التالية: (١) « قام المحقق الأستاذ محمد علي الصليبي جزاء الله خيراً: -

١- بمقابلة النسخ الخطية، وتوجد منه نسختان.

٢- جاء النص سليماً من التحريف والتصحيف بعد المقابلة بفضل التحقيق بدرجة عالية.

٣- إصلاح الخطأ والسقط الوارد عن طريق النساخ.

٤- إصلاح الخلل في بعض الأوزان التي صدرت من النساخ.

٥- أجهد المحقق نفسه في شرح المفردات الغريبة، وذلك بالرجوع إلى قواميس اللغة.

٦- بين بحور الديوان كله.

والظاهر أن الدكتور الطاهر لم يتأن في قراءة الديوان، وإلا لما أقحم نفسه في هذه الشطحات؛ لأن الديوان مليء بالتصحيف والتحريف، بل النصوص التي نقلها الدكتور من الديوان في دراسته لا تخلو من التصحيف والتحريف، ومع هذا، لم يهتد إليها الدكتور، فمثلاً نقل البيت التالي: (٢)

تَنَاشَدُوا شِعْرَ لَيْلَى كُلَّمَا انْتَبَهَوْا مَا كَانَ فِي الشَّعْرِ (محزوناً ومَفْرُوقاً)

فلنظرة (محزوناً) مصحفة؛ إذ لا يوجد في الشعر - على حسب علمي - (محزون) فهي مصحفة عن (مخزوم) أو عن (مخروم)، فالخزم والخرم من علم القوافي.

قال القاضي التنوخي: «الخرم إسقاط الحرف الأول من الجزء الأول فيما هو مبني على الأوتاد المجموعة، وذلك يكون في خمسة أوزان من العروض، الطويل والوافر والهجج والمضارع والمتقارب^(٣) ومثل له بالبيت التالي: -

لَا تَعْتَرِضُ فِي الْأَمْرِ تُكْفَ شُؤْنُهُ وَلَا تَنْصَحُنْ إِلَّا لِمَنْ هُوَ قَابِلُهُ

وأما «الخزم» بالزاي معجمة، فهو زيادة تلحق أوائل الأبيات، ولا يختص بذلك وزن دون وزن، ولا يعتد بتلك الزيادة في تقطيع العروض، فيزاد البيت حرفاً واحداً كقول طرفة: -

تَذْكُرُونْ إِذْ تُقَاتِلُكُمْ إِذْ لَا يَضُرُّ مُعْدِمًا عَدَمُهُ

وقد يخزم بحرفين كقول طرفة أيضاً:

(١) الطاهر أحمد الدرديري - قراءة في ديوان اللوح الخروصي - فعاليات المنتدى الأدبي في سلطنة عمان، إصدار يونيو ١٩٩١ ص ٢٢٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٩، والديوان ١/١٦٦.

(٣) أبو يعلى عبد الباقي بن المحسن التنوخي - كتاب القوافي - ط ١ دار الإرشاد للطباعة والنشر. بيروت ١٩٧٠ ص ٦٩.

إِذَا أَنْتُمْ نَخَلُّ نَطِيفَ بِهِ فَإِذَا مَا حَزُّ نَضْطَرُّهُ

والمفروق- كما جاء في بيت شاعرنا اللواح- هو الوجد و «في العروض وتدان: مجموع ومفروق. فالمجموع: حرفان متحركان بعدهما ساكن، مثل قضى ودعا» ويسميه العروضيون «المقرون» والمفروق: هو حرفان متحركان بينهما حرف ساكن. نحو «كيف وقبل وبعد» (٢).
أما ملحوظاتي المنهجية، فأوجز الأهم منها مع التمثيل لها باختصار شديد، وهي:-

١- تصحيف نصوص الديوان وتحريفها.

٢- لم تظهر مقابلة النصوص على النسختين جلية، وإنما ظهر الاعتماد على نسخة واحدة في معظم القصائد التي تحويها النسختان.

٣- وردت أبيات كثيرة في الديوان مختلة الأوزان.

٤- الألفاظ المفسرة -في الغالب- لا تتفق ومعاني الأبيات.

٥- لم يُطبّق المنهج العلمي للتحقيق؛ من حيث تصحيح الأخطاء والزيادة والحذف والتغيير والتبديل والتعليق من المحقق.

وسنمثل لهذه الملحوظات كالتالي:

١- التصحيف والتحريف في النصوص: وردت تصحيفات وتحريفات في نصوص الديوان بكثرة؛ بعضها يلتمس فيها العذر، وتعزى إلى الأخطاء المطبعية، وبعضها لم أجد لها تخریباً.

فمن أخطاء التصحيف التي يلتمس فيها العذر وتعزى إلى المطبعة: (٣)

٤- المَالِكِ الْمَلِكِ لَا يُوحَى عَلَيْهِ بِهِ وَلَا تُكَلِّمُ فِيهَا الْخَلْقُ بَلْ يُوحَى

والصواب ولا (يُكَلِّمُ) كما جاء في المخطوط؛ فربما جعل الطابع النقطتين أعلى الياء لتصبح تاء، بدلاً من أن يجعلهما أسفلها، وجعل الكسرة أعلى الشدة بدلاً من أن يجعلها أسفلها، وكذلك البيت التالي: (٤)

٣٨- وَإِنْ كَانَ سَيَفِي كُلُّ مَا سُلِّ (خارجي) فَكُلُّ كِهَامٍ مِنْ سَيُوفِ الْعِدَا الْعَضْبُ

والصواب (جارجي) كما جاء في المخطوط وليست (خارجي)، وإنما قفزت نقطة الجيم إلى

(١) أبو يعلى التنوخي - القوافي - ص ٧٠، ٧١.

(٢) د: أحمد مطلوب. معجم النقد العربي القديم. ط ١ دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٩م، ج ٢/٤٢٨.

(٣) الديوان ٧٩/١. (٤) الديوان ٢٠٣/١.

أعلى وزيدت نقطة تحت (الحاء)، وكذلك البيت التالي: (١)

٦- فِيا عَجَبًا كَمْ تَسْلِبُ الْأَسَدُ فِي الْوَعَى وَتَسْلِبُنَا (مرحى) شَنُوهُ عِيدَهَا

والصواب- كما جاء في المخطوط- (وتسلبنا مِنْ حَيِّ شَنُوَّةَ غِيدُهَا)

والبيت التالي: (٢)

١٩- لَا تَشْتَكِي لِقَبًا فِي السَّيْرِ أَوْ تَعَبًا وَلَا بِهَا (الحِسُّ) حَتَّى تَشْتَهِيَ الشُّبَقَا

والصواب (ولا بها الجِسْرُ) كما جاء في الأصل. مِنْ (جَسَرَ الْفَحْلُ إِذَا تَرَكَ الضَّرَابَ) (٣).

والبيت التالي: (٤)

٢٥- لَمَّا أَتَوْا جُدَّةً مِنْ بَعْدِ مَا حَرَمُوا فَقَرَّبُوا الْيَعْمَلَاتِ الذُّمْلَ (الْعَنْقَا)

والصواب (الْعُتْقَا) كما جاء في الأصل، وقد جاءت مشكولة.

والبيت التالي أيضاً: (٥)

٦٨- وَإِنِّي (بمدحي) طَالِبُ صِلَةٍ شِفَاعَةً تُوَصِّلُ الْغُفْرَانَ وَالْخُلُقَا

والصدر مختل الوزن، واستقامته بالتصويب التالي: «بمدحي» كما جاء في الأصل.

ومن التعريفات التي لم أجد لها تخریجاً: (٦)

٦- (أرسي) الرَّاكِيَاتِ الرَّاكِيَاتِ بِهَا كَيْمَا يَقُولُ الْهُوَّى مِنْ (حُبِّهَا) سِيحِي

والصواب (وأركد) بدلاً من (أرسي)، و (تحتها) بدلاً من (حبها). وكذلك جاء في الأصل،

وقد تكرر هذا الصدر في ص ٨٦ من نفس الجزء، فقد جاء البيت كالتالي:

١٧- وَأَرْكَدُ الرَّاكِيَاتِ الرَّاكِيَاتِ بِهَا كَيْمَا تَسِيحُ فَأَرْسَتْ بَعْدَ مَا سَمَّيَا

وقد صحف في البيت التالي: (٧)

٥١- حَقَّاءُ وَقَدْ أُعْطِيَ الرُّسَالَةُ رَاقِيَا مَطَارِحَ قَدْ كَانَ مِنْهُ يُرِيدُهَا

وعلق المحقق على هذا البيت بقوله: (مطارِحَ قَدْ كَانَ إِلَهُ يُرِيدُهَا) أو «مطارح ما قد كان،

(١) نفسه ٢٥٣.

(٢) نفسه ١٩٦.

(٣) الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، دار الكعب العلمية، بيروت ١٩٧٩ م ٤٩١/١.

(٤) الديوان ١٥٦/١.

(٥) نفسه ١٥٩.

(٦) الديوان ٧٩/١.

(٧) الديوان ٢٥٦/١.

منه يريدھا » وذلك ليستقيم الوزن) أهـ. وفي الأصل (مطا دَرَج قد كان منه يريدھا)، وهو الصواب، وبه يستقيم الوزن والمعنى. قال ابن الفارض: (١)

وأكنادُ جيش البحر ما بين راكبٍ (مطا مَرَكَبٍ) أو صاعدٍ مثلَ صَعْدَةٍ (٢)

وصحف البيت التالي: (٣)

٢- الحمدُ لله إنَّ اللهَ نَزَّهَنِي عن مِلَّةِ الشُّرِكِ أَهلِ الخُتْرِ والخُتْلِ

علق عليه بقوله: (الختل: الخديعة والاحتيال) أهـ. وفي الأصل «أهل الختر والحيل» وهو الصواب. ولو كان الشاعر يريد أن يقول: (أهل الخُتْرِ والختل) لاستطاع، ولكنه رأى في ذلك تناقضاً بين كلمتي (ختر وختل)، والبلاغيون يعيبون مثل هذا التناقض.

وقد حدث تحريف في البيت التالي أيضاً: (٤)

١٤- وَإِنْ هَجَرْتُ رَوَاحاً وَاصَلْتُ بَكَرْتِ وتوضُّعُ اللَّيْلِ بِالْإِرْقَالِ مَذْ غَسَقَا

ويكون البيت ركيك المعنى لا يرتضيه الشاعر، والصواب (إِنْ هَجَرْتُ رَوَّحَتْ أَوْ أَصَلْتُ بَكَرْتِ) (٥)

٢- لم تظهر مقابلة النصوص على النسختين جلية، وإنما ظهر الاعتماد على نسخة واحدة في معظم القصائد التي تحوُّبها النسختان، تدلنا على ذلك الأمثلة التالية: (٦)

٢- وَهَيْهَاتَ مَا لِأَمْرِي مَا تَمَنَّى وما كُلُّ دَاعٍ لِعَمْرِي يُصَابُ

علق المحقق على (يصاب) بقوله: «كلمة القافية يصاب، لعلها «يجاب» لتناسب المعنى». ولو عاد إلى النسخة الثانية لما احتاج إلى التعليق، فهي في تلك النسخة «يجاب» (٧).

القصيدة التي تبدأ من ص ٣١١-٣١٣ من الجزء الأول، لم يقابلها المحقق بالنسخة الثانية، وفيها تصحيف وتحريف بكثرة لا داعي إلى بيانه كله، فقد ألح المحقق نفسه إلى عدم رجوعه بتعليقه على البيت رقم ٤٨:

٤٨- فَمِنْ سَانِ الْقِفَارِ السَّجْدُ د والمحسنُ فالجودُ

(١) أبو حفص عمر بن الفارض. ديوانه. دار الفكر. عمان- الأردن ١٩٨٥ ص ٦١.

(٢) الأكناد: جمع كند، وهو الشرس الشديد، واللفظة فارسية. والمطأ: الظهر. (شرح ديوان ابن الفارض).

(٣) الديوان ٩١/١.

(٤) الديوان ١٥٦/١.

(٥) ابن رزيق- الصحيفة القحطانية ٣٩١/٢.

(٦) الديوان ٢٧١/١.

(٧) الديوان (المخطوط) ٢٠١.

فقال: «فمن سان: لعلها فمن شان:

فمن شان الفقير الشح ذ والمحسن فالجودُ

لا كما ورد محرفاً بفعل النساخ، وعليه يستقيم الوزن والمعنى». اهـ

ولو عاد إلى تلك النسخة، لوجده كما صححه^(١)، ولأراح نفسه من الاجتهاد.

وكذلك البيت التالي:^(٢)

٨- لم يدر أن الموت يحـ دُوه حدا رعد السحاب

علق عليه (يجدو جدي) لعلها (يحدو حدا) فيصبح البيت:

لم يدر أن الموت يحـ دُوه حدا رعد السحاب» اهـ

فلم يرجع إلى النسخة الثانية ليصححه، فهذا التصحيح الذي جاء به موجود فيها،^(٣)

وكذلك البيت التالي:^(٤)

٥- كلم نداراه في الحال محترم وما ارعوت وما أورعت بالثُذر

ولا يخفى على القاريء ما في البيت من غموض، وقد علق عليه: «في الأصل (كل ما

نداره في الحال محترم) وهذا بفعل النساخ ولعل الصواب ما أثبت» اهـ

فلم يعد إلى النسخة الثانية ليصوب البيت وصوابه منها كالتالي:^(٥)

كُلُّ بانذاره في الحال محترم وما أرعوت ولا أوزعت بالثُذر

وفي مثل هذا البيت، تظهر قدرة المحقق على قمرسه في قراءة المخطوطات.

وكذلك في صفحتي ٣٤٤، ٣٤٥ من الجزء الأول، لم يقابل المحقق القصيدة في تينك

الصفحتين مع النسخة الثانية، فجاء التصحيف والتحريف في الأبيات التالية ١، ٦، ٧، ١٣،

١٦، ٢١، ٢٣.

٣- وردت أبيات كثيرة في الديوان مختلة الأوزان، فبعضها جاءت في الأصل صحيحة،

فجاء المحقق ليصلحها فأفسدها، من ذلك قول الشاعر:^(٦)

(١) نفعه ٢٠٦.

(٢) الديوان ٢٨١/١.

(٣) الديوان (المخطوط) ١٩٦.

(٤) الديوان ١/٣٣٥.

(٥) الديوان (المخطوط) ١٩٥.

(٦) الديوان ١/١٠٩.

١٢- وما الشعر الأعلى هوادي محصب وقد جَرَعْتُ من وادي مَحْسَرٍ الجرعاتُ

وقد علق المحقق عليه بقوله: «زبدت كلمة وادي ليستقيم الوزن» ١هـ

والحقيقة أن الوزن يختل بزيادة (وادي)، وقد جاء في الأصل دون زيادة وبه يستقيم الوزن.

ومنها البيت التالي: (١)

١٩- أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ أَكْلِي الْحَرَامَ وَمِنْ شَرِبِهِ أَوْ لَبِسِهِ حُلِيًا وَمِنْ حُلُلِ

فالعجز مختل الوزن، وفي الأصل (شريبه)، فغيرها المحقق دون أن يشير في الهامش إليها،

وبالتغيير اختل الوزن.

وبعض الأبيات جاءت مختلة الوزن، فأراد أن يصلحها فلم يفلح. ومنها قول الشاعر: (٢)

٢٨- وعمت ضجيعيه أبا بكر والرضى إذا عُمراً ومن لهم فهو تابعُ

علق عليه بقوله: «لا أرى هذه الكلمة «ضجيعيه» بل أقترح أن تكون صحيبه أي صاحبيه

ويكون الشطر هكذا:

وعمت صحيبه أبا بكر بالرضى وإذا عمر ومن له فهو تابع

ولا يخفى ما في البيت من الخلل بعد إصلاح المحقق، والصواب:

وعمت أبا بكر ضجيعيك والرضى إذا عُمراً ومن لهم فهو تابعُ

لأن الشاعر قد كرر هذا الشطر في ص ٢٥٧، كعادته في تكرار الألفاظ والمعاني، كما سنرى

في هذا الفصل في دراستنا للمدحة النبوية، وفي الفصل الثالث.

ومنها قول الشاعر: (٣)

٢- فَإِنِّي كَصَادٍ وَمِيتَحٌ دَلَوُا مِنْ الْمَاءِ رَثَ الرُّشَا وَالْعِنَاجِ

٣- ومثل مختبط الليل لم يد رماذا على خطبه ما يفاجي

علق على البيت رقم (٣) بقوله «ومثل لعل الصواب (ومثلي كمختبط) لاستقامة الوزن لا

كما جاء بفعل تصحيف النساخ» ١هـ.

فالبيت يحتمل أن يكون محرفاً وليس مصحفاً، وكما علق عليه يكون مختل الوزن. إذ

(١) الديوان ٩١/١.

(٢) الديوان ٢١٦/١.

(٣) الديوان ٣٠١/١.

يكون:

ومثلي كمختبط الليل لم يد ر ماذا على خطه ما يفاجي

فيكون وزنه:

فعولن مفاعلتن فاعلاتن فعولن فعولن فعولن

فالصدر فيه، تفعيلته تختلف عن تفعيلة العجز، والقصيدة من بحر المتقارب.

وبعض الأبيات جاءت مختلفة الوزن وتركها كما هي، فلم يقمها ولم يشر إليها. كالبيت

التالي: (١)

١٥- مواقف يَرْضَى الله فيها وقوفنا فهل مثلها تلقاه إذا وَقَّاتُ

ففي العجز اختلال، ولو حذفت الهاء من (تلقاه) لا ستقام الوزن، ولكن، لم يحذفها المحقق؛ لأنها جاءت في الأصل.

وبعض الأبيات لم يحسن توزيعها على أشطرها، فإذا وزنت البيت وجدت شطراً أطول من

التالي. كالبيت التالي: (٢)

١٢- وإن جدي السعد عندك سابقاً فما ضامني في الموقفين مضيم

فالملاحظ أن الشطر الأول أطول من الثاني والصواب بأن يكون البيت هكذا:

وإن جدي السعد عندك سابقاً فما ضامني في الموقفين مضيم

والبيت التالي: (٣)

٣٩- علت تتقاضا في الوخيد وإنه إلى نحو خير العالمين وخيدها

٤٠- ترض الحسا شوقاً لمن سبَح الحسا له سباع الحي حيته سيدها

فالصدر أطول من العجز. والصواب في البيت أن يقال:

تَرْضُ الحسا شوقاً لمن سَبَّح الحسا له وسباع الحي حيته سيدها

فمعرفة خلل الأبيات واستقامتها، مرجعها أولاً إلى الحس الموسيقي للشخص، ثم إلى قوته

وضعفه في أوزان الشعر والعروض.

(١) الديوان ١/ ١١٠.

(٢) الديوان ١/ ٩٥.

(٣) الديوان ٢٥٥/.

٤- الألفاظ المفسرة في الغالب لا تتفق ومعاني الأبيات: رجع المحقق في تفسير معاني المفردات في الغالب إلى المعجم الوسيط؛ وبما أن المعجم الوسيط وضع للطلاب ولم يوضع للباحثين، فكثير من ألفاظ العربية لم تحشد فيه؛ لأنه مختصر ولم يتسع لها؛ فلذلك، لم يجد المحقق فيه أكثر المعاني التي طلبها، فاضطر أن يدون ما وجدته، وإن لم تتفق تلك المعاني مع ما ينشده الشاعر من معان لأبياته، فمثلاً البيت التالي: (١)

١٥- ففي جَمْعِ المهاوشِ صارَ هَمِي وذلكَ للنُّهايرِ منْجنيقٍ

علق عليه المحقق «المهاوش: الهواش: الجماعة يختلط بعضها ببعض والنهائر: مفرداها نهيرة؛ وهي ما ارتفع من الأرض». اهـ

فهذا التفسير لا يتفق مع معنى البيت، والصحيح أن يفسر الكلمتين بالتالي: المهاوش: ما غُصِبَ وسُرِقَ من المال (٢)، والنهائر: جهنم - أعاذنا الله منها - (٣) وهذا المعنى هو الذي يريده الشاعر ويؤكداه إذ قال في موضع آخر (٤):

فإنْ لمْ تَكُنْ لي عاصِماً من مهاوش فمن لي عنْ لَفْحِ النَّهايرِ عاصِماً
أي إن لم تعصمني من كسب المال الحرام، فلا عاصم لي من لفح النيران.
وكذلك البيت التالي: (٥)

٤٢- تعاظتْ أياديها قريشٌ لقتله وضمَّهمُ بيتٌ لمستوره يعبو

ولفظه (لمستوره) في الأصل (لمشورة) ولكنها صحفت، وعلق على البيت بقوله: «يعبو: يتهياً من التعبئة العسكرية». واللفظة التي «من التعبئة العسكرية» فعلها: عَبَّاً يَعْبُأ (٦) أما (يعبو) التي في البيت من: عَبَّاً: يعبو: بمعنى أضاء وجهه (٧)، وهو الذي يناسب المعنى.

وعلق على البيت التالي: (٨)

٧- يُراقِبُ في الرَّحْمَنِ غَيْباً ومَشْهُداً وتلقاه عما يُسْخِطُ اللهَ ناكِرا

(١) الديوان ١/ ٣٦٤.

(٢) الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٩م، ٤/ ٥٤٥.

(٣) نفسه ٤/ ٤٤٨.

(٤) الديوان ١/ ٣٦٨.

(٥) الديوان ١/ ٢٠٣.

(٦) الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ٣/ ١٣٤.

(٧) نفسه ٣/ ١٤٤.

(٨) الديوان ١/ ٣٣٨.

علق «نكر الدابة، نخسها بشيء مذهب الطرف يستحثها، ويقال:

فلان بمنكرة من العيش أي (ضيق)، والنكر الرذل من المال والناس» ١ هـ.

والأصوب أن يقول: نكر فلان: ضرب ودفع ونكص (١)، ونكص عن الأمر نكوصاً ونكصاً؛
تكاكاً عنه وأحجم (٢)، فيكون المعنى: تلقى المزمّن محجماً عما يسخط الله.

وكذلك البيت التالي: (٣)

١٧- ولو تواردها الظنبار نوح في أرجائها وتبقى حيران زهليقا

علق عليه: «ظأت المرأة والناقة على ولد غيرها، عطفت عليه، والظئر المرأة المرضعة لغير
ولدها هـ. وهذه المعاني لا تتناسب مع ما يريد الشاعر من معنى، فالشاعر يصور المشقة التي
يواجهها في طريقه إلى مكة المكرمة، فيصف المياه الآجنة التي يمر بها، ويريد أن يشرب منها
لشدة الظما الذي يواجهه في الطريق.

فلنظة (الظنبار) ليست (الظنبار)، وإنما هي مصحفة عن (الطيشار)، والطيشار: من أسماء
الأسد (٤). فصواب البيت:

ولو تواردها الطيشار نوح في أرجائها وبقي حيران زهليقا

أي أن المياه الآجنة التي أشرب منها أنا، لو ورد لها الأسد لصرخ بأعلى صوته وحار، وبهذا
يستقيم المعنى وعجز البيت المختل.

٥- لم يُطبّق المحقّق المنهج العلمي للتحقيق من حيث تصحيح الأخطاء والزيادة والحذف
والتغيير والتبديل، والتعليق،

فمثلاً البيت التالي: (٥)

أحب في الله فعل الصالحين ولم أزل عليه وعنهم قد هفا قدري

أضاف المحقق من عنده (أزل) ولم يشر إلى هذه الزيادة في الهامش، ولو رجع إلى النسخة
الثانية لوجدها (ولم أقدر) وهو المعنى الذي أراده الشاعر.

وفي ص ٣٣٠ من الجزء الأول في أعجاز الأبيات من ٢٧-٣١ سقط لبعض الكلمات، وقد

(١) الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ٤/٤٣٧.

(٢) نفسه ٤/٤٣٨.

(٣) الديوان ١/١٦٦.

(٤) أبو الحسن ابن سيده. المخصص، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ٨/٦٠.

(٥) الديوان (المخطوط).

أضاف المحقق لفظة أو لفظتين مكان البياض، ولم يجعل الزيادة بين حاصرتين، بل أثبت الأعجاز في الهامش كاملة، كأن يقول: «سقط في عجز البيت «منه الحبائل في هار من الحفر» وهذا الأسلوب يضلل القارئ، والباحث، فيظن أن العجز ساقط بأكمله وأن المحقق قد أتمه، بينما أضاف المحقق كلمة في كل عجز من أعجاز الأبيات ٢٨، ٢٩، ٣٠، وهي على التوالي (بانع، هار، الخنس)، وكلمتين في البيتين ٢٧، ٣١

«والأولى في حالة الزيادة أن تميز بوضعها بين جزئي العلامة الطباعية الحديثة { }، أو أن ينبه في الحواشي على أنها مما أخل به الكتاب»^(١).
والشيء نفسه فعل المحقق في الصفحة المقابلة، وفي ص ٣٥٢، كذلك سقط في البيتين ٢٦، ٢٧.

أما من حيث التغيير والتبديل فنمثل له بالبيت التالي: (٢)

قَصْدَتِكَ مُسْتَجِيرًا إِلَيْكَ لَاجٍ وَجِئْتُكَ وَالرَّجَا بِالْخَوْفِ هَازٍ

فالصدر مختل الوزن، وفي الأصل «قصدتك مستجيراً بك لاج...»

فغير المحقق (بك) إلى (إليك) فاختل الوزن، ولم يشر في الهامش إلى التغيير.

وفي مثل هذا التغيير والتبديل، يشدد شيوخ التحقيق، فيقول عبد السلام هارون: «لا رب أن إحداثهما في النسخة العالية يخرج بالمحقق عن سبيل الأمانة العلمية، ولا سيما التفسير الذي ليس وراءه إلا تحسين الأسلوب، أو تنميق العبارة، أو رفع مستواها في نظر المحقق، فهذه تعد جناية علمية صارخة إذا قرنها صاحبها بعدم التنبيه على الأصل، وهو أيضاً انحراف جائر عما ينبغي، إذا قرن ذلك بالتنبيه»^(٣). ففي البيتين السابقين- كما يرى عبد السلام هارون- جناية علمية صارخة.

وكذلك البيت التالي: (٤)

١٧- أَرَاكَ دِينُكَ تَرْضَى أَنْ يَكُونَ بِهِ قَدَرٌ وَثَوْبُكَ مَغْسُولٌ مِنَ الْقَدَرِ

علق المحقق على هذا البيت بقوله: «(أراك دينك ترضى أن يكون به) لا كما جاء مصحفاً).

(١) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط٢ مؤسسة الحلبي،

مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٥م. ص ٧٢.

(٢) الديوان ١/ ١٣١.

(٣) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص، ص ٧٣.

(٤) الديوان ١/ ٣٣٠.

والحقيقة أن البيت غير مصحف، والذي صنعه المحقق تحريفٌ عن أصل البيت، فقد جاء في الأصل: (أراك دينك ترضى طرية بها) فحرفه المحقق دون أن يشير إلى الألفاظ التي حرفها، كأن يجعلها بين حاصرتين، ودون أن يشير إلى ما جاء في الأصل، لعل القارئ يرى فيه وجهاً أصوب من الوجه الذي ارتآه المحقق، ويسمي عبد السلام هارون هذا العمل «انحراف جائر عما ينبغي»

ولم يوثق تعليقاته في شرح المفردات ولا عندما يورد بعض الأبيات ليقارنها بأبيات ابن اللواح، وذلك كقول^(١): «يرتبط هذا البيت وما بعده من ناحية المعنى بقول الشاعر:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدم

فلم يوثق، لمن البيت؟ ومن أين أخذه، فالأمانة العلمية تقتضي التوثيق والإشارة، يقول عبد السلام هارون: «وقد أصبح النهج العلمي الحديث يقتضي المحقق أن يشير عند اقتباس نصوص في التعليق إلى الموارد التي استقى منها؛ وذلك بأن يذكر الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة التي وجد فيها النص»^(٢).

وبعد هذه الملاحظات، فإن الباحث لا يرى أن يطلق على هذا الديوان لفظة «تحقيق» وإنما أقرب ما يقال عنه «إخراج» فهي أدق من الناحية العلمية، فالكتاب المحقق ينبغي «أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه»^(٣) وقد لاحظنا التحريفات والتصحيفات في الكتاب؛ التي منها ما يتعلق بتمرس المحقق في قراءة المخطوطات، كالتصحيح الذي حصل في البيت (كل بإنذاره في الحال محتزم) والتحريف الذي كان في (مطاً دَرَج قد كان منه يريدّها) وفي (وتسلبنا من حيّ شنوة غيدها). «فإن القراءة الخاطئة لا تنتج إلا خطأ»^(٤).

ومنها ما يتعلق بالإلمام بالموضوع الذي يعالجه الكتاب. بحيث «لا يمكن المحقق أن يفهم النص فهماً سليماً يجنبه الوقوع في الخطأ حين يظن الصواب خطأ، فيحاول إصلاحه أي يحاول إفساد الصواب»^(٥) كما حدث في الصدر (أراك دينك ترضى طرية بها) فقد حرف إلى أراك دينك ترضى أن يكون بها) وفي العجز (وقد جرّعت من محسر الجرعات) أضيف عليها لفظة (وادي) فاختل وزن البيت، إلى غير ذلك من الأمثلة التي مثلنا، بها كتفسير المفردات

(١) الديوان ٤٠٥/١.

(٢) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص ٧٦.

(٣) نفسه ٣٩.

(٤) نفسه ٤٨.

(٥) نفسه ٥٥.

وغيرها.

فيلزم المحقق أن يكون واعياً مادة الكتاب التي يحقّقها؛ حتى لا يخل بتلك المادة فيقع في تلك الأخطاء التي أشرنا إليها.

ومما هو جدير بالذكر، أنني لا أعول في دراستي على المطبوع تعويلاً تاماً، وذلك لكثرة الأخطاء الموجودة فيه التي تفسد المعنى، بل أحاول إصلاح ما أمكنتني إصلاحه من تلك الأبيات التي أصابها التحريف والتصحيف، والتي أستشهد بها في دراستي.

انجازات الشعر عند ابن اللواح

نجد في شعر ابن اللواح فنوناً شعرية شاعت منذ العصر الجاهلي مثل الرثاء، والفخر والغزل والوصف، والهجاء.

ويلاحظ بروز الشعر الإخواني في شعره، وهو مظهر اجتماعي، وناجم عن علاقاته السياسية والاجتماعية، ومما يبرز في شعره بجلال الاتجاه الديني، وهو فيه جدة إذ لم يكن موجوداً في صدر الإسلام، وبرزت في شعره المواعظ والحكم والنصائح.

ويعنى الشاعر بالحديث عن المذهب الإباضي، شأنه في ذلك شأن الشعراء في عصره، من مثل الشاعر الشيخ محمد بن مداد بن محمد الناعبي الذي تحدثنا عنه في التمهيد- كما يعنى بالبيئة التي عاش في جنباتها.

أولاً: الانجاء التقليدي

١- الرثاء :

عُرف الرثاء منذ أن سُقي الإنسان كأس المنابا، فوقف ملتاعاً ومشدوهاً لرحيل عزيز، وعبر في شعره عن حزنه وأساء بمرث نث فيها حرقه صدره ولوعة قلبه.

والرثاء «أكثر ما تكلم فيه الناس، لأنه لم يعرف أحدٌ من مصيبة بحميم، ذلك قضاء الله في خلقه، فكل تكلم؛ إما متعزياً، وإما معزياً وإما متصبراً محتسباً»^(١). «وأصل العزاء الصبر، ثم اقتصر استعماله في الصبر على كارثة الموت، وأن يرضى من فقد عزيزاً بما فاجأ به القدر»^(٢). «والعزاء قريب من الرثاء، وإن كان مذهبه تهوين المصاب وبث السلوى والتأسي بالسلف الهالك»^(٣).

وأبو حمزة ممن رثى وتلوع، وتالم وتنجع، فرثى المرأة أمّاً وزوجة وعزى أصدقاء فيها من حيث كونها أمّاً وزوجة وبنثاً لهم، ورثى الرجل ابناً وقريباً وعزيراً، كما رثى بعضاً من أجزاء جسمه، وبالرغم من قول ابن رشيقي: إن «أصعب الشعر الرثاء، لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة»^(٤). إلا أننا وجدنا أبا حمزة قد أكثر في ديوانه المراثي، فقلما يوجد عَلمٌ بارز في عصره أو صديق له، إلا وقد عزاه في عزيز له أو رثاه بقصيدة أو أكثر، وهو القائل^(٥):

لقد أَكْثَرْتُ في التُّرْبِ المراثي فمن لي إن لحَقْتُ التُّرْبَ راثي

وبالرغم من رواية ابن قتيبة التي توحى أن المذائح أكثر جودة من المراثي في الأصحاب إذ قال: «قال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخزيمي: مذائحك لمحمد بن منصور بن زياد، -يعني كاتب البرامكة- أشعر من مراثيك فيه وأجود، فقال: كنا يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد»^(٦).

وبالرغم مما توحى هذه العبارة -وهي لناقد قديم- فإننا لا نجد تنطبق على مراثي أبي حمزة، فقد أبدع في مراثيه الخاصة والعامة -على حسب تقسيمنا لها- لا سيما مراثي العلماء،

(١) محمد بن يزيد الميرد، التعازي والمراثي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق سوريا، ١٩٧٦م، تحقيق محمد الدياجي ص ٤.

(٢) مجموعة من الأدباء، الرثاء: سلسلة فنون الأدب، إصدار دار المعارف بمصر، ص ٨٦.

(٣) أحمد الشايب، الأسلوب، ط ٨ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٨٧.

(٤) الحسن بن رشيقي القيرواني، العملة، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ٢٥١/١.

(٥) الديوان ٢/ ٢٩٥.

(٦) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ط ٢ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ص ٣٠.

فأظهر فيها تفجعه وترجعه، وتألمه وتحسره، وبدت العاطفة عنده متقدة صادقة، كما سنتبين ذلك.

وقد قسمت الحديث عن الرثاء عند شاعرنا إلى قسمين: خاص وعام.

الرثاء الخاص: ويقصد بالرثاء الخاص؛ رثاء أقرب الناس إلى الشاعر، وهم أفراد أسرته من الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والأهل والأقارب، فقد رثى أبو حمزة أمه بقصيدتين، أحدهن على لسان ولده حمزة، والأخرى على لسان بعض الأصدقاء، وكأنني به يتمثل بقول أبي ذؤيب^(١).

وَتَجَلْدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْبَهُمْ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ

وقد طفق حزنه وفاض صبره عن كتمان حرارة الفقد والفجيعة التي حلت به في أمه.

ولا غرو أن يرثي ابن اللواح أمه، فقد سبقه من رثى أمه من الشعراء القدامى، كابن الرومي الذي رثى أمه بقصيدة طويلة تقع في مائتين وأربعة أبيات، والصنوبري وأبي فراس الحمداني، وكشاجم الرملّي والشريف الرضي، وأبي العلاء المعري^(٢).

وفي نdbe لأمه يتقد بالأسى واللوعة والوجد، في قوله^(٣):

أَذُوبُ أَسَى وَلَوْعَاتٍ وَوَجْدًا وَأَعْلَنُ بِالزَّفِيرِ ثَنِي وَفَرْدًا
وَالطَّمُ بِالْيَدَيْنِ الْآنَ خَدًا إِذَا مَا سَخَتْ صَوْتِ النَّاتِحَاتِ

ولا غرو إذا لطم خده من فقد والدته، فهي التي تعهدته بالرعاية، وكلايته بالعناية إلى أن، ترعرع ورفع ريشه الجناح، وبتربيتها وافق النجاح، وكان أمله أن يقاضيه ويجزيها جزاء، المحسنين إلا أن المنية اخترمتها بحلول القضاء عليها، وها هو ذا يخاطبها ويذكر لها ما آل إليه، حاله بقوله^(٤):

وَهَلْ تَدْرِينَ يَا أُمِّي بِحَالِي وَكُلَّوَالِي عَلَيْكَ وَمَا مَأْكَ
فَقَدْ خُلِفْتُ بِعَدِكَ فِي رِيَالٍ وَفِي هَمٍّ وَوَسْوَاسٍ خِفَاتِ

وَيَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ الْمُنِيَّةُ قَدْ وَافَتْهُ، وَسِيقَ إِلَى الْمَقَابِرِ قَبْلَهَا^(٥):

(١) ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ج ١/٢.
(٢) د. محمد إبراهيم حرور، رثاء الأم في الشعر العربي، مكتبة المكتبة ١٩٨١م، أبو ظبي، العين، الامارات العربية المتحدة، ص ٩.
(٣) الديوان ١٠٩/٢.
(٤) نفسه ١١٠/٢. (٥) نفسه ١١٠/٢.

وَوَدُّيْ كَانَ قَبْلَكَ قَدْرَ سَاعٍ يكون بي الردى للقبر ساع
فضيقُ القبرِ قبلك في اتساع ولا هذا الحنينُ مدى الحياةِ

ويعصف أمه بأنها عفيفة الذيل طاهرة الإزار مقدسة كريمة في قومها، وهي شفيقة عليه وعلى أولاده وأصدقائه، تقيّة عابدة قانتة(١):

عفيفُ الذيلِ طاهرةُ الأزار مقدسةٌ فما ذكرتُ بهارِ
كريمةٌ قومِها زاكي النجار من الرودِ المخايبِ الشقا
هي الأمُ الشقيقةُ بالشفيقِ وبهي كانتُ ونسلي والصديقِ
وثيقاً بالتقى أمي الوثيقِ إمام العابداتِ القانتاتِ

ويلعو لقبرها أن يسقيه المزن، ويسقي كذلك جيرانها(٢):

ولا برحِ السحابُ عليك باكٍ سقى الجيرانَ لما أن سفاكِ
سماءُ من سما نجمِ السماكِ مُطلاً بالعشيّ وبالغداةِ

أما القصيدة الثانية التي رثى بها أمه و(قبيل) ابن أخيه، فيبديها بمخاطبة عينيه كي يريقاً الدموع على الفجيعة التي حلت به في أمه، وفي ابن أخيه، ويخاطب نفسه كذلك أن تنوب بالحسرات وكبهه بالانتقاد، فيقول(٣):

أريقي الدُمعَ يا مُقلّي أريقي على أمي وابن أخِي الشقيقي
ويا حسراتُ نفسي لا تأتي ردافاً بالزفير وبالشهيقِ
ويا كـبـدي بنارِ الحزنِ ذوبي ويا روحي لشـوقِهم فُسُوقِ

وإن الحزن قد شجاه في حلقه حتى ليكاد يشرق بريقه، وقد اغرورقت عيناه بالدموع حتى لا يكاد يرى الطريق، كما يقول(٤):

شجاني الحزنُ في الخُلُومِ حتى لكِدتُ أغصُ من شجوا برقي
وقد سدَّ الطريقَ عليّ دمعِي أسي حتى عميتُ عن الطريقِ

(١) المصدر نفسه ١٠٩/٢.

(٢) المصدر نفسه ١١٠/٢.

(٣) الديوان ٢٠٣/٢.

(٤) نفسه ٢٠٣/٢.

وفي ذكره لـ (قبيل) ابن أخيه، يقول: (١)

أَلَا مَ إِذَا هَكَيْتُ عَلَى قَبِيلٍ فإِنِّي بِالبكاءِ لَبَا لَخَلِيقِ
نَشَا مَنَشَا السَّحَابَةَ وَثَّتْ مَحَلٍ وَغَابَتْ غَيْرَ وَاكْفَةِ عُرُوقِي
كَأَنَّ مَقَامَهُ أَبَدًا لَدِينَا مُقَامَ الطَّيْفِ بِاللَّيْلِ الطَّرُوقِ
وَيَدْعُو لِقَبْرِ قَبِيلٍ وَقَبْرِ أُمِّهِ أَنْ تَسْقِيَهُمَا السَّحْبُ، وَتَتَعَاقَبَ عَلَيْهِمَا السَّوَارِي وَالغَوَادِي: (٢)

سَقَى الرَّحْمَنُ قَبْرَكَ يَا قَبِيلُ وَقَبَرَ الْأُمِّ بِالْبَلَدِ السَّحِيقِ
مِنَ السُّحْبِ السَّوَارِي وَالغَوَادِي مُعَاقِبَةَ الرَّوَاعِدِ وَالْبُرُوقِ
أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّوْجَةِ، فَقَدْ رَثَى الشُّعْرَاءُ زَوْجَاتِهِمْ، وَقَدْ يَكُونُ جَرِيرٌ رَائِدُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ
حِينَ رَثَى زَوْجَتَهُ بِقَصِيدَتِهِ الرَّائِيَةِ (٣).

وَلَا غَرُّ إِذْنٍ إِنْ رَثَى أَبُو حَمْزَةَ زَوْجَتَهُ، وَأَظْهَرَ تَوَجُّعَهُ وَتَفَجُّعَهُ عَلَى فَقْدِهَا كَمَا يُظْهَرُ ذَلِكَ فِي
مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ الَّتِي رَثَا بِهَا، إِذْ قَالَ: (٤)

فَوَإِذَا بَنِيرَانِ الْمَصَابِ مُفَادُ وَعَيْنُ سَمَاهَا مَبْرَقُ الْمُزْنِ مُرْعِدُ
وَجَسْمُ بَرَاهُ الْحُزْنِ كَالْبَرْقِ بِالْمَدَى فَصَارَ كَمِثْلِ السِّلْكِ فِي الْخَرْتِ يُسْرَدُ (٥)

فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَصَابَ الْجَسِيمَ وَالْوَقَعَ الْأَلِيمَ، قَدْ قَدْ ضُلُوعُهُ مِنَ الْأَنِينِ، فَأَنَاتِهِ يَزْفِرُ بِهَا زَفَرَاتٍ
تَكَادُ تَخْرُجُ رُوحُهُ مِنَ الْخِيَاشِيمِ: (٦)

وَأَنَّهُ قَدْ قَدَّتْ ضُلُوعِي وَزَفْرَةٌ تَكَادُ بِرُوحِي لِلْخِيَاشِيمِ تَصْعَدُ

وَعَهْدُهُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ رَجُلٌ جَلْدٌ صَبُورٌ عَلَى حَوَادِثِ الدَّهْرِ وَفَجَائِعِهِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْفَجِيعَةَ أَوْهَنْتْ،
قَوَاهُ وَصَارَ التَّجَلُّدُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَلَثَنَ كَانِ لِلنَّاسِ أَسْيَادَ يَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَإِنَّ الْمُلُوحِيَّ لَسَيِّدَ أَهْلِ
الْفَقْدِ وَالْحُزْنِ، فَسُرُورُهُ الْبُكَاءُ وَالتَّوَجُّدُ، وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنْ يُرَى مُتَبَسِّمًا، وَكَأَنَّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ لَهَا
ثَارٌ عَلَيْهِ فَأَدْرَكَتْ ثَارَهَا مِنْهُ بِأَنْ أَخَذَتْ عَزِيزًا عَلَيْهِ. (٧)

(١) المصدر نفسه ٢/ ٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٠٤.

(٣) د. محمد إبراهيم حور، رثاء الأم، ص ٨.

(٤) الديوان ٢/ ١٤٣.

(٥) الخرت: بضم الخاء وفتحها: الثقب في الأذن وغيرها (المحيط - خرت).

(٦) الديوان ٢/ ١٤٣.

(٧) المصدر السابق ٢/ ١٤٣.

كَأَنَّ اللَّيَالِي طَالِبَتْنِي بِشَارِهَا وَقَدْ أَدْرَكْتُهُ حَيْثُ مِنِّي يَوْجَدُ
وَإِنْ دَامَ هَذَا الْحَزَنُ عِنْدِي قَلِيلُهُ فَقَدْتُ مَعَ الْمَقْدُودِ مِنْ حَيْثُ يُفْقَدُ

ثم يأتي إلى وصف شمائلها وأخلاقها، فيفصل في عراقة نسبها، ورجاحة عقلها، وفضل محتدها، وطهارة عرقها، وعفة إزارها، فيقول: (١)

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِكَامِلَةِ الْحَجَى وَطَاهِرَةِ الْأَعْرَاقِ وَالْعَرَضِ أَمْجَدُ
كَرِيمَةِ قَوْمٍ مَا بَهَا عِضُّ هُجْنَةٍ يُقَدِّسُهَا صَيْتٌ وَمَجْدٌ وَمَحْتَدُ
حِصَانًا كَسَا أَخْلَاقُهَا رَوْنَقُ الْحَيَا وَمَا هِيَ إِلَّا فِي الْمَلَمَّاتِ جَلَمَدُ
خَدِيرًا تَمْنَى النَّجْمُ إِسْقَاطَ لَفْظِهَا وَيَسْقُطُ إِجْلَالُهَا وَمُجْدُ

ثم ينتقل إلى وصف كرمها مع جيرانها بأنها تبيت خمصانة البطن من الجوع وجاراتها يتقلبن في عيشها الرغد: (٢)

تَبِيتُ خَمِيصَ الْبَطْنِ غَرْتِي مِنَ الطَّوَى وَجَارَاتِهَا فِي عَيْشِهَا الرُّغْدَ رُغْدًا (٣)

فتلك حالتها مع جيرانها، أما مع الضيوف الذين يطرقون بيتهم ليلاً، فهي التي توقد النار لإطعامهم، وتظل تطوف على القدور رفعاً وخفضاً، وتلي لضيفانها جفانا كالجوابي، وتشردهم الشريد، كما يقول: (٤)

إِذَا حَلَّتِ الْأَضْيَافُ بِاللَّيْلِ سَاحَتِي وَنَامَ عَلَى لَيْنِ الْفِرَاشِ الْمَزْدُ
تَطُوفُ عَلَى خَفْضِ الْقُدُورِ وَرَفْعِهَا وَجَارَاتُهَا فَوْقَ الْمَطَارِحِ هُجْدُ
وَتَمْلِي جِفَانًا كَالْجَوَابِي لِضَيْفِهَا ثَرِيدًا وَذُو الْإِحْسَانِ لِلضَّيْفِ يَثْرَدُ

فتلك صفاتها لأضيافها، أما عن تدينها فيقول: (٥)

وَكَانَتْ عَلَى الدِّينِ الْحَنِيفِيَّ حَافِظًا عَلَى أَنَّهَا فِيهِ تَنْصُ وَتُسْنِدُ

وهي أيضاً:

عَقِيمٌ عَنِ الْفَحْشَا وَلَوْ دُ مِنَ الثَّنَا سَبُوقٌ إِلَى الْحَسَنِ لَهَا الْفَضْلُ وَالْيَدُ
بَقِيَّةُ نِسْوَانٍ مَضَتْ لِسَبِيلِهَا فَلَا دَهْرُهَا يُرْجَى وَلَا هِيَ تَوْجَدُ

(١) نفسه ١٤٤/٢.

(٢) المصدر نفسه ١٤٤/٢.

(٣) غرثي: غرثي الوشاح: دقيقة الخصر، والتفريث التجويع (المحيط. غرث).

(٤) الديوان ١٤٤/٢.

(٥) الديوان ١٤٤/٢.

وتلك الزوجة، فهي بالنسبة له: (١)

هي الزوجة المعوان في السُّخْطِ والرُّضَى وفي الدين والدُّنيا وجَدُّكَ مُسْعِدُ

ويظهر صدق تجربته وشعوره الذاتي تجاه فَقْدِهِ لها في أبياته التالية: (٢)

لَبَسْتُ قَشِيبَ الدَّهْرِ مِنْذُ لَبَسْتُهَا فَلَا الْمَاءَ مُغْتَبَرًا وَلَا الْعَيْشَ أَنْكَدُ

زَمَانِي بِهَا غَضٌّ وَعُودِي بِهَا نَدٍ وَحِلْمِي بِهَا كَهْلٌ وَخُدْيَ أَمْرُدُ

وتبلغ العاطفة ذروتها وصدقها في تمثّل صغاره وخطابهم له وتوجدتهم على أهمهم في قوله: (٣)

وإِنْ نَظَرْتُ عَيْنِي غَرِيبًا وَحِمَزةً وَإِخْوَتَهُمْ حَوْلِي وَهُمْ يَتَوَجَّدُوا

يَقُولُونَ لِي قُلْ مَنْ لَنَا بَعْدَ أَمْنَا وَمَنْ غَيْرَهَا نَأْوِي إِلَيْهَا وَنَقْصِدُ

أَجُودُ بِنَفْسِي فِي هَوَاهُمْ كَأَبَةٍ وَهُمْ بِالْأَنْفُسِ لِلْكَأَبَةِ أَجُودُ

أَقُولُ لَهُمْ إِنْ الْحَيَاةَ شَهِيَّةً وَلَكِنْ عَلَى مَرٍّ الْجُودِ بَيْنَ تَنْفَعُ

ويظهر صدق وجده وحزنه وألمه وتفجعه وتحسره على فقد زوجته في مطلع قصيدته التي

أجاب بها صديقه علياً بن بركات الشريف، عندما عزاه في زوجته، يقول ابن اللواح: (٤)

هَيَجَتْ مَابِي وَقَدْ كَشَفْتَ مَكْنُونِي وَذَعْتَ سِرِّي وَمَا ضَمَنْتَ مَظْنُونِي

وَزِدْتَنِي فَوْقَ وَضْعِ الْجُرْحِ هَاشِمَةً وَوَجَبْتُ مِنْكَ بِالْأَسْعَافِ تَنْسُونِي

وإن هذا البيت لأروع مطلع يكشف به المحزون صديقه المعزي، فقد هَيَجَ المكنون، وكَشَفَ

المستور، وأذيع السر، فماذا بقي من صدق الشعور واتقاد حرارة الحزن لم يبشه الشاعر إلا أن

يقول: «وزدتنني فوق وضع الجرح هاشمة».

وقد مزج في قصيدته هذه الرثاء بالحكمة، فقال: (٥)

نَسِيرُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ سِيرَ السَّفِينَةِ فِي لُجٍّ مِنَ الْهُونِ

أَقْلُ شَيْءٍ فَيُؤْذِنَا وَيَفْرَحُنَا نَزَرُ مِنَ الْمَالِ أَوْ دُونَ مِنَ الْبُذُونِ

لَمْ تَنْزِرْ بِأَقْبِيئَةٍ مِنَّا وَعَاقِبَةُ فَيَهَا كَأَنَّا بَرَاذِينُ الْبَرَاذِينِ

(١) نقه ١٤٤/٢.

(٢) المصدر نقه ١٤٥/٢.

(٣) المصدر السابق ١٤٥/٢.

(٤) المصدر نقه ٢٧٦/٢.

(٥) الديوان ٢٧٧/٢.

(١) د: مخير صالح، رثاء الأبناء في الشعر العربي، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن
(٢) أخذت الخبر بتصريف وينظر تفصيله في: محمد بن يزيد المبرد، التعازي والمراثي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا ١٩٧٦م، تحقيق محمد الدياجي ص ١٤٤.
(٣) الديوان ١٠٥/٢.
(٤) المصدر السابق ١٠٦/٢.

ورثى ولده درويشاً بأربع مراث ضمنها أساء وحزنه وجزعه لفقده، فقد اهتاض قلبه وذهب سلوه كما يقول: (١)

هَيَّظْتُ قَلْبِي أَبَا الْخُرْصِيِّ بِسَلُوكَا لَوْ كَانَ نَهْجُكَ يَا دَرْوِشُ مَسْلُوكَا
تركتني للنجوم الشُّهُبُ مُرْتَقِبَا أَرعى الفِوَارِطَ مِنْهَا وَالْمَسَالِيكََا

فقد رحل عن جيران الدنيا الذين يملون صاحبهم إلى الجيران الذين لا يملون صاحبهم، وهم سكان القبور: (٢)

رَحَلْتُ عَنْ جِيرةٍ مَلْتُ مَجَاوِرَهَا وَرَحْتُ جَاراً لِقُومٍ لَا يَمْلُوكَا
عَسَاهُمْ بَعْدَمَا أَهْلَلْتُ بَيْنَهُمْ أَحْلُوكَ أَتَهَةً الْعَلِيَا وَأَحْلُوكَا
فقد ذهب عن أبيه وتركه يتحسر بلوعته، ذهب من الدنيا الفانية إلى الدار الآخرة، فلتن مات الرجاء الذي كان يترجيه من ابنه، فيأمل أن يجمع الله شمليهما في جنان النعيم: (٣)

تَرَكْتَنِي يَا أَبَا الْخُرْصِيِّ فِي تَعَبٍ وَأَنْتَ رَحْتَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ مَتْرُوكَا
رَحَلْتُ لَا إِرْبَةَ الدُّنْيَا لَقَسِيتُ وَلَا ذَنْباً كَسَبْتُ وَلَيْسَ الْعَرِضُ مَهْتُوكَا
لَنَا الْعِزَاءُ عَلَيْكَ الدَّهْرُ يَا فَرَطُ أَنْتَ السَّعِيدُ وَالْحُسْنَى مُهْنُوكَا

ويزج العظة بالثناء، فيدعو ربه أن يهديه الصراط المستقيم، ويغفر ذنبه العظيم، ويدخله جنة النعيم، ويلتقي فيها ولده.

والتصيدة الأخرى يمزج فيها الرثاء بالحكمة، ويذكر شمائل ولده وفطنته وذكائه المتقد، ويصبر أمه بالألا تذكر صورته ولا خلّقه وبديته، فيقول: (٤)

يَا أُمُّهُ اعْتَصِمِي بِاللَّهِ وَاصْطَبِرِي يُشِيبُكَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَفْوُ وَالْمِنَا
لَا تَذْكُرِي مِنْهُ خُلُقاً لَا وَلَا خُلُقاً وَلَا بِدِيهَةٍ عَقْلٍ لَا وَلَا فِطْنَا
وَسَائِلِي اللَّهُ نَلْقَاهُ بِجَنَّتِهِ لَكِي تَقْرِي عِيُوناً بَعْدَ طَوْلِ عَنَا

(١) نفه ٢/٢١١.

(٢) المصدر نفه ٢/٢١١.

(٣) نفه ٢/٢١٢.

(٤) الديوان ٢/٢٧٣.

وما يستظرف عند أبي حمزة أننا نجده يرثي جزءاً من جسمه، فقد رثى أضراره عندما تساقطت، فهن كن جنوده التي يطحن بها القساء، وينذل بها الطغاة، ويطيع بها العاصي، كما يقول: (١)

كُنَّ الجنودَ التي ذلَّ العزيزُ بها وكلي أطاعَ بها المستصعبُ العاتي
قد كان ثغري به سِمطانٍ من دُرٍّ سَلْكَانِ عَادَا خَلِيَّاتِ عَرِيَّاتِ
لا سلوةٌ بعد أضراسي ولا قَرَحٍ ولا لذاذة عيشٍ أو إْجَارَاتِ

وكان فصيحاً في حديثه، وعندما تساقطن، زالت الفصاحة من لسانه، وأصبح لشغاً في حديثه، فحروف الطاء والضاد والراء لا يستطيع أن ينطقهن بسهولة، وكذلك أحرف الحلق، فيقول: (٢)

مُذْ كُنْ كُنْتُ فصيحاً غير ذي لشغ مُذْ بِنَ بَانَتْ غِرَانِيْقُ الفصاحاتِ
فالطاء والضاد والراءاتُ قد سَلِبَتْ مني فرُعِيّاً لطاءاتي وراءاتي
وأحرفُ الحلقِ قد أُعْطِيَتْهَا عِوضاً في طيِّ قافٍ وكافاتٍ وميماتِ
بعضي مضى وبقي بعضي قَوْماً أسفاً بَمَنْ مَضَى لَيْتَ شِعْري بالبقِيَّاتِ

الرثاء العام: نقصد به رثاء الشخصيات البارزة في المجتمع التي لها دور متميز في حركة العلمية والفكرية والأدبية والسياسية.

١- رثاء العلماء: للأدباء مكانة طيبة في المجتمع، فقد كانوا يتصلون بحياة الناس وبالأخص حياة الشعراء اتصالاً مباشراً، سواء فيما يتعلق بالناحية الدينية أم الجانب الثقافي والعلمي، فاحتلت مراثيهم جانباً كبيراً من الحياة الأدبية، وقلما مات عالم من العلماء أو أحد المفكرين إلا وللأدب حديث عن أفضاله وقيمه (٣).

رثى أبو حمزة كثيراً من علماء عصره وقضاته ومفكره، من مثل الشيخ أحمد بن مداد الناعبي (٤)، والشيخ سليمان بن محمد بن سليمان النزوي، وأبي عبدالله محمد بن سعيد بن عبد

(١) المصدر نفسه ١١٣/٢.

(٢) نفسه ١١٣/٢.

(٣) الدكتور علي عبد الخالق علي، الشعر العُماني، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٤، ص ١٤٤.

(٤) أحمد بن مداد بن عبدالله الناعبي، عالم، فقيه، عاش في القرن العاشر الهجري، في عهد الإمام محمد ابن اسماعيل وابنه بركات. (دليل أعلام عمان ص ٢٩).

السلام النخلي، وأبي محمد عبدالله بن محمد بن سليمان^(١)، وعلي بن أبي القاسم بن محمد ابن سليمان الأزكوي^(٢) وغيرهم من جلة العلماء والقضاة في عصره.

ونحن نتبع المعاني التي طرقها في قصائده في رثاء العلماء، فيرى أبو حمزة أن موت ابن مداد نبأ عظيم وخطب جسيم، ليس مع قبيلة ناعب بل عند الثقلين الإنس والجن كما يقول^(٣):

هذا هو النبأ الجليل الفرد في الثـ ثقلين والغبراء والخضراء
ما خُص فيه ناعب وقبيله من دون أدوا جملة الحمراء

فموته ثلم الإسلام والمكارم والتقى وذهب العلم^(٤):

يا ثلمة وثقت ولا جبر لها كتجبر الأعضاء بالأعضاء
من سره إن المكارم والتقى والعلم يذهب عن أذى الدنيا
فلينعن فكذا إذهابه تحت الثرى من دولة وثرء

فليس الشاعر هو الذي يبكيه، وإنما تبكيه العلا والمكرمات والكتب التي افتقدته^(٥):

أبكي عليك وقد بكت قبلي العلا والمكرمات بمقلة وطفاء
والكتب باكبة عليك لأنها رزئت لفقدك أعظم الإرزاء

وبكى عليه القلم الذي كان يحرق به المحامد^(٦):

وبكى البراع عليك وهو أحق من يبكي عليك بخلوة وملاء
فلطالما أجبرته وحرته بمحامد الأفعال والأسماء

وبكت عليه أيضاً المحابر والمنابر والمدارس والمساجد، وكذلك وفود الضيفان التي تنتظر قراها

منه^(٧):

وبكت عليك محابر ومنابر فقدت لفقدك منطق الخطباء
وبكت عليك مساجد ومحاشد ومدارس ومفارس النعماء
وبكت عليك وفود حي عاذاها من كفك الوهاب فرض عطاء

(١) عبدالله بن محمد بن سليمان: شيخ، فقيه، جليل، عاش في القرن العاشر الهجري (نفسه ١١٥).

(٢) علي بن أبي القاسم بن محمد بن سليمان الأزكوي، من علماء القرن العاشر، (البطاشي إلخاف الأعيان) ٢/٢٩٣.

(٣) الديوان ٢/٩٧. (٤) المصدر نفسه ٢/٩٧.

(٥) الديوان ٢/٩٨. (٦) نفسه ٢/٩٩.

(٧) نفسه ٢/٩٩.

وفي مزجه الحكمة بالرياء، يقول عن الدنيا: (١)

تَبَّاً لذي الدنيا ومفتخر بها وبأمل منها منال منال
فيها النعيم ببؤسها متكرر ولقد تُعاقبُ راحةً بشقاء
ما أوهبت إلا وقد سَلَبَتْ وما إن أضحكك إلا ثنتُ بكاء
ومن الملاحظ أن العاطفة عنده تكون أكثر حرارة وأشد توهجاً وأعلى انتقاداً في رثائه للعلماء.

وفي رثائه للشيخ سليمان بن محمد بن سليمان النزوي، يصف كرمه، والجموع التي تفد إليه وقد ارتفعت أصواتهم وتمازجت بالبكاء، وإضافة إلى ذلك، يذكر ذكاء المتقد الذي يرى به ما خبأته الأيام الماضية، وما تأتي به الأيام المقبلة من مكنونات، فيقول: (٢)

كأنه من ذكاء العقل في رفقٍ أنوار موسى على سينا تتقد
بيوميه قد يرى ما أمس فات به رؤياه بالعقل ما يأتي إليه غد

وفي رثائه الشيخ جمعة بن أحمد الأزكوي، يرى أن ذلك الرزء: (٣)

أبكى السماء وأبكى الأرض من حزنٍ وأعمى العين دون العلم والأثر
به السما طويت والأرض قد كُفِتَتْ والشم قد نُسِفَتْ والبحر قد سُجِرَا
وهذم الأرض من رأس إلى قدم وعم لا حص قسحطانا ولا مضرا
ويكرر بعض المعاني فيقول: (٤)

يا ثلعة وقعت في الدين فاغرة وها هو الكسر في الاسلام ما جبراً
أمسى التقى والنهى والعلم قاطبةً والحمد والمجد والمعروف رهن ثرى
ما خلت بحراً وطوداً أن يضمهما شبر من الأرض أو باع إذا شبرا

ويرثي فيه فتواه للناس إذا أشكلت المسائل على غيره، ويرثي فيه خضم علمه: (٥)

(١) نفسه ١٠٠/٢.

(٢) نفسه ١٤١/٢.

(٣) المصدر السابق ١٥٥/٢.

(٤) نفسه ١٥٥/٢.

(٥) نفسه ١٥٥/٢.

من ذا خلائك يفتي الناس إن عضلت مسائل أشكلت إسنادها ذخرا
من جم علمك لو كُنت الخضم لما ال كليم والخضر في لجاته عبدا

ويرثي فيه إحياء سنة الرسول الكريم وقتله للبدع: (١)

أظهرت في الملة البيضاء معجزة من دق علمك واستبطنت ما ظهرا
أحييت سنة من أحبا الظلام وكم سيرت بالعلم بين العالم السيرا

ومن المعاني التي تحملها مريثة ابن اللواح، دفاع العلماء عن عمان، إذ أن المذهب الإباضي هو ركن من أركان الدولة العمانية، فلا شك أن يكون دفاعهم عن المذهب أساساً من أسس الدفاع عن عمان.

وفي رثاء أبي حمزة للشيخ أبي عبدالله محمد بن سعيد بن محمد بن عبد السلام النخلي

يقول: (٢)

فعمان بعدك مقلّة قد أفقنت هيهات بعدك نورها لا يسطع
حقاً عليك بأن تشقّ جيبها حزناً وتخيش وجهها أو تصفع
قد كُنت حامياً بعلمك مانعاً وسواك بعدك عاجز لا يمنع
قد كُنت ذا جدك بعلمك دونها إن أسند السنّي والمتشيع
فالدين بعدك يا محمد هُدمت أركانه والحلم فهو مضيع
ضعفت أركان الإباضي والرجا بك قد أشيد وكان لا يتضعع

ونرى صدق التجربة ووفاءها في خطابه لا بني الشيخ جمعة بن أحمد الهالك فيقول: (٣)

إني أعزبكما فيه ولي مقل أخشى عليها لوقع الأذمّع العورا
فكلما وكُنت في الخند جارية أبقت بقلبي جمر الحزن مستعرا
من لي أخ بعده في الدين ينصح لا ختلاً وحقداً ولا لبساً ولا ضمرا

(١) نقه ١٥٦/٢ .

(٢) نفس المصدر ١٧١/٢ .

(٣) الديوان ١٥٧/٢ .

كما يظهر صدق التجربة في الأبيات التالية: (١)

وإنني بالعززا والحزن أحتر من أبتيت بعهدك أولاداً ومُدخراً
لو كان بجدي البكا ماضٍ بكيك ما صعبتُ بعذك في أيامي العُمراً
لكنها حكمة في الخلق بالغية من ذا يرُدُّ قضاء الله والقدر

رثاء الأمراء والسلاطين: لقد رثى أبو حمزة من السلاطين والأمراء الذين عاصروه أبا العرب بن أبي العرب بن الصلت، والسلطان هوداً بن سلطان، والأمير محمد بن ربيعة العميري. ورثى الأمير أبا الحسين علي بن سنان العميري (٢) بقصيدتين. الأولى مطلعها: (٣)

دَعِ الزُّفَرَاتِ صَاعِدَةً طَوَامِي وحاطمة إذ نَزَلَتْ عِظَامِي
والأخرى مطلعها: (٤)

أها ولو نَفَعَتْ من قال أواها كررثها ولعمري لم أقل أها

وإذا تتبعنا المعاني التي رثى بها هؤلاء الأمراء والسلاطين، نجده يرثي المجد والسؤدد في السلطان أبي العرب، فيقول: (٥)

هو الرُّزُّ حَتَّى خُصَّ رِيشُ الْقَوَادِمِ وَخُصَّ الْخُصُوفَانِي فِي جَنَاحِ الْمَكَارِمِ
وَأَفْقَا عَيْنَ الْمَجْدِ حَتَّى تَفُورَتْ وَأَعْمَى قُلُوبَ الْوَاجِبَاتِ اللَّوَاظِمِ
وَهَدَّمْ بَيْتَ السُّؤْدُدِ الْعِزَّ وَالْعَلَا وَحَكَّمْ الْمَنَابِيَا هَادِمٌ أَيْ هَادِمِ

ويرى أن فقد السلطان أبي العرب لا يماثله فقد أي ملك، فيقول: (٦)

وما الفقدُ فِي كُلِّ الْمُلُوكِ كَفَقْدِهِ فِي الْفَقْدِ هُمْ مِنْهُ كَفَقْدِ الْبِهَائِمِ

ويرثي فيه المعاني والهمم الشماء والحامد، فيقول: (٧)

أبا مالِكٍ مَنْ لِّلْمَعَالِي يَشِيدُهَا خَلَاقِكَ مَذْ أُنْبِتُهَا بِالْدَّعَائِمِ
فَمَا قُفِدَتْ مَذْ كُنْتُ أَمْلَاكِ حِمِيرٍ وَلَا لِسَوَاكِ الْحَمْدُ عِنْدَ الْمَوَاسِمِ

(١) نفسه ١٥٦/٢.

(٢) لم أجد تراجم لهؤلاء الأعلام فيما توافر لدي من مصادر.

(٣) الديوان ٢٤٩/٢.

(٤) نفسه ٢٧٩/٢.

(٥) نفسه ٢٣٩/٢.

(٦) الديوان ٢٣٩/٢.

(٧) نفسه ٢٣٩/٢.

وفي رثائه للأمير أبي الحسين علي بن سنان العميري، يصف فيه الشجاعة والكرم والإقدام وإسعاره نيران الحروب وغاراته، فيقول: (١)

أَوْهَابَ الْهَنَائِدِ كَانَسَاتِ	وَقَائِدَ كُلِّ عَيْطَاءِ اللَّجَامِ
أَوَاقِيْدَ كُلِّ نَارٍ بِالرَّوَاهِي	لِضَيْفٍ خَابِطٍ جَوْزِ الظَّلَامِ
أُمْسَعِرَ كُلَّ نَارٍ وَغَى ضُرُوسِ	أَنَاصِرَ كُلِّ تَامِكَةِ السَّنَامِ
أَغَائِرَ كُلِّ صَاحِبَةِ غَدَاةٍ	عَلَى خَيْلٍ تَقْنَعُ بِالْقَتَامِ
أَشْيَادَ الْعَالِي بِالْعَوَالِي	أُمْبِلِسَ أَلْسُنِ اللَّذِّ الْخِصَامِ

ويذكر هيبته ووطناته على العدو، إلا أن تلك الهيبة لم تقه الموت: (٢)

فَتَى أَسْرَتْ مَهَابَتُهُ الْأَعَادِي	وَلَمْ يَزَلِ الْأَسِيرَ لَذِي الْعَدَامِ
تَوَقَّتُهُ الْخُطُوبُ وَمَا وَقَّتُهُ	مَهَابَتُهُ عَنِ الْمَوْتِ الزَّوَامِ

ويذكر دفاعه عن عمان وتشتيته العدو إذا ما أقبل، فيقول: (٣)

وَمَنْ لِعُمَانٍ إِنْ رَاحَتْ رَجَالُ	بِهَا لِلخُطْبِ كَالِإِبِلِ الْحِيَامِ
بَشَتَتْ دُونَهَا جَمْعَ الْأَعَادِي	وَيَجْمَعُ شَتَّهَا جَمْعَ التَّنَامِ

ويصف النواح والبكاء على الأمير عند خروج جنازته والذهاب بها إلى المقبرة، فيقول: (٤)

لَقَدْ خَرَجُوا بِهِ وَبِجَانِبِهِ	صَوَاعِقُ دُونَهَا صَعَقُ الْقِيَامِ
كَأَنَّ النَّائِحَاتِ مَصْرَعَاتُ	عَلَى آثَارِهِ صَرَغَى مُدَامِ

وفي رثائه للأمراء يبدو صدق عاطفته وتفجعه جليئناً على الأمير، فيقول: (٥)

رَجُوتُكَ أَنْ تَكُونَ كَفِيلِ نَسْلِي	فَقَدَّمَكَ الرَّدَى قَبْلِي أَمَامِي
وَلَوْ قَبْلَ الرَّدَى فَبِكَ الْأَفَادِي	فَدَتَكَ جَمِيعُ سَامٍ ثُمَّ حَامِي

(١) المصدر نفسه ٣٥١/٢.

(٢) نفسه ٢٤٩/٢.

(٣) نفسه ٢٥٠/٢.

(٤) الديوان ٢٥٠/٢.

(٥) المصدر السابق ٢٥٢/٢.

ومن المعاني التي ذكرها ابن اللواح في رثائه للأمير محمد بن ربيعة العميري أن النساء العميريات خمشن وجوههن ونثلن شعورهن وشققن جيوبهن حزناً عليه؛ لأنهن تذكرن منعه إياهن الغارات، كما يقول: (١)

خمشن العميريات بعدك أوجهاً عليك وفي أكتافها نثل الشعر
وشققن أثواباً عليك ستيرةً وبعدك لا يبقي حياءً ولا ستر
إلى أن يقول: (٢)

تذكرن منك المنع عن كل غارةٍ ومنك فقد يغني عن الخبر الخبر

رثاء الشعراء : عرفنا في الفصل الأول أن الشيخ نجدة، والشيخ صالحاً من أبناء عبد السلام كانا من أصحاب شاعرنا، وكانا شاعرين، وها هو ذا شاعرنا يرثيهما مع من رثى من أصحابه ويتوجع عليهما، ففي رثاء شاعرنا للشيخ نجدة بن عبد السلام، نجده يضمن جل قصيدته حكماً، والعزاء فيها في حدود سبعة أبيات فقط، فما قاله من الحكمة: (٣)

إن شئت فاشجع ومهما شئت كن جبناً سهم المنون صمى المقدام والجبنا
فما بنينا فإن الموت يهدمهُ من ذا الذي لك بالهنيان حيث بنى
ومن وكدناه إن الموت أفقدنا ومن الفناء كان الموت فرقنا
وما قاله في تعزية عبد السلام: (٤)

إنني أعزبك يا عبد السلام وفي قلبي أسى جدّ التأسيف والحزنا
لي من مصيبتكم سهم أعيش به فلو سلوتم فلا أسلو أسى وضنى
من العجائب إن عزيتكم فأنا به أعزّي بحيث الصبر أعوزنا

والمعاني التي حملتها قصيدة الرثاء في الشعراء هي نفس معاني مرثاة العلماء؛ لأن علماؤنا في عُمان معظمهم يجمعون بين الفقه والأدب، فتجد الشخص عالماً في الفقه، قاضياً ومفتياً كما نجده شاعراً وأديباً.

ورثى ابن غسان في الشيخ صالح بن عبد السلام السيرة الحميدة التي سارها في حياته،

(١) نفس المصدر ٦٩/٢ .

(٢) نفسه ٦٩/٢ .

(٣) المصدر السابق ٢٦١/٢ .

(٤) الديوان ١٦٢/٢ .

فما قاله: (١)

أودى الذي كانت له سيرة بها	قامت على كل العماد شروع
فكانه أعطى النبوة والنبي	فهو المطاع وقوله المسموع
أودى الذي كان العفان دثاره	وتضاعفت منه عليه دروع
فكانه من خوفه وبكائه	فوق الفراش ممرض مروع

كما رثى فيه القضاء وأحكامه العادلة النافذة، ومن ذلك قوله: (٢)

أودى الذي كان القضاء لأمره	طوع القياد كما يقاد تبيع
فكانه حكم عليه موكل	وكأنه عبد عليه مطيع

ويظهر إخلاص أبي حمزة لأصحابه في تنجعه عليهم، وصدق شعوره وإحساسه تجاههم، من ذلك قوله: (٣)

هل إن دعوتك يا ابن بلحسن الرضي	أنت المجيب وللدعاء سميع
خلفتني شلو الحوادث كلما	نعت النعاة فإني مفجوع
بي منك ما بك في الضريح فرما	أنت المريح وإنني لنزوع

وفي رثائه للشريف علي بن بركات، بين أنه قُتل في الطريق في أثناء ذهابه إلى حج بيت الله الحرام، وكان شاباً قبل أن يبيض عارضه، فقال: (٤)

أنت الشهيد سعيداً قد قتلت على	خير العقائد في حل ومرتحل
أزمنت حجاً لبيت الله معتمراً	وزائراً قبر هاد سيد الرسل

إلى أن قال: (٥)

قاتلت في الله من عاداه متكللاً	عليه فاسعد بجد منه متكل
ضربت بالسيف لو وقفت لا دهشاً	حتى غدا السيف مفلولاً من القل

(١) نفس المصدر ١٧٦/٢.

(٢) نفسه ١٧٧/٢.

(٣) نفس المصدر ١٧٧/٢.

(٤) نفسه ٢٢٧/٢.

(٥) الديوان ٢٢٨/٢.

رثاء الأصدقاء : من أصحابه الأعزاء المخلصين الذين حلاهم بقريضه، وترك لنا فيهم
روائعه غريب بن محمد بن خاطر السمانلي وأولاده، فقد رثى ابن اللواح غريباً بن محمد
بمرثيتين، إحداهما مطلعها: (١)

سَلُّوا هَلْ تَرَوْا خَلْقاً وَإِنْ عَزَّ بَاقِيَا وهل تعلموا دون المنيّة واقيا
والثانية مطلعها: (٢)

المرء لا زال في دُنياه كالعرض صميّة لِسِهَامِ الموتِ كالغرضِ
وقد وشى أبو حمزة مقدمة هذه القصيدة بعصارة تجربته من الحكم جاءت في ثمانية عشر
بيتاً، ثم أخذ يذكر ما في الهالك من خصال حميدة تحلى بها في حياته. فمن ذلك قوله: (٣)

ماذا يقولُ لنا النَّاعي وقد ظفِرَتْ آماله وبجَنّاتِ النعيمِ قُضِ
قد عاش ما عاش لا بُخلًا ولا بطراً وماتَ ماتَ بلا ذنبٍ ولا هضض
يُقلِّبُ الطرفَ في تدبيرِ خالقه تقلِّبُ الطرفَ موقيه إلى الركض
بِمَسْمَعٍ طاهرٍ من نية خلصتُ في منطق صادقٍ في منظر غَضضٍ
زهداً كأن لعمري النارَ ما خِلَّتْ إلا لتعذيبه فالتاعَ من رمضٍ
ومن صفاته أيضاً: (٤)

نيرائه للقرى بالليل ساطعةً ونوره من قيام الليل فهو يضي
قوأم صوأم مطعم الطعام إذا أخْلَفْنَ أنوا لنجوم الباخل البرض
مستوحش أنس يلقى المحتوف كما يلقي الضيوف بلا خوفٍ ولا رعضٍ
ويظهر إخلاص الشاعر لصديقه وصدق عاطفته تجاهه في لوعته وأساه اللذين أظهرهما لنا
في الأبيات التالية: (٥)

تركت قلبي كريحِ النَّسرِ متفضاً والحزنُ من ذكرِ قلبي غيرُ متفضٍ
غادرتْ جُرحَ الأسى في القلبِ متفضاً يبلى ونبیانُ حُزني غيرُ متفضٍ
وأدمعاً من جفوني قد جرت علقاً جرّني العروبة في خدّ لكالريضِ
أرعى النجوم لرزءٍ منك مشتملٌ على مصائبٍ وجدٍ فيك معترضِ

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٨١.

(٢) نفس المصدر ٢/ ١٦١.

(٣) نفسه ٢/ ١٦١.

(٤) نفسه ٢/ ١٦٣.

(٥) نفسه ٢/ ١٦٣.

فما يزال يذكر إكرامه له، حتى ليرجوه أن يكرمه في الحشر، كما يقول: (١)

أرجوك في الحشر ما أرجوك في زمن قد كنت فيه سكوب العارض المحض
ويدعو لرمسه بالسقيا قائلاً: (٢)

أجاد قبرك محلول النطاق به من باكسر غـدق أو رائج رحض
كان جودك أو حسنى بنيك به قد فاض في الأرض حيث البحر لم يفض

ثم يصف أبناء الهالك بكونهم الحاملين أثقل الأمور والتاركين أهونها والمصاحبين الأولياء الصالحين، والقائمين بدين الله صغيرهم ككبيرهم. إلى غير ذلك من الصفات التي أضفاها عليهم.

رثاء الأطباء: وقد رثى أبو حمزة الأطباء الذين مهروا في صنعة الطب في عصره -
بجانب فقههم، ومنهم الشيخ علي بن مبارك الهاشمي (٣)، والشيخ عميرة بن ثاني بن خلف
الهاشمي (٤)،

وفي خطابه للشيخ علي، يقول: (٥)

يا ابن المبارك إن العلم بعدك قد أمسى دفيناً وشمس الدين في أقل
والمجد هدت أعالي سـمكه قـوت والحمد بعدك أضحى وهو في قزل

ومن الملاحظ أن شاعرنا يقرن الطبيب علماً، في طبعه بطب نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، الذي كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويستدعي الشخصيات المشهورة في الطب عند اليونانيين، مثل هرمس وجالينوس وأفلاطون وأرسطاطاليس، فيقول: (٦)

يا سر عيسى نبي الله في زمن لا هرمس لك محمول على المثل
حسبي لديك فجالينوس صاحبه أف سلاطون بل أرسطاطاليس كالحول

فمن نهايته أنه كان يرى ما تأتي به الأيام، كما يقول: (٧)

نباهة قد أرتك الغيب محتضراً وفطنة فلديها الجـد كالهزل
لو لم تكن لك من بارك سابقة الـ حسنى دعتك الوردى من جملة الرسل

(١، ٢) الديوان ١٦٤/٢.

(٣) علي بن مبارك بن خلف، من بيت ابن هاشم، من أطباء القرن العاشر، (الإتحاف ١٨٦/٢).

(٤) عميرة بن ثاني بن خلف من بيت ابن هاشم، شيخ طبيب من أهل الرستاق من أطباء القرن العاشر، (البطاشي، تحاف الأعيان ١٦٠/٢).

(٥) المصدر نفسه ٢٣٢/٢.

(٦) نفسه ٢٣٢/٢. (٧) نفسه ٢٣٢/٢.

ويذكر استشفاء المرضى بعلاجه، فيقول: (١)

كم مقلّة عَمِيَتْ أَرْجَعْتَ نَاطِرَهَا فالـيوم تـهـكـيك حـزنـاً جـمـلـةً المـثـل
وكم شـفـيت بـنـي دـنـيـاك مـن عـلـلٍ فالـيوم لا قـيـتَ ما أـهـلـاك مـن عـلـلٍ

والشاعر يعلم تماماً أن البكاء لا يجدي ولا يفيد، ولا يرجع غائباً ولا يحيي ميتاً: (٢)
لو كان يُجـدي البـكا ماضٍ بـكـيـتُك ما يُورثُ العـيـنَ أخطاراً مـن السـبـل
وبلاحظ على الشاعر في مراثيه أنه يكرر إقران فضائل الميت بفضائل خلفه من بعده،
كأولاده أو إخوته أو أعمامه أو أقاربه الآخرين، وذلك مثل قوله: (٣)

ما ماتَ مَنْ بَعْدَهُ أَحْيَا مَكَارِمَهُ وعـلـمـةً ونُـهـاء طـالـبُ بـن عـلـي
إن الهـواشـمَ أعلامُ البـلـادِ وقـا داتُ العـبـادِ وتاجُ الدـهـرِ والدُّوـكِ

وموت عميرة بن ثاني يعده الشاعر قرى للمنايا وضيافة لها. فقد قراها العلم والتقى
والحكمة والنباهة كما يقول: (٤)

أضـاف المـنـايا بـعـدَ ما اعتـدَّ زاده وإن كان لم يبلُغ من العُمرِ إمـكانـا
أضـاف فأقـراها تُقى ونـبـاهةً وعـلـماً وتوفيقاً وحـكـماً وإحـساناً
فـتى كـانتِ الأزمانُ ظرفاً لحـلمـه وما وسـعَتْ لو زاد فيهنَّ أزمانـا

رثاء المرأة: بجانب رثاء الشاعر زوجته وأمه، فقد عزى أصحابه المخلصين في زوجاتهم
وبناتهم. وعلى الرغم من أن «من أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة؛
لضيق الكلام عليه فيهما وقلة الصفات» (٥) كما يقول ابن رشيق، فإننا نجد عدداً من القصائد
في ديوان أبي حمزة أبن فيها عدداً من النساء، ووصف فيهن التقى وطاعة الرحمن وإكرام
الضيف والحسب والنسب، إلى غير ذلك من الصفات التي أضفاها على تلك النسوة.

وقد عزى شاعرنا الشيخ أسداً بن عبدالله الأغبري في زوجته وابنته، وعزى الشيخ أحمد بن
سليمان الكندي في زوجته وبناته، وعزى السلطان أبا العرب في ابنته، كما عزى أصحابه أبناء
غريب بن محمد في والدتهم، وعزى كذلك أحمد بن قاسم بن كهلان في زوجته.

(١) الديوان ٢/ ٢٣٢.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٣٢.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٣٣.

(٤) نفسه ٢/ ٢٦٨.

(٥) الحسن بن رشيق القيرواني . العُـمـدة ٢/ ٨١٨.

ومن الصفات التي ذكرها في أم أبناء غريب بن محمد السمائي قوله: (١)

على بنت موسى رحمة الله إنها برحمته في ظلمة القبر أخلق
على طاعة الرحمن شابت وأبفعت وكانت على طاعاته قبل تزهق
فمن محض تقواها مدى طول عمرها تظن اللطى إلا لها فهي تُخلق
وإن نعيم الدهر أحلام نائم وإن دوام السعير ظل مروق
فما برحت تستحلب الصبح بالثنا إلى أن بدا وجهه من الصبح مُشرق
وتقطع حراء الهواجر صائماً وما كان من مالٍ فله تُنفق
ومن صفاتها العطف على الضعفاء والمساكين، فقد وصفها بأنها أرأف بهم من أمهاتهم
وأبائهم، فقال: (٢)

على ضعفاء المسلمين فإنها من الوالد الساعي أبر وأشفق
دليل بأن النور أشرق قلبها فما برحت للخلق كالشمس تُشرق
ومن صفاتها أيضاً: (٣)

ولا تنطق العوراء غيباً ومشهداً ولكنها بالصالح القول تنطق
كريمة قوم لا غراث ضيوئها وإن قابلت عنها الرجال فأنفق

وهذه المرأة لم تفاجئها النبوة، لأنها تأهبت وتزودت بطاعة الله قبل ذلك: (٤)

ومد علمت للموت إنذار صادق فما برحت في طاعة الله تصدق
وما وافقت منها النبوة غرة ولكن رأت أن التـأهب أرفق
أعدت لتلقاء النبوة عدة من الزاد يُغنيها إذا القوم أملقوا

وفي تعزيتة للشيخ أسد بن عبد الله في ابنته، يقول: (٥)

وما هذه الخدراء بدعاً على الردي فما هي إلا البعض من جملة العد
لها أخوات قبلها وهي مريم وآسية والخدر رابعة الزهد
فإن تلك الخدر ماتت فإنها مقدسة الآراب والجنب والبرد
فلا لبست ثوباً من العار لا ولا أذاعت إذا ما استودعت باطن السد

(١) الديوان ١٩٧/٢ . المصدر السابق ١٩٨/٢ .

(٢) نفسه ١٩٨/٢ .

(٣) المصدر نفسه ١٩٨/٢ .

(٤) نفسه ١٣٣/٢ .

ويهون الشاعر المصيبة على أسد بن عبدالله بأن يتحلى بالصبر؛ لأنه لا يستطيع رداً لقضاء الله وقدره، وإن كان فَقْدُ الحُبِّ بلية ومأساة، فالمنية كأس كلنا محتسوها: (١)

شعارُ الحليم الصبرُ في عقبِ فائتٍ إذا هو لم يقدرْ بحولٍ على ردِّ
وإن كان فَقْدُ الحُبِّ يبـلـي إسـاؤه فكلُّ بني حواءَ وقف على القُـدِّ

وبعد هذا التطواف المتأنّي في مرثي ابن الملوحي، ما الخصائص التي تطالعنا في تلك المرثي؟ إن من سمات الرثاء الخاص عنده أنه رثى أمه بقصيدتين، ولكنه لم يجعلهما على لسانه مباشرة. فجعل إحداهما على لسان ولده حمزة، والأخرى على لسان بعض أصدقائه.

وكان سيره في الرثاء الخاص سير من سبقه من الشعراء من حيث ذكر الأم بأنها عفيفة طاهرة كريمة في قومها، شفيقة عليه وعلى أولاده وعلى أصدقائه، وكذلك في رثاء الزوجة، فقد وصفها بأنها كريمة مع جيرانها وضييفانها، ومحافظة على دينها وعرضها، فلم تخن زوجها ولم تنفخ أولادها، وكانت نعم الزوجة المعوان على نواب الدهر.

ومن سمات الرثاء الخاص عند أبي حمزة أنه في رثائه لولده أحمد، جرد من نفسه شخصاً يخاطبه ويصبره وينصحه «إني نصحتك والمودة بيننا... الخ» كما اتسم رثاؤه الخاص برثاء بعض من أجزاء جسمه كـرثاء أضراسه عندما تساقطت.

أما رثاؤه العام، فموت العالم هو النبأ الأليم والخطب الجسيم والثلمة في الدين، وليس الإنس والجن يبكيان العالم فحسب، بل حرك شاعرنا الجماد، فجعل الكتب والقلم والمحابر والمنابر والمدارس والمساجد تبكي العالم وتتحسر عليه وذلك لوجود صفات في المرثي أضفاها الشاعر عليه، مثل تقواه وخوفه عذاب مولاه وغزارة علمه وفضه للمشكلات العريضة وإحيائه للسنة النبوية، ودفاعه عن عمان وعن المذهب الإباضي.

بيد أن بعض مرثيه في العلماء لا تخلو من مبالغة، بل من غلو في بعض الأحيان، وذلك مثل قوله في رثاء العلامة أبي محمد عبدالله بن محمد بن سليمان: (٢)

تكبيرتانِ حيال قبرك حَجَّةٌ وعلى الذي يمضي ولم يحمد دَمٌ

فبمجرد مرور الإنسان قرب قبر الشيخ ويكبر تكبيرتين، كانت له تلك التكبيرتان بمنزلة حجة. فإذا مضى ولم يكبر، لزمه ما يلزم المقصر في نسك من مناسك الحج، فيلزمه أن يهريق دماً، فهذا مبالغة غير محببة إن لم تكن غلوا.

واتسم رثاء أبي حمزة بدعائه لرأس الميت بالسقيا له ولجيرانه ومزج في مراثيه الرثاء بالحكمة.

أما الأمراء والسلاطين، فرثى فيهم المجد والسؤدد والهيبة والبأس وحسن تدبيرهم للأمور وإسعارهم نار الحروب دفاعاً عن الوطن وكرامته، ورثى في الطبيب شفاءه للمرضى من الداء العضال، واستدعى الشخصيات التراثية المشهورة في الطب القديم.

واتسم رثاؤه برثاء المرأة. فرثى المرأة الزوج والبنت والأم، كما اتسم عموم رثائه بذكر الخلف الصالح الذي يعقب الهالك من أبنائه وإخوانه وعمومته.

ووجود قصائد المسمطات في مراثيه تعد خاصية من خصائصها.

الفخر

من خلال تتبعي لديوان ابن غسان لم أجد له قصائد أفرد لها في الفخر، وإنما جاءت فخرياته متناثرة في قصائده، فقد لاحظت في فخرياته أنه اتجه بها اتجاهين؛ اتجاهاً فردياً واتجاهاً جماعياً، فالاتجاه الفردي افتخر فيه بنسبه وعلو محته ومكانته في قبيلته، وافتخر برجاحة عقله وخبرته بالأيام، كما افتخر بفصاحته وشاعريته، وتفوقه على من سبقه من الشعراء القدامى المشهورين، ورجحت كفة الافتخار عنده بقوافيه الحسان، وكثيراً ما يتردد (الأنأ) في فخره الفردي وكذلك في مواعظه، ومن فخره الفردي قوله: (١)

أنا في أخير زمانكم من أول	وأصح حكم في القضاء الثابت
قد كدت أعرف ما تكن ضمائر ال	إخوان أو رمز المحس الخافت
كل المحاشد فهي إثري حشد	أو غبت أحسد الرجال دالتي
فكانني القمر المنير وكل من	قد يدعي ما أدعيه فهالتي
أهل الحجى والعارفون صحابتي	والصائنو أعراضهم فقرابتي

ومن ذلك ما يفخر فيه بصبره على الشدائد ومقارعته لها وبعد نظره للأمور، كتوله: (٢)

فقلت ثقي بذمر عنق فير	متى اغتصته حادثة شجاها
بعيد الغور في طلب المعالي	شديد الخنروانة لا يباهي

وشبه نفسه بتاج في رأس الزمان، بل وفي البسيطة جمعاء، فقد ولد من المجد، وارتضع من الحمد والفضل، وترى على العلم والحلم، كما يقول: (٣)

إنني أنا التاج في رأس الزمان وفي	هذي البسيطة بين الناس رباني
المجد أولدني والفضل أرضعني	والحلم حلمني والعلم رباني

ويدل على تلك السجايا سمو البيت الذي ولد فيه: (٤)

يدل على طباعني قدس بيت	سما وعلى سما العليا مئني
------------------------	--------------------------

(١) الديوان ٦٠ / ٢ .

(٢) المصدر السابق ٨٦ / ٢ .

(٣) الديوان (مخ) ٣٦ .

(٤) نفسه ٨٢ .

كما يرى أنه عديم في هذا الزمان، فلا مثيل له في عصره - وهذا من باب المبالغة في مدح النفس - فكان لسانه يجري على الأقدار، ومنطقه يكشف ما خبأته الأيام وما تأتي به. ويقول: إذا أحطت بما يأتي وعلمت ما مضى، فلا غرو في ذلك، فإني امروء هذبتة حوادث زمانه، وإني أراه يغالي في مدح نفسه، فأثى له التنبؤ بمكنونات الليالي. يقول: (١)

ألم تعلموا أنني عديمٌ بعصرِكم وإن كنتُ مَوْجوداً لكم أوجدُ العُدْمَا
لِسَانِي عَلَى الْأَقْدَارِ يَجْرِي وَمَنْطِقِي يَبِينُ مَا يَأْتِي وَيَكْشِفُ مَا يُعْمَى
وَمِنْ هَذَبَتُهُ حَادِثَاتُ زَمَانِهِ أَحَاطَ بِمَا يَأْتِي كَمَا قَدْ مَضَى عِلْمَا

وفي خطابه لقومه يحدثهم بأنه يميت للعدو رسماً ويحيي لقومه رسماً، ويشيد لهم مجداً قوياً لا يستطيع العدو هدمه، وإذا ما حدثت العدو نفسه بأن يبني مجداً لنفسه، فإنه يبتغي مبتغى صعباً، إذ إن ابن اللواح سوف يهدمه بقوافي نظمه، كما يقول: (٢)

عَلَيَّ لَكُمْ مِنْ رَاحٍ يَثْلُمُكُمْ ثَلْمَا أَمِيتُ لَهُ رَسْمًا وَأَخْيِي لَكُمْ رَسْمًا
أَشِيدُ لَكُمْ مَجْدًا فَلَمْ يَثْرَ هَدْمُهُ وَإِنْ شَادَ مَجْدًا سَوْفَ أَهْدِمُهُ هَدْمَا
وَأَحْمِي بِرَانَ الْقَوَافِي حَرِيمَكُمْ وَطَوْبَى لِأَقْسَامِ حَرِيمِهِمْ يُحْمَى

وإذا ما نودي للحرب، وثارت الخيل تلوك لجامها، وارتفع غبار النقع، وتطاير الشرر من تحت سنايك الخيل، وظهر الموت جلياً بين صليل السيوف وطعن الرماح، وصارت الشجعان تحتقر الموت، وخيف السباء على الحريم، ورجعت أكثر أكباش القوم جرحى، جعل الشاعر نفسه وقاء بقي قومه من أعدائهم، فيضربهم بنشره ويضعهم بنظمه، وتارة أخرى يتقي ضربات السيوف والرماح بدرع قوية يرتديها، فيقول: (٣)

وطوراً، إذا ما النقعُ ثارَ غِبَارُهُ وراحت جِيَادُ الْخَيْلِ تَعْتَلِكُ اللَّجْمَا
وَنَادَى سَوَادُ الْمَوْتِ فِي الْبَيْضِ وَالْقَنَا وَصَارَتْ لَدَيْهِ الْقَوْمُ تَحْتَقِرُ الْبُهْمَا
وَخِيفَ عَلَى الْبَيْضِ الْعَذَارَى مِنَ السَّبَا وَعَادَتْ سِرَاةُ الْقَوْمِ أَكْثَرُهُمْ كَلْمَا
جَعَلْتُ لَكُمْ نَفْسًا وَقَاءً عَنِ الْعَدَى فَأَضْرِبُهُمْ نَشْرًا وَأَطْعُهُمْ نَظْمَا

(١) الديوان (مخ) ١٢١.

(٢) المصدر السابق ١١٨.

(٣) نفس المصدر ١١٨.

لساني خَشِيبٌ في الجدال كمجذمي وطوراً فدرعٌ توقني السُّمْرَ والخزما
أَقَمْتُ لَكُمْ أَجْدَادَكُمْ مِنْ قُبُورِهَا وَكُلَّكُمْ يَرْمِي الْأَعَادِي وَلَا يُرْمَى

وهو الشاعر الفصيح الذي بهر الزمان بفصاحته، فالشعراء القدامى ككعب بن زهير وقيس ابن الملوح وغيرهما يأتون بعده في الفصاحة، كما يقول (١):

وَحُذِّ الشَّنَاءُ الْمُحَضُّ مِنْ مَنِّ لَكُمْ بَعْلَاكُمْ أَبَدًا بِغُورٍ وَنَجْدُ
مِنْ شَاعِرٍ بِهِرَ الزَّمَانِ فَصَاحَةٌ مِنْ دُونِهِ كَعْبٌ وَقَيْسٌ وَارِدُ

وفصاحته أظهرتها قصائده الغر الحسان التي يتحدث بها في المجالس، تلك الغرائب التي أنجحت وغارت، لدرجة أن الركبان تغني بها في الفيافي المقفرة، وتلك الغر؛ منها ما أبّن فيها العلماء الأفاضل، ومنها ما أبّن بها الأمراء والسلاطين وأصحاب الغنى والأموال، فيقول: (٢)

وَكَمْ مَحْمُودَةٍ الْأَلْفَاظِ ذَالَتْ عَلَى النَّدَوَاتِ وَهِيَ فَمِنْ نَفَاثِي
بَثَّتْ عَلَى عُمَانٍ وَكُلِّ أَرْضٍ أَجَلُ حِكْمًا تُصَانُ عَنْ الْبَثَاتِ
غَرَائِبُ أَنْجَدَتْ عَنِي وَغَارَتْ بِأَنْوَاعِ الثَّنَا فَضَحَتْ رِوَاثِي
بِهَا الرُّكْبَانُ غَنَّتْ فِي الزِّيَاذِي وَأَشْدَاهَا الْمَرْمُتُ فِي الرَّمَاثِ
وَكَمْ أَبْنَتْ أَرْيَابَ الْفَتَاوَى وَكَمْ أَبْنَتْ أَصْحَابَ الْأَثَاثِ

وفي وصفه لقصائده وقوافيها يقول: (٣)

قَوَافٍ فَلَا إِقْوَا وَكَفَا تَشِينُهَا وَلَيْسَ بِهَا لَحْنٌ وَاحِنٌ وَلَا ثَلْبُ

فتلك القوافي نتائج خبير موكل بها، وهو وإن كان الأخير في زمانه، إلا أنه الأول في الفضل، كما يقول: (٤)

نَتَائِجُ طِبٍّ بِالْقَوَافِي مُوَكَّلٌ لَدَيْهِ الْكَلَامُ الْحُرُّ وَالْمَنْطِقُ الذَّرْبُ
أَخِيرُ زَمَانٍ وَهُوَ فِي الْفَضْلِ أَوَّلُ وَيَعْقُوبُ سُمِّيَ حِينَما هُوَ أَعْقَبُ

كما يلاحظ تكراره للأبيات والمعاني - فالأبيات التالية: (٥)

(١) الديوان (مخ) ١٤٢.

(٢) الديوان ١/ ٢٩٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٠٢.

(٤) نفس المصدر ١/ ٢٠٢.

(٥) نفسه ١/ ٢١٢.

وَرَبُّ قِوَانٍ بَيْنَ مَدْحٍ مُمَجَّدٍ وَبَيْنَ نَسِيبٍ عِنْدَهُ يَقْلِبُ الْقُلُوبَ
نَوَادِرُ مِنْ سِحْرِ الْكَلَامِ غَرَائِبُ حَوَى الشَّرْقُ مِنْهَا مَا حَوَى مِثْلُهَا الْغَرْبُ

مكررة عن هذه الأبيات: (١)

وَرَبُّ قِوَانٍ بَيْنَ مَدْحٍ مُمَجَّدٍ وَبَيْنَ نَسِيبٍ كَالْمَزَاهِيرِ مَطْرِبٍ
شَوَارِدُ مِثْلُ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ أَوْ الْخَضِرِ لَمْ يَفْقَدْ بِشَرْقٍ وَمَغْرِبٍ

أما اتجاه الفخر الجماعي عنده الذي يكثر فيه تردد (النحن) فافتخر بقومه، أنهم من بني خروص ومن الأزد، ولهم قدم الملك منذ الجاهلية، فلما جاء الإسلام ازداد فخرهم به وعزهم وجاههم، وعند فخره بهم يقول: (٢)

هُمْ الْأَزْدُ أَزْدٌ شَنْوَةٌ قِوَمِي وَهِيَهَاتِ أَزْدٌ كِرَامٌ كَأَزْدِي
مُلُوكُ الْهَرَابَا كِرَامُ السَّنَجَايَا ضِخَامُ الْعَطَايَا سَمَا كُلِّ مَجْدٍ

لهم البيت السامي في الجاهلية، إذ كانوا ملوكاً، وقد ارتفع فخرهم بمجيء الإسلام، فصاروا أئمة عدولاً حكموا العباد بما أنزل الله من الآيات البينات، فقال: (٣)

مِنَ الْقَوْمِ الْكِرَامِ بَنِي خَرْوَصٍ وَأَزْدٍ شَنْوَةٍ فَهُمْ ذُرَاهَا
لَنَا الْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ فِي زَهَبٍ إِذْ مَا شَاعَ فِي قَوْمٍ خَنَاها
مُلُوكُ الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ كُنَا وَفِي الْإِسْلَامِ مَفْخَرُنَا تَنَاها

فامتلات الدنيا التي حكموها عدلاً؛ برّها وبحرها، ووصلت جيوشهم إلى أرض الهند واليمن، فهم حماة عمان منذ القدم، ولعله يقصد منذ أن حكم مالك بن فهم الأزدي عمان، فيقول: (٤)

فَنَحْنُ وَلَاءُ سِرِّ اللَّهِ أُمَسَتْ أَوَاخِرُنَا تَوَرَّثَهَا آلَاهَا
مَلَأْنَا بِرُّنَا وَالْبَحْرَ عَدَلًا وَكُلَّ فَتًى حَمَى بِلْدًا جَبَاهَا

سرايانا لأرض الهند سارت
ونحن حمى عمان من قديم
ولليمن الفسيح وما ولاها
فسل هل غيرنا أحد حماها؟

ثم يعدد الأئمة العلول المشهورين من بني خروص الذين حكموا عمان؛ فمنهم الإمام الوارث
بن كعب الخروصي والإمام الصلت بن مالك الخروصي وغيرهم، فقال: (١)

فمنا وارث والصلت منا
وابن تميم غسان ومننا
ومنا الخالدان توارثاها
محمد ابن غسان ضياها
وغيرهم فلا أحصي عداداً
سنا الدارين هم وهم غناها

ثم يذكر بعض قضاة أولئك الأئمة، وينتقي منهم القضاة الذين اشتهروا بالعلم والفتنة،
وعرف بيتهم بالعلم والفضل كآل الرحيل الذين سكنوا صحار، وهم ذرية محبوب بن الرحيل،
فيقول: (٢)

لنا آل الرحيل هم قضاة
ونبهان بن عثمان فقاض
لكل سرية حملوا لواها
لنا بعمان شياذ علاها

ونحن عصبه للإله، نستمد عزمنا وقوتنا من الله سبحانه وتعالى، فمفخرنا بالله وبالعلم
وبالحلم، إذا افتخرت أناس بعصيان مولاها (٣)

فما نحن إلا للمهيمن عصبه
إذا فخرت قوم بعصيان ربها
ولولاه إنا لم نجد أهدأ عزماً
فمفخرنا بالله والعلم والحلما (٤)

فكما ذكرت سابقاً أن (النحن) تتردد في فخره الجماعي بكثرة.

(١) الديوان ٨٧/٢.

(٢) نفسه ٨٧/٢.

(٣) الديوان (مخ) ١١٩.

(٤) الحلم معطوف على العلم وحقه الجر.

العتاب

لقد عاتب ابن اللواح بعض أصدقائه المخلصين الذين يكن لهم المحبة، وأفرد قصائد في عتابهم.

ومن الذين عاتبهم، الإمام بركات بن محمد الخروصي، ومحمد بن أبي العرب العفيني، وشخص يدعى أبا المعالي، وعاتب الشيخ عبدالله بن أسد وولده أسد، وهناك قصائد عتاب لم تتضح أسماء الأشخاص الذين عاتبهم ابن غسان فيها.

عاتب أبو حمزة الإمام بركات بقصيدة مطلعها: (١)

عتابُ أحوالِ الشَّهْدِ كالصابِ في الحلقِ وهَجْرُ أراني الصَّبْرَ ضَرْباً من الحِمَقِ
وَلَوْ أَنَّ مَآبِي مِنْ جَنَّا بَعْدَ بَرِّكُمْ على الأَثَقِ يُلْقَى صَارَ أَضْيَقَ من وَثَقِ

ويطلب أبو حمزة من الإمام أن يترفق به وأن لا يسمع أقوال الحساد فيه فيقول: (٢)

تَرَفَّقْ بِرَقٍّ لَمْ يُطَقْ هَجْرَ سَاعَةٍ فكيف بأحقابِ خَلَوْنَ بلا رِفَقِ
لَكَ اللَّهُ لَا تَسْمَعْ لِإِرْعَادِ حُسْدٍ فَكَمْ رَاعِدٍ يَحْدُو سَحَاباً بلا وَدَقِ

وأبو حمزة يظهر تقدمه للإمام بأنه المتقدم على غيره، فيأبى أن يأتي طباعاً دنيئة، ويرى أن الوشاة يحسدونه؛ لأن الله إذا ما أعطى عبده نعمة فلا بد أن يتسلط على تلك النعمة حسود يحسده إياها كما يقول: (٣)

فإنني مُجَلَّى السَّبْقِ في كُلِّ حَلْبَةٍ وغيري سُكَيْتُ في رِباطِ وفي سَبْقِ
أَبَى اللَّهُ أَنْ أَتِي طَبَاعاً دَنِيَّةً فما ساءَ خُلِقِي ما بَقِيْتُ ولا خُلِقِي
ولكنْ إذا ما أَسْبَغَ اللَّهُ نِعْمَةً على العبدِ بارأه حَسودٌ أولوا مَذَقِ

ويستدعي الشخصيات التراثية ليوظفها في شعره ويقوي بها حجته، فيضرب المثل بأبينا آدم عليه السلام، وبهابيل، وقابيل، وسيدنا يوسف عليه السلام فيقول: (٤)

(١) الديوان ٧٣/٢

(٢) المصدر نفسه ٧٣/٢

(٣) الديوان ٧٣/٢

(٤) المصدر السابق ٧٣/٢

فَمِنْ قَبْلِ هَذَا أَحْسِدِ الْفَضْلَ آدَمُ فَبَدَّلَ مِنْ فِرْدَوْسِهِ الْجَبَلَ الشَّرْقِي
وَهَابِيلُ سَقَاهُ الرَّدَى كَفَّ صِنْوِهِ وَيُوسُفُ بَعْدَ الْجُبِّ فِي السَّجَنِ قَدْ أَتَى
وَكَمْ لَسَعَ الشَّمْسُ الْمَنِيرَةَ كَوُكَبُ خَفِيَ فَبِكْسِي ظُلْمُهُ أَفْبَحَ الْأَفْقِ
وَمَا كَلَّمَ اللَّهُ الْكَلِيمَ وَرَدَّهُ إِلَى قَوْمِهِ إِلَّا عَلَى أَثَرِ الصَّعْقِ

ويستعطف الإمام قائلاً له: أيها الإمام وابن الإمام، أما تعطف أما تصنع عنا، فإن المولى يغضب ويصفح على عبده، ثم إن لك فينا دليل قريب ونسب كما يقول: (١)

حَنَائِكَ يَا ثَوْرَ الْهَدَى وَابْنَ نُورِهِ وَيَا صَفْوَةَ الْبَارِي الْأَمِينِ عَلَى الْخَلْقِ
أَمَّا عَظْفُهُ كَالْفَجْرِ بِاللَّيْلِ شَامِتَا فَتَطَرَّدَ سُودَ الْغَبِضِ بِالْمَنِّ الْبُلْقِ
أَمَّا تَنْسُخُ الْعُتْبَى بِآخِرِ آيَةٍ مِنْ الْعَفْوِ كَيْ تَرْضَى عَلَيْنَا وَتَسْتَبْقِي
أَمَّا تَوْضِعُ الْمَنَهَاجِ مِنْ مَسْلَكِ الرِّضَى فَتَوَعَّرَ عَنْ عَتَبَاكَ لِي مَسْلَكِ الطَّرْقِ
أَمَّا لَكَ فِي الْعُتْبَى نِهَاءٌ وَغَايَةٌ أَمَّا يَغْضَبُ الْمَوْلَى وَيَعْفُو عَنِ الرِّقِ
أَمَّا لَكَ فِينَا مِنْ دَلِيلٍ حَفِيطَةٍ فَتَوْسَعُنَا عُذْرًا وَتَزْجُرَ عَنْ عَقِّ

إلى أن قال في نهايتها: (٢)

فَأَنْتَ جَدِيرٌ بِالنَّفِيسِ مِنَ الشَّنَا وَإِنِّي خَلِيقٌ بِالصَّفُوحِ وَبِالْعَتَقِ

أما عتابه واعتذاره لشخص يدعى أبا المعالي، فيذكرنا باعتذاريات النابغة الذبياني. يقول ابن اللواح: (٣)

قَدْ قَدْ غَبِطَكَ أَضْلَاعِي فَتَلَقَّنِي وَمِنْهُ رَأْسِي فَقَدْ شَابَتْ مَفَارِقُهُ
وَأَنْتَ كَاللَّيْلِ إِنْ أَنَايْتُ تَعَذَّرْنِي وَمِقْوَدِي أَنْتَ بِالْإِحْسَانِ وَاثِقُهُ
كُنْ كَالنَّبِيِّ لِكَعْبِ حِينَ أَعْلَرَهُ غَدَاءً وَافِي إِلَيْهِ وَهُوَ سَالِقُهُ
فَقَالَ حَرَمَتُهُ عِنْدِي كَحَرَمَتِكُمْ لَا تَتَّقُلُوهُ فَإِنِّي الْآنَ عَاتِقُهُ

(١) نفسه ٧٤/٢

(٢) نفسه ٧٤/٢

(٣) نفسه ٧٦/٢

الغزل

لم أجد في ديوان ابن اللواح قصائد غزلية أفرد لها للغزل، وإنما جاءت غزلياته تقليدية تمثلت في مقدمات بعض القصائد التي كتبها في ليلى الشريفة، وفي قصائد المدحة النبوية. وأبو حمزة في مقدماته الطللية نجده تقليدياً، فهو يذكر رسوم ريع المحبوبة ومواضعها، وأن تلك الرسوم تعاقبت عليها الرياح والأمطار، فمحت آثارها، من ذلك قوله: (١)

بنفسي رسوم بين نفعى وغرب	تلوح بعيني كالرداء المذهب
محت آيها الأرواح وابتكرت بها	بواكر سحب بالآتي المسحب
وجرت به الحزوى ذبولاً من البلى	تعاقب فيها كل أسجَم صيب
إلى أن غدت حتى لو ارتد ناظر	إلى آية من آيها لم يصوب
عفت غير آرى وكاب ومفهر	شحيح وأضار ونوء معثلب

ويتذكر بعض تلك العلامات التي محتها الرياح، فيقف حياها هو وصحبه يحيونها تحيات تصعد أنفاسهم لها، ويستمطرون أجفانهم بحجاء تلك الأطلال: (٢)

ومصنن أفراس ومبرك هجمة	وشاور ذوادي وناد وملعب (٣)
وقننا نحييها تحيات ولى	نصعد أنفاساً بأكوار لغب
ونستمطر الأجفان ماء كأنه	لأطلالها ملقى سماك وعقرب
متى ما معونا بالدموع سطورها	بأخفافها في كاغد الريع يكتب
ومهما تعطفنا بانسان مقلّة	أقدت ضلوعاً بالحنين المطرب

وقد تحدث ابن اللواح عن الطعينة وارتحال المحبوبة، ووصف حالته إبان وداعه لها فقال: (٤)

أسير الهوى قل لي فما أنت صانع	إذا ما بدت للطاعنين المصانع
وأنت بأخفاف الملاكد واقف	وطرفك مطروق وعنسك ضالع

(١) الديوان ٢١١/١.

(٢) المصدر السابق ٢١١/١.

(٣) للمصنف: صنف الفرس يصنف صُنُونَا؟ قام على ثلاث قوائم وطرف وحافر الرابعة (المحيط، صنف).
الهجمة من الإبل؛ أولها أربعون إلى ما زادت أو ما بين السبعين إلى المائة أو ما دوتها (المحيط، هجم)
شار: الشوي والشية - كمدة؛ الشتاء. والشاوي: صاحبه (المحيط. شوي).

(٤) الديوان ٢١٥/١.

عَشِيَّةُ جَدِّ الْبَيْنِ وَانْشَقَّتِ الْعَصَا وَجَادَ يَدْمَعُ فِي الْوَدَاعِ الْمَوَادِعُ
وَسَرَتْ شَمُوسُ الْحَيِّ وَسَطَّ هَوَادِجِي مَفَارِئُهَا فِيهَا وَمِنْهَا الْمَطَالِعُ

وفي موضع آخر، يفدي بنفسه محبوبه الذي ذهب لوداعه، فجرت دموعه قبل دموع محبوبه،
فقد وصف هذا الوداع بقوله: (١)

وَيَنْفَسُ الرَّشَاءَ الَّذِي وَدَّعْتُهُ دَمْعِي وَأَذْمَعُهُ عَلَى وَجَنَاتِهِ
مُتَغَيِّرًا عِنْدَ الْوَدَاعِ فَمَهْجَتِي كَادَتْ بِهِ تَنْسُلُ مِنْ عِبْرَاتِهِ
أَكَلَ الْهَوَى غَضًا وَأَيَّسَنِي بِهِ فَبَقَيْتُ مَقْلِبًا عَلَى جَمْرَاتِهِ

وقد تحدث ابن اللواح عن شبابه عندما كان عذاره أسوداً، وغصنه رطيباً مورقاً، تطمع فيه
كل حسناء، فقال: (٢)

لَأَذْكُرُ فَتْيَانَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى وَرَغْدَةً عَيْشِرَ بِالْجُمُومِينَ طَيْبِ
بَحِثْ عَذَارَى كَانَ أَسْوَدَ حَالِكًا وَغُصْنِي رَطِيبٌ مُورِقٌ غَيْرُ أَشْجَبِ
أَرْوَحُ أَجْرُ الذَّيْلِ كُلِّ عَشِيَّةٍ وَأَسْحَبُ بُرْدِي بَيْنَ خَشْفٍ وَتَرَبِّ

ثم يروي قصة لهوه وغرامه مع محبوبته، فيقول: (٣)

وَأَغْدُو غَدَاةَ الدَّجْنِ لَاهٍ مُفَازِلًا رَيْبَةً خَدِرَ فِي الْخَبَاءِ الْمَطْنِبِ
مَتَى تَسْقِنِي رَاحًا مِنَ الرَّاحِ قَانِيًا تَعْلَ بِظَلَمِ أَيْضِ اللَّوْنِ أَشْتَبِ

ويعصف بعض محاسنها الجسدية بقوله: (٤)

وَتُسَدِّلُ لَيْلًا تَحْتَهُ الْبَدْرُ مُشْرِقًا عَلَى خَوَطِ بَانٍ فَوْقَ دِعْصِرِ مُكْثَبِ

ثم يدير الشاعر حواراً بينه وبينها يبدو بها فيقول: (٥)

(١) الديوان/١/٢٤٧.

(٢) المصدر السابق ١/٢١١، ٢١٢.

(٣) نفس المصدر ١/٢١٢.

(٤) نفسه ١/٢١٢.

(٥) نفسه ١/٢١٢.

تقولُ وقد نضتُ قناعاً وشوذاً وجادتُ بِدمعِ العاشقِ المتعَبِّ
فيا حسنُها إذ يغسلُ الدمعُ كحلُّها وقد مَسَحَتْهُ بِالْبَنانِ المَخْضَبِ
أراكَ حبيبَ النَّفسِ أَمْسٍ قَتَلْتَنِي وأنتَ تراعيَنِي بأَذنانِ طَحْلَبِ
إلى اللهِ مِنْها كَيْفَ شَأْنُ تَقَلَّبْتُ على كُلِّ حالٍ بالهوىِ المَتَقَلَّبِ
أَسْرَتُ عِتَابِي حَيْثُ أُنْذَتُ عِتَابُها كما أَظْهَرْتَ قَتْلِي بِها وَهَوَىِ غَيْبِي

وهنا يبدأ بالرد عليها ويبشها عشقه وكلفه بها في حديث أطول من حديثها له ويسميتها باسمها وذلك في قوله: (١)

أَعْلُوهُ لَا تَبْدِينُ أَنَّهُ عَاشِقُ وَتُخْفِينُ سُلْوانَ الحَبِيبِ المَوْثَبِ
سِرَائِرُ دَائِي فِيكَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ فَهَلْ فِيكَ مِنْ حُبِّي كَمَا مِنْكَ حُلِّي بِي
فَبِي شَاهِدٌ مِنْ حُبِّكَ اليَوْمَ عَاذِلُ تُحُولِي وولوالي ودمعي ومذهبي
إِذْ هُوَ الخَالِي تَأْوِيَنِي الجَوَى فَأَعْقِدُ طَرْفِي فِي سَمَا كُلِّ كَوَكَبِ
تَبِيتِينَ يَا عَلِيَا مَبِيتَ عَوَاذِلِي بِطَرْفٍ مَتَى يَقْطُبُ لَهُ النُّومُ يَشْرَبِ

وفي موضع آخر، يصف أبو حمزة محاسن محبوبته بقوله: (٢)

وظَبِيَّةٌ أَنَسَ صَيِّبُ العَيْنِ وَرَدُّها وَمَسْرُحُها مِنْ حَيْثُ تَرعى بِهِ القَلْبُ
يُرْقِرُقُ ماءُ الحُسْنِ فِي وَجَناتِها كَمَا رَقَرَتْ دَمْعاً بِهِ سِحْرَ اللَّبِّ
مُخَضَّبَةُ الأَطْرافِ مِنْ فَيْضِ دَمْعِها بِحَيْثُ جَرى بَيْنِي وَمَا بَيْنِها العَتَبُ
تَرِينَا جَبِينَ الشَّمْسِ مِنْ شَرْقٍ وَجْهَها كَمَا أَنَّهُ يَبْدُو عَلَى مِرْطِها الغَرْبُ
شَكَا رِدْفُها نَحْفَ الوِشاحِ كَمَا شَكَا نَوَى العَقْدِ مِنْها واشتكى ضيقَهُ القَلْبُ
تَطَاعُنْتَنِي مِنْ قَدِّها سَمْهَرِيَّةٌ وَجَرَّدَ لِي مِنْها وَقَدْ بَطَرَتْ عَضْبُ
أَسِيرَةٌ حَجَلٍ مَا يُفَكُّ أَسِيرُها وَتَحْجَبُ عَيْنَ الشَّمْسِ وَهِيَ بِها حَجَبُ
رَحِيبةٌ حَجَلِ السَّاقِ لَيْلاً طَرَقَتْها وَصَدْرِي عَلَى وَقْعِ القَنَا واسِعُ رَحْبُ

وبيعث الرسل إلى محبوبته، وهي تحجبها الحجاب عن وداعه، ويستوقف صاحبيه حبال هودجها، ويطلب منهما أن يودعاها بدلاً منه؛ لأنه لم يستطع توديعها، كما يقول: (٢)

(١) المصدر نفسه ٢٠١/١، ٢٠٢.

(٢) نفسه ٨٥/٢.

بَعَثْتُ لَهَا النَوَاطِرَ يَوْمَ حَزَوِي مَخَافَةً عَيْنَهَا لَمَّا حَزَاها
وَأَحْجَبَهَا الْحَوَاجِبُ عَنْ وَدَاعِي فَمَعْنِي يَا خَلِيلِي وَدَّعَاها
قِفَا بِحِيَالِ هَوْدَجِهَا وَهَذَا فَزَادِي بَلْفَاةً وَأَوْدِعَاها
وَأِنْ كَانَتْ عَلَى عَهْدِي وَوَدَّي فَلَا تَحْرُمُ وَصَالِي مِنْ دَعَاها

ثم يذكر معاناته ووجده بمحبوبته التي يسميها ظميا، فيقول: (١)

أَنَا الشَّاقِي بِهَا قُرْبًا وَبُعْدًا فَيَا لَيْتَ الشَّقِيَّ بِهَا شَقَاها
وعهدي غير لاوية بوعدِي وَأَنْ أَلْوِي بِطَيْبَتِهَا لَوَاها
خَلِيلِي أَرْبَعًا بِي فِي رِيْعٍ لظَمِيَا قَبْلَ حَكْمٍ مِنْ نَوَاها
نُحْيِيهَا بِأَكْوَارِ الْمَطَايَا وَنَسْتَسْقِي الْمَدَامِعَ فِي رُبَاها
وَأِنْ مِتَّ الْغَدَاةَ بِحَبِّ ظَمِيَا فَهَذَرٌ مَا جَنَّتْ لَا تَطْلُبَاها
فَطَرَفِي قَاتِلِي عَمْدًا وَقَلْبِي وَيُطَلِّبُ بِالْجَنَابَةِ مِنْ جَنَاهَا

فكان ظميا عنده أعلى مكانة من عليا، فهي ليس لها ذنب، إن قتلتها بلحظها، فالجاني هو طرفه الذي اعتدى عليها بالنظر عمداً، وقلبه الذي تعلقها، فكيف يؤخذ غير الجاني بجنابة غيره.

أما عليا، فيقول لها:

فَإِنْ تَصَلَّيْنِي تُرْزِقْنِي شُكْرَ مَعْشَرِي وَإِنْ تَقْتُلِينِي يَا عَلِيَّةُ تُطْلِبْنِي

فهذه إن جنت عليه وقتلته تطلب.

ويصف أبو حمزة مغامرته العاطفية وزيارته الليلية لظميا بقوله: (٢)

وَرِيَّةٌ لَيْلَةٌ وَالطَّلُّ يَجْـرِي عَلَى مَتْنِي طَرَقَتْ سُرَى خِيَاها
بِهَانَمُ الْعَبِيرُ إِلَيَّ لَيْلًا كَمَا أَوْشَى بِهَا عِنْدِي حُلَاها
أُبْعَثُرْنِي طَنَابُ قَبَابٍ حَيٍّ عَوَاسِلُهَا جَوَانِبُ مُصْطَلَاها (٣)

(١) الديوان ٨٥/٢.

(٢) المصدر السابق ٨٦/٢.

(٣) عَسَلُ الرَّمَحِ يَعْمَلُ عَسَلًا وَعَسُولًا وَعَسُولًا وَعَسَلًا. اشتد اهتزازهُ فهو عَاسِلٌ وَعَسَالٌ. (المحيط. علل). اصطلح: استدقًا. (المحيط. صلي).

فبت مطارحاً كالطيف لما تقطع في أمانيها كراها

كما نجد عنده النزعة الحسية في وصف المغامرة دون إطالة، فيقول: (١)

فبات عِصاً بيدي وباتت تراشفتني الأشانب والشفاها (٢)
فبرد حراً قلبي برد ظلم إذا رقدت بمج به لَمَها
ومذ لاح الصبح تعلقني كما أعلقت قلبي في هواها
وأرغشها حنين الشول حتى بقائم مخدمي التوتاً يداها (٣)

وإذا تسألنا: هل لابن غسان محبوبات فعلاً؟ وهل هذه المغامرة حقيقية؟ أم هي من وحي

شعره؟

إن مكانته الاجتماعية والعلمية وما عرفناه به من تقوى وصلاح وورع، يجعلنا نشك أن يكن له أولئك المحبوبات، وإنما تلك المغامرة والمحبوبات من وحي خيال الشاعر ليس إلا، أما سمات الغزل عنده، فإنه لم يفرد قصائد له، وإنما جاءت في قصائده ومقدماتها، واتسم غزله بالتقليد من حيث ذكر الطلل ورسومه وريع المحبوبة وذكر مواضعها، ووصف حالته في وداعه لمحبوبته، وتحدث عن حالته في أيام شبابه، كما وصف بعض محاسن محبوبته الجسدية، واتسم بأسلوب الحوار بينه وبين محبوبته.

وسمى بعض تلك الفتيات اللاتي كلف بهن، ووصف بعض مغامراته العاطفية وزياراته الليلية لبعض أولئك الفتيات، وظهرت عنده النزعة الجسدية في وصف تلك المغامرة.

(١) الديوان ٨٦/٢.

(٢) العقيصة: الضفيرة. جمع عَصَص وعقاص. (المحيط. عقص).

الشنب: محرمة. ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان (المحيط. شنب).

(٣) الشول: ناقة شائل تشول؛ بلبنها للّقاح ولا لبن لها أصلاً. (المحيط. شول).

مخدّمي: سيف خدّم ككفف: قاطع. (المحيط. خذم).

الوصف

لم يفرد أبو حمزة في ديوانه قصائد في الوصف، وإنما جاءت وصفياته عرضاً ضمن قصائد ليلي الشريفة، والمدحة النبوية، والإخوانيات.

وصف مشاق الطريق التي تواجهه من صحراء متسعة الأرجاء مقفرة تتبته بها الركبان، وتضل فيها القطا، ومياه آسنة راكدة يصعب على الضرغام ورودها.

ووصفياته التي جاءت ضمن القصائد الإخوانية التي أرسلها لأصحابه في عمان وخارجها، وصف فيها مظاهر الطبيعة كالرعد والبرق والريح والمطر وما ينشأ من الثبت بعد هطول الأمطار، من ذلك قوله: (١)

ما روضةً باتَ سارِها يباكرُها	وراح فيها مَراحَ الشُولِ (٢)
فللرعودِ زجِيلٌ غَيْرُ مُنْفَصِلٍ	وللبُروقِ مَخارِيقُ تُشَاطِرُها (٣)
إذا البروقُ خَبَّتْ هَبَّ النسيمُ لها	فراح يُوري زِنادَ البرقِ زامِرُها (٤)
أو الرعودُ وَتَتْ عَنَ الجنوبِ فلر	تزال تملأُ عَبرِها هَوادِرُها (٥)
كأنما البرقُ في حافاتِها رجفت	عَبَسُ قَصَلَتْ بِذَبيبانٍ هَواتِرُها
كأنما الرعدُ في أحضانِها رَزَمَتْ	شُولُ لَعَدَسٍ وَقَدْ رِيَتْ مَناخِرُها (٦)
فَسَدَّتْ الأفقَ طَرفِية طوارِفُها	وحجَرَتْ مَحَجَرَ الجَربِ مَعاجرُها (٧)

فبعد أن وصف البروق والرعود أنتقل إلى وصف الغيث فقال: (٨)

-
- (١) ابن رُزَيْق: الصحيفة ٣٩٨/٢
(٢) الشول: الإبل الشائلات بأذنانها من اللقاح. (عبدالله بن عمر بن زياد البهلولي، شرحه على القصيدة الهائية. مخطوط)
(٣) مخاريق: واحدها مخراق وهو عند العرب ثوب يُلف وَيَضْرَب به الصبيان بعضهم بعضاً. وفي حديث علي عليه السلام. قال: البرق مخاريق الملائكة. أراد أنها آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه (اللسان. خرق). وفسر البهلولي المخاريق بشهب النيران تستضيء بها العرب بالليل ليعرفوا رحيلهم عن المنزل إلى المنزل الآخر. تشاطرها: تبارها.
(٤) خبت البروق: لم تلمع. زناد البرق: إيماضه. زامرها: صوتها (شرح البهلولي)
(٥) ونى الرعد بني من الاناء. عَنَ: اعترض. عبرها: جانبها. هوادرها: إرزامها (شرح البهلولي). وهوادر، لم أجد لها معنى في اللسان ولا توجد به مادة هودر.
(٦) رزمت: حنت. عدس: رجل من سادات عدنان معروف بالابل. ريمت: خرقت مناخرها حتى تعطف على الحالب. (شرح البهلولي). وفي التاج: عَدَسُ بن زيد بن عبدالله بن ذارم من تميم. من ذريته صحابة وأشراف (مادة: عدس)
(٧) الجرباء: السماء (شرح البهلولي)
(٨) ابن رزقي: الصحيفة ٣٩٨/٢

فانحلّ منعقدُ القطرين منبجساً كأنما الغيثُ للدَّلْحَا قطائرها (١)
 كأن منشورها الهامي نفائسها من عقدِها ويمينُ الرعدِ نائرها
 ثم بصف ما نتج عن هطول الأمطار وارتواء الأرض من نباتات وزهور فقال: (٢)

كأنما الروضةُ الفراءُ حالبةٌ والحاملاتُ معاطيفاً درائرها (٣)
 حتى إذا ما كساها الغيثُ خلعتُها ذالت مَدَال زرابيها زائرها
 تماشجُ النَّبْتُ فيها فهي رائقةٌ بالحسنِ تصبي حواشيها أزاهرها
 من أبيضٍ بَقِيقٍ أو أخضرٍ نَضِيرٍ أو أحمرٍ قانيءٍ سوداً غدائرها
 وفي استسقائه لبلدة نخل وبالذات الغريض منها، بصف المطر والرعد فيقول: (٤)

وادي الغريضِ سَقَاكَ اللَّهُ من وادي برائح سارياً أو باكراً غادي
 هَتَانٍ مِنْبَـعٍ رَزَانٍ مُنْدَقِقٍ مِرْنَانٍ صَهْصَلِقٍ رَجَاسٍ جَلَادٍ
 بُرُوقُهُ كَسَيْفِ الْهِنْدِ فِي رَهَجٍ أو البُرْءَةُ هَوَتْ مِنْ كَفِّ مَسَادٍ
 أما الرعدُ فيصفه بقوله: (٥)

رعوده كهجام الشوكِ رازمةٌ أو الخماس التي زمت لإبرادٍ
 فكلما استنَّ برقٌ حنُّ راعدهُ فأنجمت بين إبراقٍ وإرعادٍ
 إذا خب البرق هبته الصُّبا فغدا كمثُل قدحٍ مثير الجمر وقادٍ
 وإن ونى الرعدُ تحذوه الجنوبُ فلا يزال في إثرها كالمطرب الحادي
 وفي المطر يقول: (٦)

فانحلّ ذاك الحيا من كُلِّ ساحبةٍ ذيلاً على الأفق منها سُحب أبرادٍ
 تخالّ ذاك الحيا دونَ السماء سما والأفق قلْد منها داراً أصفادٍ

والملاحظ على وصف أبي حمزة الغرابية في الألفاظ، فهو ينتقي ألفاظاً غريبة

(١) القطرين: الجانبين. الدَّلْحَا: السحابة الممتلئة من الماء. قطائرها: من القطار أثرها (شرح البهلوي)

(٢) ابن رزيق: الصحيفة ٣٩٨/٢

(٣) الحاملات: السحاب. معاطيف: استمارة عن الابل المعاطفات (شرح البهلوي)

(٤) ٥، الديوان (المخطوط) ١٠٩

(٦) المصدر السابق: ١٠٩

مثل (منبثق، رزان، صهصلق، رجاس، هجام). كما نلاحظ التكرار في أبياته ومعانيه في مثل قوله: (١)

متى خبا البرقُ هبَّتْهُ الصَّبَا فغدتُ تنقُضُ كالجمر منشوراً عقائنه
وإن ونى الرعدُ تحدوه الجنوب فلم تَنفُكْ تُرْزِمُ إِرْزَاماً أَيْانته
فإن هذين البيتين تكرر للبيتين السابقين هما:

إذا خبا البرقُ هبته الصبا فغدا كمثل قدح مثير الجمر وقادِ
وإن ونى الرعدُ تحدوه الجنوبُ فلا يزال في إثرها كالمطرب الحادي

وفي وصف الرياض التي تنشأ بعد هطول المطر والنباتات ذات الألوان الزاهية يقول: (٢)

والروض قد بسطت بسط الربيع به من أبيض يقق أو أحمر جادي
وبالبرازخ حلي من صياغته مقلداً بين دكدك واعقاد
والأشجار الكبيرة الملتفة والزهور . يقول فيها: (٣)

وصافحَ الدوحُ وجه الأرض مائداً وظلٌ يخطر كالنشان ناظرها
فالرندُ منتصب والنفضُ منخفضٌ والشيعُ ترفعه عنها صنابرها (٤)

أما وصفه للمياه والظل والسحب والنسيم بعد سقوط المطر فيقول فيه: (٥)

والماء منصرف منه وممتنع والغدر تجمع حيث الجمع كاسرها (٦)
والظل يسرق بين الدوح خطوته كمثل ما سرق الأبصار ساحرها
والشمس تنظر من شطري حدائقها كمثل ما نظر الخدراء غائرها
فالسحب سافحة والغدر طافحة والورق صادحة ببح حناجرها (٧)
وللنسيم شذى من فيح زهرتها كفارة قذفتها الختم تاجرها (٨)

(١) الديوان ٧٥ / ٢

(٢) الديوان (المخطوط) ١١٠

(٣) الصحيفة ٣٩٨ / ٢

(٤) الرند والنفض والشيع والصنوبر: أزهار . (شرح البهلوي) . وفي التاج: التفض: محرقة الغاء: ما سقط من الورق والتمر (مادة نفض)

(٥) الصحيفة ٣٩٨ / ٢

(٦) منصرف: جاري بعضها وبعضها راكد. تجمع: تمتليء. كاسرها: مجريها (شرح البهلوي)

(٧) سافحة: هاطلة. طافحة: ملانة. صادحة: نائحة (المصدر السابق).

(٨) الفارة: نافجة المسك (فار). وفارة المسك: رائحته. (التاج. فور)

الختم: لم أجد لها معنى يناسب السياق

وبلاحظ على بعض تراكيبه غرابة وغموض كمثل قوله (كفارة قذفتها الختم تاجرها) فإذا عرفنا أن الفارة رائحة المسك. فماذا يقصد بالختم و (التاجر)، وقد بحثت في أسماء الرياح فلم أجد معنى للختم فيها. وربما تعزى هذه التراكيب الغريبة إلى تقليد أبي حمزة للقديس من الشعراء. فقد جاء في شعر الأخطل قوله: (١)

كَأَنَّ فَاةً مِسْكَ غَارٍ تَاجِرُهَا حَتَّى اشْتَرَاهَا بِأَعْلَى بَيْعِهِ التَّجَرُّ

وقد وصف أبو حمزة السفينة التي ركبها وهو قاصد إلى مكة المكرمة فقال: (٢)

وَتَارَةً فِي بَطُونِ الْعَائِمَاتِ لَهَا أَزِمَةٌ مِنْ وَرَاها تَحْكُمُ الْعِنَقَا
لَا رُوحَ فِيهَا وَلَا فِيهَا جَرَى نَفْسُ فَكُلُّهَا جَسَدٌ قَدْ صِيغَ مَتَفَقَا
لَا تَشْتَكِي لَقَبًا فِي السَّيْرِ أَوْ تَعَبًا وَلَا بِهَا الْجَسْرُ حَتَّى تَشْتَهِيَ الشَّبَقَا
شَرَابُهَا الصَّلُّ إِنْ تَظْمَأْ وَإِنْ سَقِبَتْ فَالْقَارُ تُطْعَمُ لَا الْقَيْصُومَ وَالسَّمَقَا
رِيحُ الْقَبُولِ لَهَا فِي الْيَمِّ قَائِدَةٌ وَسَاقُهَا سَائِقُ الْحَدَوَاءِ مُصْطَفَقَا
بِهِمْ تَشْقُ عُبابُ الْيَمِّ قَاصِدَةٌ لَيْلَى وَقَدْ جَعَلَتْ شُهْبَ السَّمَاءِ طُرْقَا

وقد وصف مسير ناقته وتعبها ومعاناتها من مشاق الطريق فقال: (٣)

فَقَدْ طَالَمَا سَرَتْ الدَّفْقَى وَفُوزَ مِنْ مَسِيرِكَ قَدْ سَارَ الدَّفْقَى وَهَمْلَجَا (٤)
وَبَا طَالَمَا دَأَبْتُ وَالْأَلَّ سَابَحُ فَكُنْتُ سَفِينًا فِيهِ لَمَّا تَمَوَّجَا
وَبَا طَالَمَا أَدْنَجْتُ وَاللَّيْلَ أَلِيلُ وَمَنْ يَبْتَغِي مَا يَبْتَغِي النَّوْمَ أَدْلَجَا
وَبَا طَالَمَا رَافَقْتُ فِي الدَّوْرِ رِيدَا وَفَجَفَجْتُ حَيْثُ الْأَجْدَلُ السَّهْمُ فَجَفَجَا (٥)
إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلَى تَرَزَّمْتُ مِثْلَمَا تَرَزَّمُ مَخْلُولٌ عَلَى الْخَلْفِ أَرْعَجَا (٦)

وقد عدد اللّوحي بعض الموارد التي كان يرد منها الماء هو وأصحابه وذكر أمكنة تلك الموارد وما بتلك الموارد من القذى الذي يعكر صفو الشراب فقال: (٧)

(١) ديوان الأخطل . ١١٥ ط ١ . دار الأصمعي بحلب - سوريا ١٩٧١ م

تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ٦٤٤/٢

(٢) الديوان ١٥٦/١

(٣) نفسه ١١٢/١

(٤) مَشَى الدَّفْقَى: أسرع هَمْلَجُ: الهملجة: حسن سير الدابة في سرعة (التاج. هملج)

(٥) الرِّيدُ: التُّرْبُ. والحَرْفُ النَّاتِيءُ مِنَ الْجَبَلِ. وَرِيحٌ رِيْدَةٌ وَرَادَةٌ وَرِيدَانَةٌ: لينة الهبوب (التاج. ريد)

فَجَفَجْتُ: الفجفج: الكثير الصياح والجلبة. الأجدل: الصقر (التاج: جدل)

(٦) تَرَزَّمْتُ: أرزمت الناقه: حنت إلى ولد غيرها .

(٧) الديوان ٢٠٦/٢

كم كم قطعتُ إليه أنجداً وفضا
وكم وردتُ على عُقبى الظما حَرَضاً
ومنه سِرْتُ على خُرْجٍ فُقْمْتُ على
والبعضُ منه هجيراً والقليل جلى
وقد صَدَدْتُ إلى جوٍّ وردت به
وفي خنْبَقَة عُقبى تَنَكَّبَه
وكم وردتُ وأصحابي من الشُعْرَا
ومن جنابِي كمٍ مِنْ وارِدٍ صَدْرَا
وكم وردنا قُبَا بالأنثى الشَّنْفِ
وكم وردنا على عُقبى نوى قُذْفِ
وكم ركبْتُ جوارِي قصده ونضا
وللسراب يلامبِعُ على الشُّهْبِ
آبارها أرتوي من مائها عكلاً
والماء كالنَّاسِ من صافٍ وموْتَشِبِ
ماءٌ كَمَطْعَمٍ شَرِيٍّ عند مشربه
وردتُ ماءً أ كماء العشر والغرب
ماءٌ أَمْرٌ من الدفلى والصَّبْرَا
منا ومُعْتَقَبٍ في إثر مُعْتَقَبِ
وماء مران يجري غير ذي وطف
عِرْقاً وردناه للإحرام في عصب

من سمات الوصف عند الملوحي الإغراب في الألفاظ والتراكيب وخصوصاً في وصفه للرعْد والبرق وقضضة جريان السيل وانحطاطه من أعالي الجبال والحنين الذي يحدثه الوادي، فإن ألفاظه غريبة حوشية وكأنك تقرأ لشاعر من أعراب الجاهلية. وكذلك التكرار في الألفاظ، فقد كرر لفظة «طالما» أربع مرات في أبيات سابقة.

وإني لأرجع هذه الغرابة والوعورة إلى طبيعة بيئته الجبلية التي عاش فيها. فهو من سكان وادي بني خروص وبالتحديد من قرية ثقب، وذلك الوادي على سفح الجبل الأخضر شمالاً والسيل يتوسط تلك القرى فبعضها يقع بين حافتي ذلك الوادي والبرق والرعد يضرب في أعالي تلك الجبال فيرتد صده على تلك القرى وقد يرى الإنسان رأي العين انقضاض مياه الشعاب من أعالي الجبال فتصب في الوهاد فتتجمع فتسيل أودية.

والشاعر يرى تلك الطبيعة الجبلية الوعرة بعينه فتستحيل عنده إلى أفكار وعبارات فيصحبها في قالب شعري بلغة تناسب تلك البيئة في خشونتها ووعورتها.

الهجاء

لم يكن أبو حمزة هجاء، فليس من شيمه الهجاء لما اتسم به من ورع وتقوى.

إلا أننا وجدنا في بعض مكاتباته لأهل إزكي قصيدة جواباً لأحد أصدقائه. مطلعها: (١)

كتابك يا مَنْ لا تخونُ مناجيهُ أتانا فكان الحاضرَ العينِ غائبهُ
بذكر ذلك الصديق لأبي حمزة أن لا يصدق ما سمعه من القيل والقال، فما هي إلا بُغية
مفرضين. فلعل ما سمعه أبو حمزة عن أولئك المفرضين حَزَّ في نفسه واستشار كوامنها، فهبَّ
يحذرهم قائلاً: (٢)

ألا مبلغُ الأعداءِ عني رسالةُ	ويشّسَ الفتى إن لم تعظه مصائبهُ
فإياكم لا تفجروا البحرَ بعدما	به هبتَ الحدوا وجاشتْ غواربهُ
ولا تستشيروا الأفعوانَ فسمةُ	بأجباهكم إن تستشيروهُ خاضبهُ
وإياكم بازي القريضِ فإنه	سيُدرِك منكم كلُّ ما هو طالبهُ
جَحانِلُهُ أقلامُهُ وجُنودُهُ	محابرُهُ والقاتلاتُ غرائبهُ

فبعد أن حذرهم بأنه البحر فلا يفجروه فيغرقون في يمه وإنه الشعبان القاتل لا يستشيروه
فيصب سمه في جباههم، وإنه صقر القريض وسيدرِك منهم مطالبه، أخذ يفتخر بنفسه ويقومه
قائلاً: (٣)

أبثِّلْني مَنْ ليس بسويِّ نعالتي	ومن قملأ الأفقَ الفسيحَ مثالبهُ
فما أنا ممن في الأصالة مدع	وما أنا مَنْ تخزبه يوماً أقاربه
فإني من القوم الذين علمتُم	إذا قامَ فيهم سيّدٌ قامَ صاحبه

فذكر أئمة بني خروص المشهورين بعدلهم، وذكر بعض مواقفهم المشهورة وما أحرزوه من نصر
ضد أعداء الإسلام، كالإمام الصلت بن مالك الذي طرد الأجباش من جزيرة سقطرة وغيره من
الأئمة الذين ثبتوا دعائم الإمامة في عمان، وذبو عنها الطغاة والطامعين إلى أن قال: (٤)

وإني على آثارهم مُقتدٍ بما لنا أسسوا والحقُّ لله طالبهُ

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٧

(٢) المصدر نفسه ١٧٨

(٣) المصدر نفسه ١٧٩

(٤) المصدر نفسه ١٧٩

فيريد أبو حمزة أن يبين لصديقه أن ما تفوه به أولئك المفرضون راجع إلى دناة أصلهم. وهو لا يريد أن يرد عليهم، فما من رجل فاضل إلا وبتلى بآخر ناقص^(١)

وما بغضتني غيرُ لحزٍ عصارط وكُلُّ دنيِّ الأصلِ لحزٌ عَصَايْبُهُ
وحاشا لنفسي كل ما فاءَ فاحشٌ على قدره فيما يفوه أجايؤه
فما فاضلٌ إلا وبلى بناقصٍ يقطعُهُ من خلفه ويعاقبُهُ

ثم يقول: (٢)

وكُلُّ حِمَارٍ إن خلا فهو ناهقٌ ويضرطُ حتى كاد ينشق غارُهُ
فيا ناكراً من مقلتي خُلَّةَ القذا لعينك فيها كبكبٌ وأهاضبُهُ

أما قصيدته الثانية فقد قالها وهو في طريقه إلى المدينة المنورة عندما صحبه أناس من قرية المضيق، ورأى من أعمالهم السيئة وصفاتهم القبيحة الشيء الكثير. من ذلك عندما رأوه في المكان المخيف وحيداً تبرؤا منه. فاستقبح ذلك منهم وشكا إلى الله فمما قاله: (٣)

أيا رياه دعوة مستضيق غريب الدار في البلد (المضيق)
صباحي مثل ما أمسي حزينا كأنني قد ذهبتُ بحنفقيق^(٤)
فكنتُ عزيزَ قوم بين قوم به جهلوا أذلُّ من الوسقيق^(٥)
وأثمانُ النفوس لها قرارٌ وكُلُّ بضاعةٍ تُهدى لسوقٍ

فقد ذكر أنه ابتلي بمرافقة رجالٍ لثامٍ أهل طربٍ وهوى، اعتادت نساؤهم الشُّبَّةَ على ضرب آلات الطرب كالريابة وغيرها، وهن خاليات من الجمال، بعبادات من القدود الحسان. فقال: (٦)

بُلَيْتُ لَدِيرَةً فِيهَا رَجَالٌ لثَامٌ أَهْلُ تَصْفِيْقٍ وَشَقِيْقٍ
لَهُمْ فِي كُلِّ ذِي نَادٍ شَهِيْقٌ إِذَا اجْتَمَعُوا بِهِ كَحَمِيْرِ سِيْقٍ
إِذَا ضَرَبَ الرِّيَابَ لَهُمْ نِسَاءٌ تَجِيْبُ الشَّبِقِ سَجْلَاءُ النَّهِيْقِ^(٧)
هِيَ الزَّلْ (٨) الْعَلَجِيْنُ (٩) مَثَقَلَاتٌ فَتَقِيْرَاتٌ مِنَ الْقَدِّ الرَّشِيْقِ

(١) الديوان (المخطوط) ١٨٠ (٢) نفسه ١٨٠ (٣) الديوان ٢٢٣/١

(٤) حنفقيق: لم أجد لها معنى في تاج العروس، كما لا توجد مادة حنفق فيه

(٥) الوسيقة: القطيع من الابل يطردها الشلال . (التاج . وسق) (٦) الديوان ٢/٢٢٣، ٢٢٤

(٧) السجلاء: المرأة العظيمة المأكمة (المحيط . سجل)

(٨) الزل: الزلاء الخفيفة الوركين (المحيط . زلل)

(٩) العلجن: المرأة الماجنة (المحيط . علجن)

وَأَكْرَمُ مِنْهُمْ لِلضَّيْفِ إِلَّا نَسَاؤُهُمُ الْكَرِيمَةُ بِالشَّبُوقِ

فلما أن ذكر تلك الأماكن وعددها، قال: إنها قرى محرومة من الخير ولا يوجد بها صديق، ولا يجد الضيف فيها قرى، وأن أهل تلك القرى يقتتلون على لقط البلح عند العشية وعند الشروق، وهم هزال الأجسام قد انحلهم الجوع، وقد شبه عداوتهم بعداوة الحيات، وهم كفرة، كأن إبليس قد ابتناهم لطاعته فيقول: (١)

قُرَى قَدْ حُرِّمَتْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ	وَمِنْ عَلَّ الصَّبُوحِ أَوْ الْغَبُوقِ
وَمَا فِيهَا إِذَا قُصِدَتْ صَدِيقٌ	وَيُسُّ الدَّارُ دَارُ بِلَا صَدِيقِ
وَلَيْسَ بِهَا لَضَيْفٍ مِنْ مَذَاقٍ	سِوَى بِلَحٍ كَصَابٍ فِي الْخُلُوقِ
وَبَيْنَ أَهْلِهِ فِيهِ قِتَالٌ	لَدَى لُقْطِ الْعِشْيَةِ وَالشُّرُوقِ
مِنَ الْجُوعِ الَّذِي مِنْهُ تَرَاهُمْ	أَدَقُّ مِنَ الْخِلَالِ أَوْ السَّبُوقِ (٢)
فَهُمْ جِلْدٌ يُجْجُولُ بَيْنَ لَحْمٍ	عَلَى عَظْمٍ يَجْجُولُ بِهِ دَقِيقُ
وَهُمْ أَعْدَى مِنَ الْحَيَاتِ طَبْعاً	وَأَكْفَرُ مِنْ دُجَى لَيْلٍ غَسُوقِ
بَنِي إِبْلِيسَ فِي خُلُقٍ وَخُلُقٍ	لَطَاعَتِهِ مَوَانِعَ لِلْحَقُوقِ

ثم بين المعاصي التي يرتكبونها فقال إنهم ضيعوا فروض الصلوات والحج والصيام، وعلى العموم فهم أهل ملاهي وفسوق، ويبيحون الوطء في المحيض، وأموال الناس عندهم حلال، فلا يفتخرون إلا بالهوقات وقتل الرقيق. كما يقول: (٣)

وَهُمْ هَدَمُوا الْفُرُوضَ فَلَا صَلَاةَ	وَلَا حَجَّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ
وَلَا صَوْمَ وَلَا عَرَفُوا بِمَلِكِ الْ	يَمِينِ وَمَا دَرَوْا حَكْمَ الْعَتِيقِ
وَهُمْ تَرَكَوا الصَّلَاةَ وَكُلُّ إِرْبٍ	وَهُمْ أَهْلُ الْمَلَاهِي وَالْفَسْخِ
وَوَطْءُ الْحَيْضِ عَنْدهُمْ مَبَاحٌ	فَخَضَبُ دِمَائِهِ مِثْلَ الْخُلُوقِ
وَمَالَ النَّاسِ عَنْدهُمْ حَلَالٌ	وَهَرَقُوا الدَّمَ كَالْمَاءِ الْهَرِيقِ
وَمَا لَهُمْ عَلَى الدُّنْيَا فُخَارٌ	سِوَى الْبُوقَاتِ أَوْ قَتْلِ الرَّفِيقِ

(١) الديوان ١/ ٢٢٤

(٢) الخلال: الخَلَّ الرجل النحيف المختل الجسم (اللسان- خليل) السُّبُوق: السابق الخيل (التاج- سبق)

(٣) الديوان ١/ ٢٢٥

هذا هو هجاء ابن اللواح وقد اتسم هجاؤه بالمزج بينه وبين الفخر. فإن هجا افتخر بنفسه
وبقومه وجعل ذلك في قالب التحذير، ألا ترى إلى قوله: (فإياكم لا تفجروا البحر، ولا
تستثيروا الأفعوان، وإياكم بازي القريض).

وإن افتخر بقومه ذكر الأئمة العلول وما حققوه من نصر للإسلام، ثم يعود إلى نفسه وذلك
في مثل قوله (وما الغصن إلا من عروق بها سما).

وهجاؤه اللاذع يكمن في البيتين التاليين:

وَكُلُّ حِمَارٍ إِنْ خَلَا فَهُوَ نَاهِقٌ وَيَضْرُطُّ حَتَّى كَادَ يَنْشَقُّ غَارُهُ

والبيت الآخر هو: (١)

وَأَطْهَرُ مِنْهُمْ الزُّطُّ الْبَدَايَا لَقَدْ ذُعَ الْأَمْهَاتُ وَلِلصَفِيْقِ^(٢)

(١) الديوان ٢٢٥ / ١

(٢) الزُّطُّ: هم جنس من السودان والهنود، والواحد زُطِّي. مثل الزنج والزنجي والروم والرومي. (اللسان- زطط).

الفصل الثالث الإنجاء الاجتماعي

تبادل ابن اللواح الرسائل الشعرية مع أصدقائه، وتحدث عن الصلات الاجتماعية والنفسية وعن الصداقة والصديق، وكانت أصدائها جليلة في شعره.

وتنوع الشعر الإخواني عند أبي حمزة بين التشوق والمدح والاستعطاف والتهاني. كما ناقش بعض القضايا الاجتماعية التي حدثت في عُمان كالجدب والجفاف، وبعض الوقائع والفتن.

الإخوانيات

مكاتباته إلى ولده حمزة : للشاعر قصائد وجهها لولده حمزة وهي عبارة عن نصائح خلقية تربية يستحثه فيها على طلب العلم والاجتهاد فيه والصبر والمثابرة. وقد وجهه إلى كيفية التعامل مع معلميه ومع زملائه طلاب العلم وبقية الناس الآخرين من فئات المجتمع، وحذره من دسائس الدسائسين. وقد استشهدت بنماذج من هذه التوجيهات في حديثي عن النصائح. ولكن لا مانع أن آتي بنماذج تختلف عن تلك.

فمن ذلك مكاتبته له ويشه شوقه وولده عليه كأن يقول: (١)

وَلَدِي كَبَدِي خَلَدِي سَبَدِي	سَنَدِي وَعَلَى الْأَيَّامِ يَدِي
الشَّوْقُ إِلَيْكَ يَمْلَمُنِي	كَتَمْلَمِلُ لِحِمِّ الْمَفْتَادِ
فَأَبَيْتُ اللَّيْلَ أَرَايَ النُّجُ	سَمَ بِطَرْفٍ أَكْحَلَ بِالسَّهْدِ

ثم يتمنى أن لو تطاوعه الأيام فيزور ولده قائلاً: (٢)

فَمَتَى الْأَيَّامُ تَبَايَعُنِي	وَصَلَّاءُ بِالصَّرْمِ يَدَا بِيَدِ
مَمَالِي بِكُمْ أَبَدًا بَدَلُ	هِيَهَاتَ وَمَا مِنْ مُلْتَحِدِ

ويطلب من ولده أن يرفق به وأن لا يقطع اتصاله به سواء بالزيارة أو بالمكاتبة، فإن الأب

يشقى لولده إذا انتطعت عنه أخباره فيقول: (٣)

مَهْلًا بِأَبِيكَ فَمُهْجَتُهُ	بَطْرَائِقُ صَارَتْ ذِي قَدَدِ
غَالَتْ فِي الْوَجْدِ مَسَائِلُهُ	بِحَسَابِ وَلُوعِ مَطَرِدِ
وَالْجَسْمُ يَرُوقُكَ مِنْ تَرَكِ	وَتَرَاهُ يَنْوِبُ عَلَى الْكَمَدِ
فَصَلُّوا كَلَفًا دَنَفًا أَسْفَا	كَطَرِيحِ نَفَاثَاتِ الْعُقَدِ

وفي قصيدة أخرى ينبهه بأن لا يغفل عنه فإنه قد كبر وأكلت الليالي منه اللحم، وأصبح
طريح الفراش كما يقول: (١)

أُعْيِبَتْ سِرِّي أَعْسَوْنِي بدهري إذا آدَ ظهري بما أنهضاً
أراك غَفَلْتَ أبا شايباً لديه الطبيبُ غدا مُمرضاً
أَكَلْنَ اللَّيَالِي إِذَا لَحْمَهُ وَأَعْظَمَهُ الْهَمُّ قَدْ رَضَضَ
طريحَ الفراشِ لشيبِ الرِيشِ مهيضُ الجناحين لن ينهضاً

مكاتباته مع غريب بن محمد وأولاده : تنوعت رسائل أبي حمزة مع غريب ابن
محمد وأولاده خاطر ومبارك بين العتاب والتشوق، والمدح، والاستعطاف، والشكوى، والتهاني.
فمن استعطافه لخاطر بن غريب يقول: (٢)

فإِلَامَ تَهْجَرُنَا وَتَقْطَعُ وصلنا أي الذي عن وصلنا أقصاكم
نرجوكم لإسائنا أنتم أسي إذ نَحْنُ منكم للأسى قاساكم
واسُوا محبباً بالمودة فيكم قد طال ما في حاله واساكم
ومن شكواه من الزمان واهله قوله: (٣)

عَاثَ الزَّمَانُ وَمَنْ فِيهِ فَقَدْ عَاثَا حتى غدوا كلهم في الحال أغلاثا
خَيْرُ الرِّجَالِ تَرَاهُ فِي زَمَانِكَ ذَا ذباب في عَقْدِ الأسواء نفاثا
إِذَا طَلَبْتَ مَقَرَّ الصَّدَقِ مِنْ رَجُلٍ وجدته عن خلاف الصدق بغاثا
كَأَنَّمَا اتَّخَذُوا مَا سَاءَ مِنْ عَمَلٍ ودنس الدين والأعراض ميراثا

ومن أبياته في التشوق إليهم: (٤)
أَحِبَّةٌ قَلْبِي إِنْ لَيْلِي عَلَى الْوَرَى قصير ومن شوق علي طويل
وَقِيلَ جَمِيلُ الصَّبْرِ بِالْحُرِّ فَاتَّقِ وما عنكم الصبر الجميل جميل
وَقَالُوا قَلِيلُ الشَّوْقِ بِالْحَزَنِ عِنْدَهُمْ كثير وعندي فالكثير قليل
وَعِنْدَهُمْ أَنْ الْبَخِيلَ بِمَالِهِ وبالنفس عندي من يَظُنُّ بخيل
وَهَبْتُ لَكُمْ نَفْسِي اشْتِيَاقاً إِلَيْكُمْ فإن ذهبت شوقاً فيكف أقول

(١) نفسه ١٢٦

(٢) الديوان (المخطوط) ١٢٤

(٣) المصدر السابق ١٢٤

(٤) نفس المصدر ١٢٥

والملاحظ على هذه الأبيات وجود المطابقة بين (تصير وطويل، وقليل وكثير).

ومن مدحه فيهم: (١)

فَأَنْتُمْ ضِيَا عَيْنِي وَقَلْبِي نِيَاظُهُ	وما عشتُم لي إنَّ عُمري هو الدَّهْرُ
يَزِينُ بِكُمْ نَظْمِي وَتَشْرِي وَغَيْرُكُمْ	يشين عليه نظمي الدُّرُّ والنَّثْرُ
وَجَدُّكَ إِنْ الْحُبُّ رِزْقُ مُقْسَمُ	بحرْمته زيدٌ ويزقُّه عَمْرُ
رَضِيتُ بِكُمْ قِسْماً مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ	ولو صاحَ أهلُ الدَّهْرِ بالويلِ والدَّهْرُ

ومن الملاحظ في بعض قصائده الإخوانية أنها تميل إلى اللغة التقريرية الإنشائية التي تؤدي كل لفظة منها إلى المعنى القاموسي لها فقط، وتقترب إلى النثرية الخطابية وتبتعد عن الإثارة والإمتاع الشعري الذي يحرك العواطف ويدغدغ الأحاسيس. نجد ذلك في مثل خطابه لخاطر بن غريب قائلاً: (٢)

سَلَامٌ كَالرِّيَاضِ عَلَيْكَ مِنِّي	بِنَشْرِ بِشَامَةٍ فَاحَتْ وَرُنْدٍ
وَحُصُّ الْأَخْوَءِ الْأَهْرَارِ مِنِّي	وَوَلَدِكَ إِنَّهُمْ لِأَجَلٍ وَلَدِي
وَحُصُّ الْأُمِّ ذَاتِ الزَّهْدِ عَنِّي	وَأَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ حُرٍّ وَعَبْدٍ
وَلَا تَنْسَ الْمَطْوَعُ فَهُوَ عِنْدِي	جَلِيلٌ وَهُوَ مِنْ أَفْلَازِ كَبْدِي

فلو تلمسنا معاني هذه الأبيات لقلنا إن معناها سلام عليك سلاماً عاطراً يفوح بعبير البشامة والرنند. وهذا البيت لا كلام عليه، إنما الكلام على الأبيات التالية التي يقول فيها: سلم لي على إختوك وأولادك وأمك وأهلك؛ أحرارهم وعبيدهم. ولا تنس المطوع أيضاً. فهذه معان نثرية مكرورة في الرسائل النثرية. ومن تهانيه أنه هنا غريب بن محمد بنجاته من ركوب البحر وهيجانه أثناء ذهابه إلى حج بيت الله الحرام. (٣)

وهنا خَلَفَ بن خاطر بن غريب بعمره. فما قاله فيه: (٤)

وَالْعَرَسُ يَهْنَأُ بِهِ الزَّاكِي الْفَتَى خَلَفُ	به فقد سَعَدَتْ لما بها سَعْدَا
سَارَتْ إِلَيْهِ مَسِيرَ الشَّمْسِ قَاصِدَةٌ	لِسَعْدِهَا حَمَلٌ لَمَّا بِهَا اقْتَصَدَا
لَا زُحْزَحَتْ عَنْهُ مَدٌّ فِي بُرْجِهَا رَكَدَتْ	وَلَا ذَوَى بُرْجِهَا عَنْهَا وَقَدِ رَكَدَا
عَاشَا كَمَا عَاشَ لُقْمَانُ وَأَنْسَرُهُ	مَجْدَاً وَعِزّاً وَعَيْشاً دَغْنَلَا رَغْدَا
مِنْ فَضْلِ بَارِيهِمَا زُهْدَا هُمَا اكْتَسَبَا	مِنْ فَضْلِهِ الْجَمُّ جَمَ الْمَالِ وَالْوَلَدَا

(٢) الديوان (المخطوط) ٤٣ ، ٤٤

(١) نفسه ١٩

(٤) الديوان (المخطوط) ٧

(٣) تنظر القصيدة في المخطوط ٨٣ ، ٨٤

وقد تحدث عن الصلات الاجتماعية وتبادل الهبات والهدايا فقال: (١)

وإن دام لي مَنْ دُمْنٌ عندي هبائه
فكُلُّ عظيم الخطب عندي به سهلٌ
فدنته العدى مما تمننت له العدى
وعاشَ وهُمُ في تحت أخمصه نعلٌ

وفي خطابه لمبارك بن غريب يقول: (٢)

مُبَارِكُ يا مَنْ لَيْسَ يَنْسَى فَيَنْسَى
وعنَّا على قُرْبٍ ويُعَدِّ فما أغضا
هداياك أمشاج على البُعدِ تأتنا
وكتبك تسلينا وحفظك ما مضى

مكاتباته مع عبدالله بن أسد وولده أسد : للشاعر مكاتبات مع عبدالله بن أسد
رولده أسد من أهل بلدة نخل التي يحددها الشاعر، ولا يكتفي بتحديد البلد بل يحدد المحلة
وهي (الغريض) فيقول: (٣)

سقى الغيثُ نَخْلًا كلَّ يومٍ وليلةٍ
فَعَلَّا على علٍ ونَهَلَّا على نَهْلٍ
وأخلعَ في وادي الغريض بُعاعه
فطَلَّا على طُلٍّ ووَيْلَّا على وَيْلٍ

وفي إحدى رسائله لهم يقول مخاطباً: (٤)

أهل الغريض غريضٌ حُبُّكم أبداً
عندي على طول أبعادي وتلدادي
أنتم بقلبي وعيني الآهلون فلا
برحمتُ عند نوماتي وتَشهادي
ولو شريتُ مِياه النِيل من صَدَأٍ
شوقاً لكم لم أزلُ يا سادتي صادي

ويعتب عليهم كيف يهجرونه دون أن يقترب في حقهم ذنباً، فلا يكاتبونه، ولا الرسل الذين
يأتون من قبلهم يُحْمَلُونَ السلام عليه. فيقول: (٥)

هجرتموني بلا ذنبٍ جَنَيْتُ ولا
عاداتكم هذه عندي ولا عادي
عني صَدَدْتُمْ ولا كَتَبْتُ ولا رُسُلُ
هيهاتَ عنكم فإني غَيْرُ صَدَادٍ
شهودٌ حُبِّي لكم إلا قلوبكم
إني لراضٍ بها ما عشتُ إشهادي

ويطلب منهم أن يواصلوه، إن لم تكن بالزيارة، وإلا فبالمكاتبة: (٦)

عُودُوا مريضكمُ أهلَ الغريضِ وكونوا
بأسطُرٍ مِنْكُمْ للصبِّ روادٍ

(١) المصدر السابق ٣٧

(٢) نفسه ٩

(٣) الديوان (المخطوط) ١١٧

(٤) المصدر السابق ١١٠

(٥) المصدر نفسه ١١١

(٦) نفسه ١١١

ويشني على عبدالله بن أسد ووكدية ويمدح محلة الغريض، ويشبها ببيضة الإسلام وهي مدينة نزوى لوجود العلم والعلماء في كل. فيقول: (١)

عبد الإله وشبليك الذين هما	غاياث سؤلي وتطلبي وإسنادي
أكرم بهم عيبة سر الإله بها	فضلاً تسلسل زهاداً لزهاد
غريضكم بيضة الإسلام لا برحت	بكم وكلكم بل حية الوادي
نخل بكم جنة الفردوس خالدة	فيها المحلون من حضر ومن بادي

ويختم قصيدته بالسلام عليهم وعلى قبيلتهم وعلى القاضي سالم وعلى كل من يرتاد ذلك المسجد الذي يصلون فيه. فيقول: (٢)

أزكى السلام عليكم والثناء به	نادى المنادي به يا مدرة النادي
يخصكم يا بني قيس بأشعته	لوالد منكم زاك وأولاد
ويلغوا سالم القاضي تحيتنا	ومن بمسجدكم أو كل مرتاد
وبالعتيك عتيك الحي من يمن	أزكى السنا وتحياتي وإنشادي

ويؤملهم بأن يزورهم إن مد الله في عمره كما يقول: (٣)

وإن أطال الإله العمر زرتكم	لو كنت أمشي على خدي وأكبادي
لأدرك الثأر من دهر بنا لعبت	أيامه لعب أزواج وأفراد

وكتب قصيدة رد بها على الشيخ أسد بن عبدالله، أظهر فيها براعته في الصنعة اللفظية، إذ أن معظمها رد فيها الأعجاز على الصدور، فقدت بعض معانيها التي يريدنا. ومطلعها: (٤)

مدام اشتياقي والتياغي إليكم	سكرت بها لا سكر شرب مدام
موامي الجوى تهنا بها بعد بعدكم	ولا كموامي البين تية موامي
مشامي بروقا لا محات يمرتكم	أذاب فؤادي مذ أشمت مشامي

إلى أن قال: (٥)

ملامي على نفسي لفرق أجبتني	وليس على غرم الشيخ ملامي
مضامي على أسواء رأي رأيتني	وليس على حكم القضاء مضامي
مصامي لنفح من نسيم جنابكم	ولولا هواكم ما أطلت مصامي

(١) نقه ١١١ (٢) نقه ١١١، ١١٢ (٣) الديوان (مخ) ١١٢ (٤) المصدر السابق ٨٦

(٥) المصدر نقه ٨٧

وقصيدة أخرى طويلة قوامها اثنان وسبعون بيتاً (١) كتبها لعبدالله بن أسد، جعل الحروف الهجائية مطلع كل بيت، بدءاً بالخاء حتى انتهى إلى الياء، وجعل لكل حرف بيتين، والتكلف في المعاني بادرٍ عليها، والبحث عن الحرف الذي يناسب مطلع البيت؛ جعل بعض المعاني ركيكة. إلا أن خفة بحر الهزج جعلها حلوة رشيقة على اللسان. نختار منها هذه الأبيات: (٢)

سلوئُثُ يا أحـبَّتُنَا	وقلبي مـا عَزَا وسَلَا
سـلَا دَمْعِي عَلَى خَدِّي	ومـا للبين يومَ سـلَا
شَلَلْتُ ولا شـوَى سـوَقِي	لـكـم قَدْ أُحْدِثَ الشـلَا
صَلَا قلبي الهـوَى جَمْرًا	تَظُنُّ به عـلـيـه صَلَا

إلى أن قال: (٣)

فَلَلْتُ جـيـوشَ أَحـزَانِي	بـذـكـرُكُمُ بَدَتْ فَلَلا
قَلا أَحْشَايَ جـمـرِ هَوَى	وَحَبَّاتِ الفـؤَادِ قَلا
قَلا قـلـبـي مُعَذِّلُهُ	فَعَنَكُمُ من لـحـاءِ قَلا
كـلـاكـم من أَعـزَّكُمُ	ولا كـالِ سـوَأِ كَلا
كـلـالٌ مـسـنِي حـبـي	لِللَّحْمِي بـعـدَ كـم أَكْلا

مكاتبات متعددة: وهي قصائد أرسلها إلى أصدقائه إما راداً عليهم على مراسلتهم، وإما تحية لهم. وهي قصائد متعددة، منها مكاتباته لأهل الرستاق؛ ومنهم عبد السلام بن أبي الحسن الرستافي ونجدة بن أبي الحسن، وقصيدة وجهها تحية للشيخ العالم محمد بن سعيد بن عبد السلام، وكتب قصيدة رداً على كتاب جاء من الطبيب العالم طالب بن علي بن مبارك الهاشمي، وكتب تحية للشيخ العالم أحمد بن مداد الناعبي، وجواباً لصديقه الشيخ القاضي عبدالله بن عمر البهلوي في قصيدتين الأولى رداً عليه عندما طلب من ابن غسان القصائد التي قالها في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- والأخرى رداً على تهنئة وجهها له القاضي بقدومه من الحج. وقصيدة جواباً للشاعر عبدالله بن سعيد البهلوي، وقصيدتين وجهها إلى مشيخة أهل إزكي. وسنأخذ نماذج من بعض هذه القصائد للتمثيل عليها. من ذلك ما قاله للعلامة عبد السلام بن أبي الحسن، بعد أن قدم للقصيدة بمقدمة في وصف الرياض والرعد والبرق وهطول الغيث. فقال متخلصاً: (٤)

(١) تنظر هذه القصيدة في المخطوط من ١٠٢-١٠٧

(٢) نفسه ١٠٣

(٣) الديوان (مخ) ١٠٤

(٤) المصدر السابق ١٤٤

وقد ضَرَجَتْ خَدَّ الرِّياضِ شقائقُ
بأطيبِ نَشْراً من كتابِ مُضْمِنَا
كتابِ لنا عبدُ السلامِ أجادهُ
كما قد أجادَ الدُّرَّ في السِّلَكِ ناظِمُ

وفي ترحيبه بالكتاب قال: (١)

فأهلاً به من زائرٍ غيرِ زائرِ
وسَهلاً به من قادمٍ غيرِ قادمِ
وعن وقع الكتاب على خاطر الشاعر قال: (٢)

فكانَ لنا أحلا من الما على الظما
وأطيبَ من شَرِّخِ الشَّبَابِ وغِيهِ
ويذكر أن من يتسلى بالكتاب عن صديقه فذلك الرجل غير خالص في مودته، لأن الكتاب وإن أطفأ حرقه الشوق إلا أنه يثير الجوى كما يقول: (٣)

وكلُّ امرئٍ يسليه بالبينِ كاغِدُ
وإن كانَ قدْ أهْدَى سروراً فإِنَّهُ
فَمَنْ يدْعِي دعوى الأُحِبَّةِ مثلنا
إلى أن قال وهو يوجه له الزيارة: (٤)

أعبدَ السلامَ المرتضى هل زيارةُ
مسائلِ علمٍ منك أصلَحْنَ مذهبي
كما منك زارتنِي أيادٍ جسامِ
ونيلُ يدٍ منها تَذاعُ المكارمُ

وقال في مطلع قصيدته للشيخ العالم محمد بن سعيد بن عبد السلام: (٥)

أحمدُ يا ابنَ السعيدِ سعيدِ
يا أعلمَ العلماءِ بلْ أحْلَمَ الـ
قاضي القضاة أخِي العلا والجودِ
يا أصلَحَ الصلحاءِ بلْ يا أفصحَ الـ
حلماءِ بلْ يا ملجأَ المضهودِ
فصحاءِ يا ذا المنهلِ المورودِ

فهو يشني على علمه وحلمه ومكانته في المجتمع. وفي جوابه للطبيب العالم طالب بن علي الهاشمي يشني على صفاء سريرة طالب بتسطير تلك الألفاظ له قائلاً: (٦)

(٢) الديوان (مخ) ١٤٤

(١) نفسه ١٤٤

(٣) المصدر السابق ١٤٥

(٤) المصدر نفسه ١٤٥

(٥) نفسه ١٥٨

(٦) نفسه ١٦٠

كَشَفَتْ سَرَائِرُ وَدِّهِ الْفَاطِظُ كَشَفَ الْغَزَالَةُ عَنْ قَنَاعِ غِيَاهِبِ
أَهْدَى إِلَيَّ غَرَائِبًا مِنْ لَفْظِهِ فَجَعَلْتُهُنَّ قَائِمًا لِفَرَائِبِي
وَعَجَائِبًا أَهْدَى لَنَا مِنْ فِكْرِهِ فَظَلَلْتُ أَكْرَعُ فِي وَرُودِ عَجَائِبِ
هُنَّ النِّجَائِبُ بِالْمَعَانِي أَرْقَلْتُ قَصْدِي فَكَلْتُ دُونَهُنَّ لِمَجَائِبِي
سَلَبْتُ أَسَالِبَهُ فَوَادِي مَذَّاتُ فَوْزًا لَهُ مَذَّ صَارَ فَوْزَ السَّالِبِ
مُتَزَاوِجُ مُتَمَازِجُ مُتَدَارِجُ مُتَنَاسِجُ مُتَمَاشِجُ يَا سَالِبِ
إِنْ قُلْتُ نَظْمًا فَهُوَ نَظْمُ مَوَاقِبِ أَوْ قُلْتُ نَشْرًا فَهُوَ نَشْرُ كَوَاقِبِ

وفي رده لصديقه القاضي عبدالله بن عمر البهلوي نلاحظه يبالغ في مدحه بقوله (يا من جَلَّ
عن مثل في العالمين). وإنى لأرى في هذا المدح غُلُوًّا فلنستمع إليه: (١)

وَاقِي كِتَابُكَ يَا مَنْ جَلَّ عَنْ مَثَلِ فِي الْعَالَمِينَ فَكَانَ الشُّوْلُ فِي الْأَمَلِ
أَهْلًا بِهِ مِنْ كِتَابِ زَارِنِي فَشَنِي قَلْبِي مِنَ الْهَمِّ أَوْ جَسْمِي مِنَ الْوَهْلِ

وفندي الكتاب وكاتبه؛ لأن أسطره ضمنها خالص الحب كما يقول: (٢)

أَفْذِيكَ مِنْ كَاتِبِ هَذَا الْكِتَابِ كَمَا أَرْسَلْتَهُ وَبَيَّانَ الْحَبِّ فِي الرُّسُلِ
ضَمَنْتَ أَسْطَرَّهُ مَحْضَ الْوَدَادِ عَلَى شَحْطِ الْبَعَادِ بِوَصْلِ غَيْرِ مُنْقَصِلِ
أَرْغَيْتَ لِي ذِمًّا لَمْ يَرْعَهَا أَحَدٌ سَوَاكَ لِي بِحِفَاطِ مِنْكَ لَمْ يَحِلِ

إلى أن قال له: (٣)

عَبْدَ الْإِلَهِ الرِّضِيِّ الزَّكَاءِ فَتَى عُمَرِ أَجَلَ حِجَابِ عِلْمِنَاهُ وَمُنْتَعِلِ
هَنَاتْنِي بِقَضَا فَرَضِ رَكْبَتُ إِلَى قَضَائِهِ سُنْنَا أَوْ كُورَ مُعْتَمِلِ

أما سمات الإخوانيات؛ فيمكن أن توصف بعض رسائل ابن غسان بذكر الأمكنة التي يقطن
بها أصحابه، وتسمية أصحابه في إخوانياته وامتداحهم، ويختم رسائله بالسلام على آل صديقه
الذي وجه إليه الرسالة، وذويه وعلى أصدقائه كذلك.

واتسمت بعض رسائله بالثرية الخطابية، وابتعدت عن روح الشعر الذي تتناغم معه
الأحاسيس. كالآبيات التالية: (٤)

أَحْجَابَ قَلْبِي كَيْفَ أَنْتُمْ وَدَهْرُكُمْ عَسَى فِي سُرُورِ السَّعَادَةِ شَامِلِ

وَهَلْ وَصَلْتُ سَفَارَكُمْ بَعْدَ بَعْدِهِمْ إِلَى دَارِهِمْ ذَاتِ الْمَقَرِّ سَمَائِلِ
وَعَلَّهُمْ فِي صِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ وَإِقْبَالِ جَدٍّ بِالْغَنَائِمِ قَابِلِ
وكقوله: (١)

وَقُرَّةٌ عَيْنِي بَلْفُوهَ تَحْبِيتِي وَخُصُّوا عَلَيَّانَا تَحْيَااتِ نَاسِلِ
وَأَبْنَاءُكُمْ طَرًّا وَحَتَّى عَبِيدِكُمْ وَجِيرَانِكُمْ أَوْ مِنْ ضَيْفٍ وَوَاغِلِ
واتسمت إخوانياته بالحديث عن الصلات الاجتماعية؛ كتبادل الهبات والهدايا، كما ظهر عليها التكلف والتصنع والبحث عن الألفاظ الغريبة والمحسنات البديعية، كقصيدته التي وجهها إلى عبدالله بن أسد وولده أسد.

ووجود تكرار في ألفاظه وعباراته بل ويكرر أشطرا في بعض الأحيان كقوله: (٢)

إِذَا لَاحَ لِي بَرَقَ بِجَرَعَا سَمَائِلِ يَظَلُّ لَهْ طَرْفِي وَقَلْبِي يَبْرُقُ

فقد تكرر الشطر الأول في قصيدة أخرى فقال: (٣)

إِذَا لَاحَ لِي بَرَقَ بِجَرَعَا سَمَائِلِ أَصَافِحُهُ عَنْ نَاطِرِي بِأَنَامِلِي

وتكررت بعض المطالع في إخوانياته من ذلك قوله: (٤)

لَمَّا ظَفَرْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَصْلِ لَمْ أَعْتَذِرْ مِنْ خِدْمَةٍ وَمَوَاصِلِ

فهذا المطلع تكرر شطره الأول في قصيدة أخرى فجاء فيها: (٥)

لَمَّا ظَفَرْتُ إِلَيْكُمْ بِالْقَاصِدِ أَلَزَمْتُ نَفْسِي حَقِّكُمْ بِمَقَاصِدِي

وفي إخوانياته أساليب وعبارات لا يصلح أن تصدر من عالم مثله في مدحويه. من ذلك تنزيهه أبناء غريب بن محمد عن الضد فقال: (٦)

كَلَاثُكُمْ مِنَ الْأَسْوَاءِ مَا قَدْ بَرَأَكُمُ وَنَزَّهَكُمْ فِي الْعَالَمِينَ عَنِ الضَّدِّ

وكقوله مخاطباً خاطر بن غريب: (٧)

وَأَلْثَمُ تَرَبٍّ نَعْلِكَ فِي سَلَامِي فَلْثَمِيهِ لَعَلَّتِي الشِّفَاءُ
لَتَعْلَمَ يَا ضِيَاءَ الْعَيْنِ مِنِّي عَلَى بُعْدِي فَأَنْتَ لِي الضِّيَاءُ

وكقوله: (٨)

أَخَاطِرُ أَنْتَ فِي قَلْبِي وَعَيْنِي مَحَلٌّ لَا يَغْيِرُكَ افْتِرَاقُ
وَإِنِّي عَبْدُكُمْ الْمَلُوكُ رِقًّا وَمَالِي عَنْ مَكَارِمِكُمْ إِبَاقُ

(١) الديوان (مخ) ٣٠ (٢) المصدر السابق ٥٢ (٣) المصدر نفسه ٥٤ (٤) نفسه ٦٢
(٥) نفسه ٧١ (٦) نفسه ٦١ (٧) نفسه ٤٢ (٨) نفسه ٣١

قضايا اجتماعية في شعر اللواح

أما الأمور والقضايا التي ناقشها أبو حمزة في شعره فهي أمور اجتماعية، منها الجذب والجفاف الذي حدث في بعض مدن عُمان وقراها، وطلب منه أن يستسقي لها. ومنها بعض الوقائع والفتن التي حدثت أو كادت أن تحدث. فأسقط عليها شعره، وحذر منها أهله وأقاربه وأصحابه فنصح أهل عُمان عامة، وكأنه قد وجه لهم نصيحة قبل هذه كما يقول: (١)

نصحتُ أهلَ عُمانَ قبلَ ذا فابوا عن القبولِ ولا عن غيِّهم أبوا
فحلَّ منهم بهم لما عصوا عَطَبُ وكُلُّ نكرٍ فللنعماءِ عَطَابُ
تناطحوا فغَدَّتْ أوراق دولتهم مثلَ السحابِ به الحدواءِ سحابُ

ومنها يقول: (٢)

يا بثسها بِعُمانٍ قَدْ قَشَتْ فِتْنُ فالحاضرون لها مِنْهُمْ كَمَنْ غابوا

ولعل الفتن التي يشير إليها هي انتشار بيع الخيار في ذلك الوقت. والذي تحدثنا عنه في أثناء حديثنا عن الأحداث في عصر الشاعر.

وقد جعل الناس في تلك الفتن في ثلاث صور فقال: (٣)

وهم ثلاثة أقسامٍ قد اقتسموا راض وفاعلٌ والباقي فخلابُ
وهم غَدَّوا بِعُمانَ بين أربعة وكُلُّهم لمعاصي الله خبابُ
فجاهلٌ سايدٌ سامت مذهبهُ وعالمٌ لتراث الناس ذهابُ
وزاهد ما درى فرضاً ولا سنناً أو كيف يوجب أو ما فيه إيجابُ
ومتربٌ فاتحٌ أبواب بيع ربا إن لم يتبْ فله للنارِ أبوابُ
فأولئك القوم كما صورهم: (٤)

لقد أجابوا دعا الشيطان حيثُ دعا كيما يجوبوا وما جابه جابوا
أحزابُ إبليس قد صاروا فليتهم لله صاروا وهم لله أحزابُ

واستثنى منهم قلة وهم الصالحون فقال: (٥)

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٤ (٢) المصدر نفسه ١٧٤ (٣) نفسه ١٧٤

(٤) نفسه ١٧٥

(٥) نفسه ١٧٥

حاشا القليلُ وهم أبن القليلُ لهم في محكم الذكر تمجيدٌ وإنداب
فالصالحون مضت إلا الحثالة لا بهم ببالي عظيمُ الشأن وهابٌ

ويصف قلوب أولئك الحثالة من أهل عمان بقوله: (١)

قلوبُ أهل عُمان كالقسي غَدَتْ ونطقهم مسهد كالغيث نشابٌ

ويستعظم تلك الفتن أن تقع في عمان وبلغ فيها غالبيتهم: (٢)

الله أكبرُ هذي فتنةٌ وَقَعَتْ لم يَنْجُ من وقعها حضرٌ وأعرابٌ
وكُلُّهم أولغوا فيها كأنهم سيدٌ لها أظفرٌ تفري وأنيابٌ

ويصف الناس وأحوالهم في تلك الفتن بقوله: (٣)

وهم عصائبٌ قد صاروا وكُلُّهم لأسطر الطمع المرذولِ عصابٌ
لا عالمٌ عاملٌ تلقاه مُغْتَسِلًا من المعاب ولا الموجدُ أوابٌ
حتى المساجد فيما بينهم درستُ لا مَنِيرٌ غيرُ مهجورٍ ومحرابٌ
وقد فشا النكرُ فيما بين أظهرهم وللعمارِ لعمرِ النكرِ خرابٌ
وقد تظاهرتِ الأخقادِ بينهم عابَ الزمانُ بهم من بعدِ ما عابوا
تَرَوُستُ ذَنبُ الأقسامِ سائدة وأرؤس القومِ صارتُ وهي أذئابٌ
وإن تَقَدَّمَ مَرْتَابٌ بذي ثِقَةٍ فالكلُّ منهم على ما فيه مَرْتَابٌ

ثم يُقسِمُ الشاعر لأهل عمان إن لم يرجعوا عن تلك الحالة التي هم عليها ليصبحوا مثل أهل
الجنيتين كما يقول: (٤)

تا الله إن لم يجوزوا عن طريقهم ولا يفك لهم قصد الرضى بابٌ
ليُصْبِحُوا مثل أهل الجنيتين لهم عن جنتيهم أراكات وتنضابٌ
وَيَغْتَدُوا وَهُمْ لِلصَبْرِ أَكْلَةٌ وللغنائصِ والأحزانِ شرابٌ

وصور مآثر أهل عمان الصالحين الذين ضمهم التراب فقال: (٥)

(٢) المصدر السابق ١٧٥

(٤) المصدر نفسه ١٧٦

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٥

(٣) نفسه ١٧٥

(٥) نفسه ١٧٦

مَضَتْ رِجَالُ عُمَانَ فِي التَّرَابِ ثَوْتٌ وَمَا بَقِيَ لَهُمْ فِي الْجَبِيلِ أَثْرَابُ
دِينُ الْإِلَهِ بِهِمْ قَدْ كَانَ ذَا شَرَفٍ وَهُوَ النَّجِيبُ وَهُمْ فِيهِ فَانْجَابُ
وَقَدْ مَضَتْ رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ تُنْعِشُهُمْ وَأَعْقَبَتْ بَعْدَهُمْ فِي الْعَقَبِ أَعْقَابُ

ويوازن بين أولئك الصالحين الماضين، وبين الباقين. فيرى الباقين قوماً قد: (١)

تَشَبَّهَتْ الْجَوْرَ فَاحْتَالَتْ طِبَاعُهُمْ وَأَسْغَبَتْ وَوَلَاةُ النُّكْرِ سَفَابُ
هَابُوا الْجَبَابِرَ فَانْقَادُوا لِدَوْلَتِهِمْ لَوْ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ مَا هَابُوا
وَكُلَّمَا سَخِطَ الْبَارِي عَلَى بَشَرٍ يَنَالُهُمْ مِنْ ذَوِي الْعَصِيَانِ إِرْعَابُ

فإذا بقي أربابُ تلك الدولة على ما هم عليه من النكر فإن عمان لم تبقَ لهم، بل تغدو وهي
دارسة العالم منهم: (٢)

عُمَانُ إِنْ بَقِيََتْ أَرْيَابُ دَوْلَتِهَا فِي النُّكْرِ مَا هُمْ لَهَا أَهْلُ وَأَرْيَابُ
تَغْدُو الْمَعَالِمُ مِنْهُمْ وَهِيَ دَارِسَةٌ وَرُبُّ نَادٍ قَيَّغْدُو وَهُوَ رِيَابُ

ويطلب منهم أن يتوبوا إلى الله حتى يتقوا عذابه فيقول: (٣)

تَوُوبُوا وَأُوبُوا فَإِنَّ اللَّهَ ذُو كَرَمٍ فَلَا يُعَذِّبُ أَقْوَاماً وَقَدْ تَابُوا

ثم يقول لهم ستذكرون نصحي لكم في يوم ما فإنه نصح بوقظ الموتى لوتسمع وتنطق

ونحس: (٤)

سَتَذْكُرُونَ نَصِيحَاتِي مَتَى انْحَطَمَتْ مِنْكُمْ عَلَى الذِّكْرِ أَعْتِقَاتُ وَأَصْلَابُ
نُصْحِي لَكُمْ يَوْضُ الْمَوْتَى وَلَوْ سَمِعَتْ لِأَنْطَقَتْ بِالرَّضَى فَكُوزُ وَأَعْدَابُ

والتضحية الثانية التي أسقط ابن غسان شعره عليها هي الاستسقاء، وذلك أنه عندما

أصاب مدينة سمائل جدد، طلبَ منه صديقه خاطر بن غريب أن يستسقي لهم فقال: (٥)

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٦

(٢) الديوان (المخطوط) ١٧٧

(٣، ٤) المصدر السابق ١٧٧

(٥) المصدر نفسه ٥

أخي سنادي حبيبي عصمتي ثقتي من نص ديني لدين المصطفى المدني
سألتني أستقي والاستقاء له شرائط يرتضيها الله لم تُخن

فعندما سأل ربه الخصب لأهل سمائل قال: (١)

فاسمع دُعَايَ ولا تكسر وعَايَ فذِي يَدِي مَدَدْتُ لَنِيلِ الْعَفْوِ وَالْمَنِّ
وَاحْصِبْ سَمَائِلَ بِالْغَيْثِ الْمَغِيثِ هَمَا طَلًّا وَوَيْلًا فَمَنْ مَيَّكَالَ لِلْمُزْنِ
فَالْمَزْنُ مُرْتَكَمٌ وَالْبَرْقُ مُضْطَرَمٌ وَالرَّعْدُ مُرْتَزَمٌ وَالْغَيْثُ فِي رَزْنِ

إلى أن قال مصوراً الغيث وهو يروي سمائل: (٢)

فَلِلشَّرَاحِ خَرِيرٌ لَا تَزَالُ وَلَدَ بُطَانٍ فِيهَا هَدِيرُ الْبُزْلِ الْغَدَنِ (٣)
أُرَوِّ سَمَائِلَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا وَدَارَ كَالْفَلَكِ الدَّوَارِ بِالْحُضْنِ
وَحَانَ بِالْحَاجِرِ الْغُرْبَى حَيْثُ غَدَتْ أَنَهَارُهُ مِنْهُ كَالْتِيَارِ لِلْسُفْنِ

ودعا أيضاً بالسقيا لبلدة نخل وخص بدعائه وادي الغريض يقول: (٤)

وَادِي الْغَرِيضِ سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ وَادِي بِرَائِحِ سَارِباً أَوْ بَاكِراً غَادِي
هَتَانٍ مِنْبَعِقِ رِزَانٍ مُنْدَقِقِ مَرْنَانٍ صَهْصَلِقِ رَجَاسٍ جَلَادِ
إلى أن قال مصوراً: (٥)

ذَاكَ الْحَيَا لَمْ يَزَلْ مَسْحَنَفِراً هَطِلاً ، مَغْتَلَفِطاً وَابِلًا مُسْتَدْبِراً بَادِي (٦)
سَقَى الْغَرِيضَ فَرَوَاهَا وَأَخْصَبَهَا وَجَادَ نَخْلًا مِنَ الْأَعْقَابِ لِلْهَادِي

بل يدعو لكل القرى التي قرب نخل من مثل مُسْلِمَاتِ وَأَفْيَ وَحُبْرَا وَالْمِسْفَاةَ، ويصور مياه
الغيث والمناطق التي حول نخل بقوله: (٧)

وَعَمَّ كُلَّ مَسَافِي نَخْلٍ مِنْ أَمْرِ وَمِنْ وَرَاءِ فَاغْوَارٍ وَأَنْجَادِ

(١) الديوان (المخطوط) ٥

(٢) نفسه ٦

(٣) الشرح: ميل ماء من الحرة إلى السهل، كالشُرْجَة: والجمع شِرَاجٌ وشُرُوجٌ (التاج: شرح)

(٤، ٥) الديوان (المخطوط) ص ١١٠

(٦) مسحفرًا: لم أجِد لها معنى، ولا توجد مادة حنفر في التاج.

مغتلطًا: لم أجِد لها معنى ولا توجد مادة غلَط في التاج ويقال: سمعتُ غَطْمَيطَ الماء، أرادوا، صوته،
وتَنَطَّمَتِ الماءُ: اضطرب (التاج: غطمط)

(٧) الديوان (المخطوط) ص ١١٠

فللشعب خريز نخو أودية لها هدير هدير الأعيس الغادي
قد هذه العصم بالحمام فاختلطت بالزبد حتى تلاقى البحر والوادي
فأصبحت نخل والدور التي علق بها كذي روضة ميثاء مشاد

وقد استسقى لمدينة نزوى، وذلك بعد أن طلب إليه بعض مشيختها، فأنشأ قصيدة طويلة تنع في ثلاثة وثمانين بيتاً. مطلعها: (١)

إليك صبت أفيدتنا ولاها أبا الله غيـرك لا إلهـا
عظمت عن التبعض والتساوي وأن تحكى لشيء أو تضاهي

فاستغفر الله تعالى فيها، ودعا واستسقى لعُمان عامة ونزوى خاصة فقال: (٢)

توسلنا بأطفال صفار وعجف بهائم مُنعت كَلاها
وعلى مشايخا في الأرض تدعوا لنا وتجيّب أنت لها دُعاهـا
فإن المحل قد أبلى عُماناً وأنت فتادر تشفى بلاها
فنطلبُ منك أن تُنشي سحاباً ورعداً بعدما نشأت حداها

ومن دعائه لمدينة نزوى وتعليله استسقاؤه وتخصيصه لها من بقية مدن عُمان قوله: (٣)

فيا رباه دعوة مستغيث أجب دعوات ذي أمل ثناها
على عجل بلطفك يا كريم أغثها بعد محل قد عفاها
بلادك بيضة الإسلام نزوى لجأ اللاجي الضهيد إذا لجأها
قرار العلم والعلماء نزوى وأهل الزهد ناديمها حواها

ثم يتوجه بالنصح إلى أهل نزوى بقوله: (٤)

أطيعوا الرب يا أرباب نزوى أربضوا النفس لا تركب ثأها
مروا بالعرف وانهبوا عن نكير وتقوى الله لا تضروا عراها

(١) الديوان ١/ ٣٨٧

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٨٩

(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٨٩

(٤) الديوان ١/ ٣٩١

فمدارككم الجنان وما سواها فنيـران ولا بلد سواها
متى بالعدل نزواكم أصيبت فكل عـمان تـحت لـوا لـواها
فكل عـمان من تزوى وتزوى فمن رجل أطال سـما علاها

ويذكر الشاعر الأماكن العمانية التي بقيم فيها أصحابه، فخاطر بن غريب يسكن في الحاجر الشرقي من سمائل، وابن غسان يقول له: (١)

يا نازلي الحاجر الشرقي لا فقدت أخلاقكم ومواليكم فلا فقدا

يدعو لمدينة سمائل بالسقيا ويعلل دعاء لها، وهو أن قلبه استقر بها. وإن بعد عنها، فطينها يأتيه في النوم والبقطة: (٢)

سقيت سمائل كل يوم صيباً هطلاً يواصل ويـله بسـجاله
بلد بها قلبي استقر ومثلي فـهما لشـحط البين من خـلاله
في بقطتي يرتاع قلبي عنده أو نمت طارحني خيال خياله
لا أبتغي عنها البديل وأهلها لمحبتني فيها هدى إبداله

وفي موضع آخر يقول: (٣)

لي في سمائل حاجات جئحت لها يا ليتها لي على شحط النوى جئحت

ويرى أن سمائل في قلبه وعينه وغير سمائل فهي مثل الشوك في عينيه كما يقول: (٤)

سمائل في قلبي وعيني جديدة وإن سواها فهي في مثلي سمل
فأموالها مالي تُصرّفها يدي ومعتلها عقلي وأهلي لها أهل
ودعا شاعرنا بالسعد لبهلى فقال: (٥)

لا فارق السعد بهلى والذين بها عاشوا بأرغد عيش دغفل نضير
أكرم بها بلداً والنازلين بها لم يبرحوا من فؤادي لا ولا نظري
إن نمت طارحني عنهم خيالهم أو انتبهنّ فهم في جوهر النظر

(١) الديوان (المخطوط) ص ٧

(٢) المصدر السابق ٢٠

(٣) نفسه ٢٦

(٤) الديوان (المخطوط) ٣٧

(٥) نفسه ١٦٩، ١٧٠

ودعا بالسقيا لمدينة إزكي. فمما قاله فيها: (١)

يا عارضاً جُدْ على إزكي بعراضٍ من الحيا مُسبَّكراً غير قَبَاضٍ
هَتَانِ مَنبَعِي رِزَانٍ صَهْصَهْ مِرْنَانٍ مَنذَقِي وَكَافٍ نَبَاضٍ
من الحوامِلِ ماء المزن راكضة بِكُلِّ أُنْعَمَ مِلْأِ الْأَثْقِي رَكَاضٍ

ويخص من أزكي مغيوث والمسفاة وسَدِّي فيقول: (٢)

سقى الغيثُ (مَغْيُوثاً) وَعَذَّبِي عَذَابَهَا وشف على (المِسْفَاة) يَفْتَرُ بِأَسْمَةِ
وأسدى (بِسَدِّي) حيثُ زَكَّتْ جميعها من الماء إزكي وأرجعتُ حيازِمَهُ

كما يخص بالذكر منها بعض أحيائها فيقول: (٣)

على (نزار) وأهل الفضل من (يَمَنٍ) وجمعة المرتضى والمرضى القاضي

وفي ذكره للأودية التي تمر قرب إزكي يذكر منها وادي (حَلْفَيْنِ) فيقول: (٤)

لِكُلِّ وادٍ هديرٌ والشعابُ لها فيها خيرٌ فمن مستقبل ماضي
وسال (حَلْفَيْنِ) من أعلى شمارخه لَهُ دَوِيٌّ بِتَحْنَانٍ وتقاضٍ

أما عن سمات شعر أبي حمزة في عُمان، فإنه ناقش بعض القضايا الاجتماعية التي وقعت آنذاك مثل انتشار ظاهرة الربا. فنصح الشاعر أهل عمان وحذرهم من أن يحل بهم عذاب أليم من الله، وكانت ألفاظه سهلة عذبة جزلة رشيقة.

ومن الأمور التي ناقشها قضية المحل الذي حلَّ في مُدُنِ عُمان وقراها فطلب من شاعرنا أن يستسقي لتلك المدن والقرى، فاستسقى لمدينة سمائل ولمدينة نزوى وإزكي ونخل ودعا بالسقيا أيضاً لمدينة بهلى.

(١) نفسه ١٧٠

(٢) نفسه ١٨١

(٣) الديوان (المخطوط) ١٧٢

(٤) نفسه ١٧٠، ١٧١.

النصائح والحكم والمواعظ

تنقل ابن اللواح في بلدان كثيرة من مدن عمان وعاشر أقواماً مختلفة، وجالس الملوك والأمراء والعلماء والفقهاء والأدباء، وصاحب أناساً مختلفي الطباع، فأخلص له بعضهم وتنكر له بعضهم الآخر. وأثرت هذه الحياة الغنية بالتجارب في نفس شاعرنا. فأتحفنا بآراء قيمة ونصائح جمة وحكم خالدة تنتظم حياة البشر، أخذت حيزاً كبيراً في ديوانه، بعضها تناثر في موضوعاته المتعددة كالرثاء والإخوانيات وبعضها أفرد لها قسماً في ديوانه أخذ جانباً كبيراً منه.

وقد رأيت أن أقسم الحديث في هذا الجانب إلى قسمين:

النصائح :

الحكم والمواعظ :

النصائح : وهي النصائح الخلقية التربوية التي وجهها إلى ولده حمزة وغيره من أوفياء أصدقائه ومعارفه.

من ذلك قوله لولده حمزة طالباً منه أن يجتهد هو وأخوه في طلب العلم والسهر في الليل على القراءة كقوله: (١)

يا حمزة الثالث الباقي لعلك في	سَتر من الله بالإخلاص تستترُ
حرصُ أخاك على التعليم لا ضجراً	فأفء الطلب التهويم والضجرُ
أهدى الدليل إلى دنيا وأخرة	لن يوفى قـهـ ذو المنّة الأثرُ
والقال والقبيل دعه عنك مكرمة	فلا تقل قال لي زيد ولا عمرُ
اطلبُ ووالدك الباقي عليك فلا	تدري أباك متى في القبر يُقتبرُ

إلى أن قال له: (٢)

وارغبْ بنفسك عما يُستهان به فالمرءُ منطقُه والقلبُ لا الصُّورُ

وفي قصيدة أخرى يناديه وبأمل أن يتحقق ظنه فيه: (٣)

يا قرّة العين يا بردَ الفؤادِ أما	تُغريك بي ندبتي من حيث أنتدبُ
وفيك تحقيقُ ظنٍّ صادقٍ شرفاً	بأنك الشبلُ للطيطسارِ تتنسبُ

(١ ، ٢) الديوان (المخطوط) ١ ، ٢

(٣) الديوان ٤٩/٢

ومن نصائحه له مصاحبة أهل العلم والتقى، فقد شبههم بالنجوم التي يستضاء بها في الليل
الحالك (١).

وَكُنْ بِأَهْلِ التَّقَى وَالْعِلْمِ مُقْتَرِنًا وَعَنْ أَوْلِي الْجَهْلِ صَارِي الْحَبْلِ مُنْتَوِحًا
صَاحِبُ أَخَا الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى وَكُنْ فَهْمًا فِيمَا يَفِيدُ وَاحْفَظْ كُلَّ مَا شَرَحَا
أَهْلُ الْعُلُومِ نَجُومٌ يُسْتَضَاءُ بِهَا إِذَا تَرَاكَمَ لَيْلُ الْجَهْلِ وَانْسَدَحَا

وقد وجهه أن يخدم أهل العلم وأن يتردد على أبوابهم وأن يقصدهم في الرشد ويلين لهم
جانبه، فقد جُوزَ لطالب العلم أن يتملق لاستاذه وأن يكثر من المساطلة والمناقشة ولا يستح من
ذلك: (٢)

وَكُنْ لَذْوِي الْعِلْمِ مَا عِشْتَ عَبْدًا لَتُعَبَّدَ مَذْكُوتٌ عِبْدًا لِعَبْدٍ
وَقِفْ قَصْدَ أَبْوَابِهِمْ طَالِبًا قَرَفْدُ ذَوِي الْعِلْمِ أَبْرَكُ رِفْدٍ
وَلِنْ وَتَمَلَّقْ لَهُمْ فَهْوَ حِلٌّ يُقَالُ وَفِي غَيْرِهِمْ فَهْوَ مُرْدَى
وَلَا تَسْتَحِي مِنْ سَوْأَلِ فِإِنِّي رَأَيْتُ السُّؤَالَاتِ لِلْعِلْمِ تُجْدَى

وينصحه بتقوى الله سبحانه وتعالى وبر الوالدين ورضاهما فقال: (٣)

تَقْوَى الْإِلَهِ فَقَدْ أَوْصِيكَ فَاتِّهِ تَنْلِجْ إِذَا أَفْلَحْتَ فِي الْمَوْقِفِ الْفُلْحَا
وَالْوَالِدِينَ فَقَدْ أَوْصِيكَ بِرَهُمَا فَاغْضَبْ إِذَا غَضِبَا وَاصْفَحْ إِذَا صَفَحَا
رِضَاهُمَا مِنْ رِضَا الْبَارِي عَلَيْكَ فَإِنْ تُغْضِبُهُمَا تَلَقَّ مِنْ إِغْضَابِكَ التَّرْحَا

ومن نصائحه أن لا يأمن نصيحة الأحق؛ لأن الأحق يظن بحمته الشر خيراً. فإذا نصح
دهى: (٤)

لَا تَأْمَنِ الْأَحْمَقَ الطَّيَّاشَ نَصِيحَتَهُ كَمْ مِنْهُ دَارَتْ عَلَى رَأْسِ الصَّدِيقِ رَحَا
مَنْ يَصْحَبُ الْأَحْمَقَ الشَّرَّارَ غَوْدِرَ فِي بَحْرٍ مِنَ الْجَهْلِ يَغْرِثُهُ وَلَوْ سَبَّحَا

ونصحه بأن لا يأسف على ما فات ولا يفرح بما يمتلك من مال، وإذا قدر على فعل الخير
فليسرع إليه ولا يتردد، وأن لا يفتح أبواب الشر، وإن أودع سرّاً فليكتمه ولا يبيع به فقال: (٥)

(٢) الديوان (المخطوط) ١٢٣

(٤) المصدر السابق ٦٠/٢

(١) الديوان ٦٠/٢

(٣) الديوان ٥٩/٢

(٥) نفسه ٦١/٢

وَعَزَّ نَفْسَكَ عَمَّا فَنَاتَ مَطْلَبُهُ وَلَا تَكُنْ بِنَمُوِّ الْمُقْتَنَى قَرِحًا
وَأِنْ قَدَّرْتَ عَلَى خَيْرٍ لَتَفْعَلَهُ أَسْرِعْ وَخَالَفْ هَوَى الشَّيْطَانِ وَالْبَرَحَا
وَأِنْ تَعَرَّضَ بِأَبُ الشَّرِّ مِنْغَلِقًا دَعُهُ وَأَغْلِقْهُ إِنْ لَأَقَاكَ مَفْتَحَا
وَأِنْ تَوَدَّعْتَ أَسْرَارًا فَكُنْ أَذْنًا صَمَاءَ مَا سَمِعْتَ فِي الْحَالِ مَا شَرَحَا
وَأِنْ قَعَدْتَ بِمَنَادٍ كُنْ بِهِ جَبَلًا وَإِنْ دَعَتْكَ الْوَرَى كُنْ بَارِقًا لِمَحَا

ويأمره بأن يتحلى بحلى أهل العلم كالعلم والصبر والزهد وأن يتعلم العلم لأجل العلم لا للمصالح الدنيوية ومُماراة الجهلاء، ولا للرياء كما يقول: (١)

وَصَنْ حِلَّةَ الْعِلْمِ بِالْحِلْمِ وَالْحِلْ مَمَّ صُنَّةُ مَبْلُوسٍ صَبِيرٍ وَزُهْدِ
وَكُنْ صَابِنَ الْعِلْمِ لِلَّهِ فَرْدًا تَعَشُّ فِيهِ فَرْدًا بِهِ أَيْ فَرْدِ
وَلَا تَجْمَعِ الْعِلْمَ تَرْجُو بِهِ مَصَالِحَ دُنْيَاكَ أَوْ لِلتَّعَدِي
وَأَبَاكَ إِيَّاكَ بُرْدَ الرِّيَا فَبُرْدُ الرِّيَا قَلِيلٌ أَقْبَحُ بُرْدِ

وقد نصحه بأن يكون شخصية مستقلة برأيها لا تقتاده الرجال، وأن لا يكن ثرثاراً وأن يسكت عن السفيه، ويتشد في الجواب إذا سئل، وأن يجازي الصديق بوده كما يقول: (٢)

وَلَا تَكُ إِمْعَةً فِي الرِّجَالِ وَثَرْتَارَةً بَيْنَ هَزْلٍ وَجَدِّ
وَجَازِ السَّفِيهِ بِتَرْكِ الْجَوَابِ وَجَازِ مُجَازِيكَ وَدَّاءِ بُودِ
وَمَهْمَا سُلِّتَ أَتَشُدَّ فِي الْجَوَابِ لَتَعْرِفَ عُقْبَى جَوَابِ وَرْدِ

ويمزج أبو حمزة النصائح بالحكمة. من ذلك قوله: (٣)

كَفَى بِتَصَارِيفِ الْأُمُورِ أَدْلَى وَيَا لِدَهْرِ وَعِظًا وَالْعُقُولِ مَنَادِحَا
فَهَذَا زَمَانُ الْقَالِ وَالْقَلِيلِ وَالْقَلَا فَلَا أَلْسَنُ إِلَّا وَصَارَتْ جَوَارِحَا
فَكَمْ مَاتِعٍ دَكُوا وَمَا ذَاقَ شَرِيَةً وَأَنْقَعَ مِنْهُ الْغُلُّ مِنْ لَيْسَ مَا نَحَا

(١) الديوان (المخطوط) ١٢٣

(٢) المصدر السابق ١٢٣

(٣) نفسه ١٣١

ومن نصائحه لأصدقائه المخلصين نصيحته التي وجهها لمحمد بن أبي العرب العفيفي: (١)

مُحَمَّدُ يَا ابْنَ بَلْعَرَبٍ مُشَافَهَةٌ وَفِي كَسْتِبِ
نَصَحْتُكَ نَصَحَ مُحْتَسِبٍ وَفِي اسْتِهْبَاكَ مِنْ تَعَبِ

ونصحه بأن يكون من الذين يتحملون المهمات الجسام لترتفع منزلته عند قومه، وأن يكون سبباً مسلطاً على رقاب الأعداء، وأن يشارك أبناء عمه في السراء والضراء؛ فيصلهم إن قطعوه ويمنعهم إن منعوه كما يقول: (٢)

فَكُنْ مِنْ جُمْلَةِ الْحَمَلَا لَتَنْزِلَ رَتْبُهُ الْفُضْلَا
فَإِنْ الْقَادَةَ الْعُقْلَا لَنِي الْعَمَالِي مِنْ الرُّتْبِ
فَكُنْ سَيِّفَ بَنِي الْعَمِّ يَقْطَعُ هَامَّةَ الْخِصْمِ
وَفِي السَّرَّاءِ وَالْهَمِّ شَرِيكاً غَيْرَ مُقْتَصَبِ
وَصِلْهُمْ إِنْ هُمْ قَطَعُوا وواصلهم وإن منعوا
وَانْزِلْ كُلَّمَا طَلَعُوا لَنَجِدَ فَيْكَ بِالثَّلْبِ

ونصح شخصاً يسمى دهمان فقال له: (٣)

دَهْمَانُ بَشَرٌ مَعِيشَةٌ مَحْلُوبَةٌ بِقَوَارِضٍ تَشْوِي الْوَجُوهَ لَوَافِعِ
الرِّزْقِ مِنْ يَدِ رَازِقٍ يَأْتِي وَلَا مَسْتَجْلِبِ رِزْقاً بِكَدَحِ الْكَادِحِ
لَا تَطْلُبَنَّ رِزْقاً بِهَجْوٍ إِنَّمَا الـ أَرْزَاقُ تُذْرَكُ بِالْقَضَاءِ الْفَاتِحِ

ونصح السلطان محمد بن أبي العرب بن صلت قائلاً له في مطلع القصيدة: (٤)

أَلَا مِنْ مَبْلَغٍ مَنِي السَّلَامَا مُحَمَّدُ ابْنُ بَلْعَرَبٍ الْهُمَامَا

وعندما بدأ النصيحة قال: (٥)

(١) الديوان ٥٢/٢

(٢) نفسه ٥٢/٢

(٣) المصدر نفسه ٥٦/٢

(٤) الديوان (المخطوط) ١٤٢

(٥) الديوان (المخطوط) ١٤٢

وشرح نصيحة مني إليه وإن كره النصيحة أو آلاما
إذا ما المجد سيده صبي فلا يقوى الزمان له انهداما
وكل فتى نشا للمجد ساع فلم يسمع للاحيه سلاما
وبر الوالدين أجل شيء فالزم فيهما الصبر التزاما
فلا تجعل ختامهما جفاء بل الحسنى لهم منك الختام

الحكم والمواعظ : التصائد التي قالها ابن اللوح في الحكم والمواعظ كان لها مصدران أساسيان؛ هما الموروث الثقافي، ويشمل الديني والتاريخي وأخبار الأمم القديمة. ثم التجربة الذاتية. فالعمر الطويل الذي أمده الله سبحانه وتعالى لشاعرنا جعل منه إنساناً محنكاً خبيراً بالحياة مطلعاً على أسرارها، وقد تعرف على الناس وخبرهم وعلم غشهم من سمينهم وهو القائل: (١)

إنني امروء قد عرفت الدهر معرفة أكلاً وشرى ومسموعاً وملتحمًا
وقد حلت من الأيام أشطرها وقد قدحت زناد الدهر فاقتدحا
فكدت أعلم ما كنت ضمائرهم ولو أردت بها التصريح لا نصرحا

وختم حياته باحتقار الدنيا، وأخذ يذكر الغافلين بالموت والحساب والعقاب، وأرشد الناس إلى عمل الخير ونفهم من المعاصي وهو القائل في دعائه ربه: (٢)

ولا تجعل الدنيا قرينة مطلبى ولا تجعل الأخراي عني على بُعد
ومن لطفك اللهم أن تجعل الردى بقلبي وعيني في منامي وفي شهدي
وكن قابلاً كدى لأخراي إنني أحب لها مني تكون شقا كدي
ويغض لي الدنيا بحبيك إنها حباله سوء تقبض الروح بالفرد

لذلك غلب على مواعظه التذكير بالموت والحساب والثواب، وأبلغ موعظة وأطولها عنده تلك التي سماها (الريحانة الفاتحة) حيث بلغت أبياتها ١٤٧ بيتاً استهلها بقوله: (٣)

هذي ديارهم وذو أطلالها درست فأين تأهلت أهالها

(١) الديوان ٦١/٢

(٢) المصدر السابق ٣٢١/١

(٣) الديوان ٣٩٣/١

فبدأ موعظته بذكر الأطلال الدارسة التي كانت دوراً وقصوراً لأصحاب أولئك القبور. فقال:
إن كنت تسأل تلك الديار، فمن المحال أن تجيبك. فقد تغير حال أصحابها كما تغير حالها؛
غيرتها الطبيعة بعواملها، من سحب ورعود وبروق ورياح وأمطار فأضحت خالية يباباً بعد
أن: (١)

كانوا بها في نعمة وسعادةٍ حَسِبُوا الدوامَ ولا يكونُ زوالها
كانتُ نواديهم إذا غصَّتْ بهم قالتُ لها الوفاءُ: حلّ حلّ لها
الخيْلُ هُمْ قِوَادُهَا لوفودِها والإبل والنَّهَبُ النَّضَارُ نوالها
فوصف حال أولئك القوم ونخوتهم وكرمهم وقيناتهم ولمعان سيوف فرسانهم وجمعهم للأموال.
إلى أن نزل بهم المنون وشربوا كأس الردى فصاروا: (٢)

بعْدَ الفضا نزلوا دياراً في الثرى صُم الجنادل فوقهم أقفالها
فيها تغير حُسْنُ أوجههم وقد قُطِعَتْ لرباع ليلةٍ أوصالها
إلى أن قال: (٣)

للفنخة الأخرى التي قامت بها من رَمْسِهَا أمواتها غفّالها
وتَبَعَثَتْ عنها القبورُ وأخرجتْ من كل أرضٍ بُدَّتْ أثقالها
وتَحَدَّثَتْ أخبارُها عن حالها وتكشفتْ عن سِتْرِهَا أعمالها
يا ساعةٌ ذُهِلَتْ مراضعُها بها والحاملاتُ تساقطتْ أحمالها

فقد ذكر الناس بذلك الموقف العظيم والهول الجسيم الذي تعطى فيه الخلائق صحائفهم
ويقسمون على ضوئها إلى شقي وسعيد: (٤)

فأولو الشقاوة للجحيم مَضَّتْ بها شَدَادُهَا خزائنها كِبَالُهَا

ويحلق بمخيلته إلى وصف عذاب أهل النار كيف يجرون على أنوفهم بالسلاسل والأغلال،
تجرهم ملائكة غلاظ شداد، يجمعون بمقامع من حديد ويُدْهَنُونَ في نار جهنم حتى يصلوا

(١) المصدر السابق ٣٩٤/١

(٢) نفسه ٣٩٦/١

(٣) المصدر نفسه ٣٩٦/١

(٤) نفسه ٣٩٦/١

قعرها فيستغيثون ولا من مغيث، ثم يصعدون من قعرها إلى جبال شاهقة بثست تلك الجبال، ويظلمون في ارتقائها ألف عام، فإذا ما انتهوا إليها هُتِّبَ بهم تلك الجبال فيسقطون في قعر جهنم: (١)

قالوا أمالكُ هلْ لنا مِنْ رَجْعَةٍ أوْ مُدُّ عَشْرَنا عَشْرَةً فَتُقالُها
قال اخسأوا فيها وويلكمُ بها النار مشواكم وأنتم صالها

فهم بين أفاعي كجنوع النخل وعقارب كالبغال تنهشهم كنهش الذئب وأقل ذلك العذاب أن يلبس الكافر نعلين من نار يغلي بها دماغه، يدعو فلا يستجاب له، مسرماً فيها.

ثم يأتي إلى ذكر الفئة الأخرى: (٢)

وأولوا اليمين إلى الجنان تزفها أملاكها زف العرايس آها
دَخَلَتْ بِرَحْمَةٍ رَبِّها وسعادةٍ سَبَقَتْ لها مِنْ فَضْلِهِ أَفضالُها
فينثني إلى وصف نعيم أهل الجنة حين يقال لهم: «ادخلوها بسلام آمين» تستقبلهم الحور العين فرحين مستبشرين، يرتقون القصور العاليا ترابها من المسك ورملمها من الزعفران، وفرشها من الحرير وبها الكراسي الحسان: (٣)

ومارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَّابِي مَبْثُوثَةٌ وَمَصُورَةٌ هَلْهاها
ظِلُّ الْوَلِيِّ بِعَانِقِ الْحُورِ بها فِي خُلُوةٍ ما أَحْضَرَتْ فيقالُها
سَمِعُونَ عَماً فِي لَذاذَةِ شَهْوَةٍ لا يَسْتَقَرُّ مَعالِجاً إِنْزالُها
وتعودُ بِكراً مِثْلَ ما يَفْتَضُها وَكَذلكِ الْحُورِ الْحِسانُ مِثالُها

ويصف جمال الحور العين بأنهن مثل الشمس كواكب أتراباً يجرن خلفهن ذوائباً. وأقل نعيم أهل الجنة بأن يعطى الولي ملكاً مسير الأرض لا يخشى الإقلال، وتجري الجداول سائحات في ذلك الملك، فيها أنهار من ماء وأنهار من لبن وأنهار من عسل مصفى وأنهار من خمر، وفي تلك الفرداس الفواكه المتنوعة، من كل ما تلذ الأعين وتهوى الأنفس، فالطلع منضود، والنخل باسقات، والرمان يتدلى على أغصانه: (٤)

(١) الديوان ٣٩٧/١

(٢) المصدر السابق ٣٩٧/١

(٣) المصدر نفسه ٣٩٨/١

(٤) نفسه ٣٩٨/١

والطيرُ مشوّياً ومطبوخاً أنتُ قد جُرِّدَتْ قِطْعاً وهم أكلها
ويقالُ أسواقٌ بها جُعِلَتْ لها فيها المجالس ما يغيب مقالها
إلى أن يقول: (١)

ولكم بها من نعمةٍ لم أحصِها عداً ووَصْفاً دونَ تلك رِمَالِها
فاقلُّها العُمُرُ الطويلُ مُسَرَّمدًا لا غُصَّةُ برثُ الشيبِ كلالِها
هذا الجزاءُ ونِعَمٌ فالأُ فالها يا فوزها تبيحتُ لها أنفَالِها
هلْ عامِلٌ أعمالِها فيرى جزا أعمالِها يوم الجزا عمالِها

ثم يدعو ربه أن يغفر له خطاياہ، ويحشره في زمرة أصحاب اليمين، وأن يوفقه لحج بيته
العتيق، وزيارة قبر رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.
ويتضح في هذه الموعظة جلياً، الموروث الثقافي الديني واقتباسه من القرآن الكريم في
مواضع متعددة.

وللشاعر قصائد أخرى في ذكر الجنة والنار ووصف عذاب الأشقياء وثواب الأولياء: (٢)
ومن مصادر المواعظ والحكم عند أبي حمزة الموروث التاريخي وأخبار الأمم، فيوعظ الناس
ويذكرهم بالأمم السابقة القديمة والملوك الأشداء الذين حكموا الأرض من طغاة وعدول. والأنبياء
والرسل. كمثل قوله: (٣)

أَلَمْ تَعْتَبِرْ بِالْأَلَى الْغَابِرِينَ كَطَسِمٍ وَحَيٍّ ثَمُودَ وَعَادِ
وَأَبْنِ مَلُوكُ بَنِي حَمِيرٍ وَأَبْنِا مَعْدُ وَأَلْ هَدَادِ
وَأَبْنِ الَّذِي مَلَكَ الْمَغْرِبِينَ وَعَمَرَ أَلْفَيْنِ فِي الْإِلْتِدَادِ
وَأَبْنِ الَّذِي أَبْعَدَ الْغَزَوَاتِ مِنْ سَبْعِينَ عَاماً لَنِيلِ الْمَرَادِ

ومن مصادر المواعظ والحكم عند شاعرنا التجربة الذاتية فهو يقول: (٤)

تَمَرَسْتُ أَبْنَاءَ هَذَا الزَّمَانِ فَأَكُلُ هُمَ لِي وَهُمْ لِي شَرَابُ
فَشَهِدْتُ مَقَالَهُمْ دُونَهُ وَأَفْعَالَهُمْ فَهُوَ فِي الطَّعْمِ صَابُ

(١) الديوان ٣٩٩/١

(٢) ينظر تلك القصائد في الصفحات التالية ٢٨١/١، ٢٨٢، ٣١٧-٣١٩، ٤١٣، ٤١٧.

(٣) الديوان ٣١٥/١ (٤) نفسه ٢٧١/١

ويقول: (١)

سَلِّني فَإِنِّي بِهَذَا الدَّهْرِ مُخْتَبِرٌ وعالمٌ ببنيه الكُلُّ غيرَ غَبي
ويرى أن المال إذا لم تُكسب به المحامد أو تقضى به الحوائج فلا فائدة منه؛ لأن المال تُفدى به
النفوس، فلا يتكل المرء في كسب المحامد على أصله ومحتده؛ لأن المجد لا يورث من الآباء
والأجداد كما يقول: (٢)

والمال لا مالَ إلا ما كَسَبْتَ به فوز المجلِّينَ أو قِضَاكَ حاجاتِ
بالنفسِ غالٍ ولا ترخصُ مسامِتها نفسُ الكريمِ تُغالي في المساماتِ
والحمدُ أنفُسُ حُلَاتِ الرجالِ فلا تلبسُ سِوَاهَا من الحُلَاتِ حُلَاتِ
لا يَدْرُكُ المَجْدُ مِنْ جَدِّ زَكٍ وَأَبٍ بغيرِ جِدٍ وإقبالِ السَّعاداتِ

ومن حكمه التي استقاها من تجاربه وخبرته مع الناس والأيام قوله: (٣)

إِذَا دَعَتْ الحَاجَاتُ لِي عِنْدَ صَاحِبٍ تَزاور عَنِّي جَانِباً وهو عَابِسُ
وَإِنْ كَانَتْ الحَاجَاتُ عِنْدِي لَهُ أَتَى يُبْصِصُ مِثْلَ الهَرِّ فِي الحَالِ بَائِسُ
فَحِينَ رَأَيْتُ الدَّهْرَ مِنْ قَاسٍ مَا أَتَى بِمَاضٍ وَيَتَسَّ المَرءُ مِنْ لَا يِقَاسُ
وَمَنْ لَا يُؤْفِي عِرْضَهُ مِنْ دَسَائِسٍ لَهُ جَلَبَتْ مَالِيَسٍ يَرْضَى الدَّسَائِسُ
هُوَ الدَّهْرُ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهَا دَهَارٍ وَإِنْ كَثِيرَ النَّاسِ فِيهِ النِّسَائِسُ

وكثيراً ما يرد في مواعظه العبرة بنجى الشيب، فاقترابه دلالة حتمية على اقتراب الموت.
نجد ذلك في الأبيات التالية: (٤)

أَخِي رَأَيْتُ الشَّيْبَ مَوْتاً وَإِنْ بَكَى لَهُ مَنبَتٌ حَيٌّ فَفِي إِثَرِهِ يَتَّقُو
إِذَا شَابَ شَعْرٌ صَحَّ مَذْ شَابَ مَوْتُهُ وَإِنْ قِصَارَى مَا بَقِيَ بَعْدَهُ يَتَّقُو

ومن حكمه التي تدل على تجربة طويلة وحكمة متميزة أبياته التالية: (٥)

رَأَيْتُ الزَّمَانَ وَإِخْوَانَهُ يَدُورُونَ فِي الحَالِ دَوْرَانَهُ
إِذَا مَا أَسَى أَوْ أَسْرَ الْفِتَى يَكُونُونَ مَا كَانَ أَعْوَانَهُ
وَمَهْمَا وَفَى عَهْدُ خُرٍّ وَفَوَا وَخَوَانَهُ عِنْدَمَا خَانَهُ

فيري أن الصديق الوفي عديم في هذا الزمان كما يرى أن مخالطة الناس في أمورهم تجلب للمرء عكس ما ينشده. فيقول: (١)

وَمَنْ خَالَطَ النَّاسَ فِي شَأْنِهِمْ رَأَى مِنْهُمْ كُلَّ مَا شَاءَ
وَمَنْ عَزَّ أَوْ يَزَّ عَنْهُمْ عَلَا رَأَى فِي الْعَوَاقِبِ مَا زَانَهُ

ومن الموروث الثقافي عند ابن اللوح قراءته للشعر القديم، واستقاء حكمه منه، وتضمينه بعض تلك القراءات من الحكم في شعره. فمن ذلك قوله: (٢)

وَمَنْ لَمْ يَزِنْ عَمَلَهُ نُطْقَهُ أَخْفَ لَدَى النَّاسِ مَبِيزَانَهُ
لِسَانُ الْفَتَى عَنْهُ عَنَوَانُهُ فَكُنْ رَاصِداً عَنْهُ عَنَوَانَهُ
فَمَنْطِقُ كُلِّ امْرِئٍ مُظْهِرٌ عَلَى مَا رَأَيْنَاهُ أَلْبَانَهُ
وَلَا تَنْظُرِ الْمَرْءَ وَانْظُرْ إِذَا أَرَدْتَ الْحَقِيقَةَ أَقْرَانَهُ
وَصَاحِبُ إِذَا مَا صَحِبْتَ امْرَأً يَغُضُّ عَنِ الْقَذَعِ أَجْفَانَهُ
ومن حكمه أيضاً: (٣)

إِذَا جَهِلَ الْمَرْءُ مِقْدَارَهُ تَجَاهَلَتِ الْقَوْمُ أَثْمَانَهُ

وقد اتسمت قصائد الحكم والنصائح عند أبي حمزة، بأن جعل بعضها في قصائد الموضوعات التقليدية كالرثاء والاخوانيات، فيمزج هذه القصائد بالحكم والمواعظ، وأفرد جزءاً كبيراً في ديوانه لقصيدة الحكمة والموعظة ذات البناء الموضوعي الواحد.

وكانت قصائده واضحة في معانيها وألفاظها، ومركزة تركيزاً شديداً، وعلى الرغم من أنه قد صاغها في إطار النصائح الفردية، إلا أنها أخذت طابع التعبير عن الجماعة، فالموروث الثقافي والتجربة الذاتية اللذين اعتمدهما مصدران لحكمته، عالج بهما أموراً عامة، جعلت نتائجها شاملة للمجتمع.

وقد اتسمت بالطابع التعليمي التربوي؛ لذلك كان أسلوبها أسلوباً خطابياً مباشراً. كأن يقول (حرض أخاك، وارغب بنفسك، لا تجهد النفس) كما اتسمت بعض تلك المواعظ بالطول حتى تجاوزت المئة بيت، مما يشهد بطول نفس الشاعر. وأخذ طابع العظة عند أبي حمزة وصف الجنة

(١) المصدر السابق ٤٠٥/١

(٢) المصدر نفسه ٤٠٥/١

(٣) نفسه ٤٠٦/١

والنار، وصفة نعيم أهلها وعذابهم، وجاءت بعض تلك النصائح في قالب المسطحات من القصائد.

واتسمت بعض مواعظه بتردد (الأنا) عنده، وذلك في مثل قوله: (١)

أنا العبدُ الذي ركبَ المعاصي	ركوبَ القاسِطِ الفَظِنِ المَريثِ
عَظُفْتُ على الذُّنُوبِ خُطَاً وَعَمَلُاً	عُطُوفَ الرائيثِ الحَدَبِ الرَغُوثِ
وها أنا مُسْتَعِ القَاسَاكَ رَبي	بلبسِ حِيكَ مِنْ عَمَلٍ وَلَيْثِ

ثالثاً: الانجاه الديني

المديح الديني :

بعد الشعر الديني غرضاً من الأغراض التي لها مكانتها في العصر الإسلامي، حيث برز فيه عدد من الشعراء الذين ملكوا ناصيته، من أمثال ابن الفارض والبوصيري وابن الفارقي وعبد الرحيم البرعي. وقد احتل هذا الشعر مكاناً واسعاً في ديوان ابن اللوح، وجعله في المقام الأول من بين سائر فنونه الشعرية حيث قال في مقدمة ديوانه: (١) وجعلت له من المعاني فروعاً وأصولاً، فأصوله مدائح المولى جل وعلا، ومدائح ليلي الشريفة، ومدائح محمد صلى الله عليه وسلم.

فالمديح الديني عنده ابن اللوح أصلاً من أصول ديوانه، وكانت بقية الأغراض الأخرى فرعاً. ولا غرو في ذلك، فقد تعددت بواعث هذا الشعر الديني عنده، فهو من أسرة بني خروص؛ أسرة العلم والإمامة، أسرة التقوى والصلاح، إضافة إلى ما تبوأه الشاعر من مكانة علمية وتقوى وصلاح، جعله في مصاف شخصيات قومه البارزين، ليس مع الشعراء فحسب، بل مع العلماء. وقد أنبأتنا عن ذلك ثقافته الدينية والتاريخية واللغوية، وشهادة العلماء من قبيلته وغيرهم.

ومجالات المديح الديني عنده ثلاثة؛ مدائح الحق جل جلاله، ومدائح ليلي الشريفة ومدائح سيد المرسلين. فنبدؤها بمدائح الحق جل جلاله

مدائح المولى جل جلاله : القصائد التي قالها ابن المُلُوح في مدائح المولى جل وعلا، ليست بالكثيرة، فهي ثمان قصائد متفاوتة الطول، فأطولها واحد وخمسون بيتاً، وأقصرها أحد عشر بيتاً.

يعدد الشاعر في مدائحه صفات الله تعالى وآياته؛ فهو مدبر للكون، عالم سميع خالق جميع المخلوقات، وهو القابض والباسط، وهو مقسم الأرزاق على مخلوقاته من إنسان وحيوان وطيور. ومن معجزاته أنه هو الذي يمسك الطير في الهواء أن تقع على الأرض، وهو باسط الأرضين؛ الأرض اليابسة والأرض التي تحت الماء، وهو مرسى الرواسي السماء الثابتة، وهو الباقي وكل شيء فان من مخلوقاته، وهو صاحب الكبرياء.

فبعد هذه المقدمة التي كانت في عشرة أبيات وذكر فيها صفات الله ومعجزاته ودعاه بأسمائه الحسنی، يسأله باسطاً يديه بقوله: (١)

هذي يَدَيَّ بِاسِطَةً وَعَانِي أَنْ تَهْدِنِي مَنَهِجَ الْإِهْدَاءِ
وَتُبْلِغْنِي غَايَةَ الرَّجَاءِ أَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ فِي الدُّعَاءِ

فهو لا يكتفي بأن يرفع يديه لاهجاً بالدعاء، وإنما غاية رجائه أن يوفقه الله في دعائه وبأن يصادف دعاؤه ساعة إجابة. ويسأل ربه فيقول: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» يتمثل ذلك في الأبيات التالية: (٢)

وَعَايَةَ السُّؤَالِ فِي الْمَنَاءِ	أَرْجُوهُ حِفْظاً مِنْكَ فِي قِرَاءِ
فِي الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَزْوَاجِ	أَطْلُبُ مِنْكَ مَنَهِجَ الْهُدَاءِ
أَنْ تَهْدِنِي بِمَنَهِجِ قَيْحَاءِ	أَفُوزُ بِالنَّجَاةِ وَالنَّجَاءِ
مَنْ عَمِدَ كَسْبِ الذَّنْبِ وَالْخَطَا	أَطْلُبُ مِنْكَ جَاذَةَ الدُّنْيَا
حَلَاةً بِلا حُوبٍ وَلَا إِرْيَاءِ	أَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ فِي أَخْرَائِي
تُدْخِلُنِي فِي جَنَّةِ الْمَأْوَاءِ	إِنِّي عَزَمْتُ رَاكِبَ الْهَوَجَاءِ

دعا ربه أن يأتيه خيراً في دنياه وأخراه، فما طلبه في دنياه أن يحفظه في ماله وأولاده وأهله، ثم طلب أن ينجيّه من ذنوبه التي اقترفها، المتعمدة منها وغير المتعمدة، وطلب في أخراه أن يدخله الله جنة النعيم، وذلك هو الفوز العظيم.

ثم يذكر عزمه على زيارة مكة المكرمة ويصف حالته التي يكابدها في قطع الفيافي والقفار على ناقة هوجاء: (٣)

إِنِّي أَقْدُ حُلَّةَ الظُّلْمَاءِ	أَطْوِي الْمَهَارِيقَ مِنَ الزُّورَاءِ
طَيِّ السَّجَلِ بِيَدِ الْقُرَاءِ	أَهَيْتُ بِالسَّمْلَقَةِ الْبَهْمَاءِ
مَهَيَّيْتُ طَيَّارَ عَلَى الْهَوَاءِ	أَقِيلُ بِالْقَيْلُولَةِ الْحَرَاءِ
تَحْتَ ظِلَالِ دَوْحَةِ الْفَضَاءِ	أَوْ بَطْنِ ذَاتِ مَيْعَةِ الْقُرَوَاءِ

(١) الديوان ٧٥/١

(٢) المصدر السابق ٧٥/١ ، ٧٦

(٣) الديوان ٧٦/١

وتخلصه من وصف مشقة الطريق إلى ذكر مكة المكرمة حسن لطيف، ولا يشعر فيه القارئ
بنهية ولا اقتحام على المعنى، فهو يقول: (١)

كَالْقُلَّةِ الهَائِلَةِ الرَّعْنَاءِ أَقْلَقَهَا هَوِيرُ الصَّبَاءِ (٢)
وَهَزَّهَا بِالْغَدِّ فَوَّقَ الْمَاءِ أَشَاقَهَا الذِّكْرُ إِلَى الْبَطْحَاءِ
وَبَكَءُ بِمَكَّةَ الزُّهْرَاءِ أَيَا إِلَّا هِيَ أَشْتَكِي مِنْ دَائِي

ثم يعلن توبته، فيطلب الصّنع والمغفرة والرضا من المولى جل وعلا، ويختتم القصيدة
بالصلاة على النبي وأصحابه وأزواجه والتابعين.

وقصيدة أخرى يجعلها كلها استغفاراً وتوبة وشكراً لله عز وجل، فاستغفر الله من أقواله
وأعماله ونياته التي تخالف الأوامر الإلهية، واستغفر الله من تركه ولاية بارية، جل جلاله،
وأوليائه من خلقه ورسله، واستغفر الله من طاعته لإبليس وأعوانه، واستغفر من تهاونه في
أداء الفروض والسنن والنوافل، واستغفر من تهاونه في إتيان الصلاة على حسن وجهها، وكذلك
الصيام، ومن تأخره في أداء فريضة الحج، واستغفر من ترك الزكاة وإعطائها ولاية الجور،
واستغفر من خلفه الوعود، ونقضه العقود، وسوء السعي والبطش، واستغفر من مدحه اللثام
وهجوه الكرام، ومن لهوه وتفزله، واستغفر من أكله وشربه ولبسه الحرام من الخلي والحلل،
واستغفر من هجره القرآن وتركه له دون درس، وتركه طلب العلم، ومن خون الأمانة؛ أمانة الله
وأمانة الخلق، ومن تطيف الكيل وتخفيف الوزن .

ثم يأتي إلى شكر الله تعالى، ويعدد نعم المولى عليه فبدأ من نشأته صورة من صلب آدم
من طير لازب، ومن صورة الإنس، ومن نعم الله عليه أن شق له الطريق إلى دينه الإسلامي
الحنيف وملته البيضاء الطاهرة، وعرفه بنبي الهدى، ونزهه عن ملة الشرك والأوثان.

وجعل نسبه من دوحة العرب، وأنطقه بمنطق القرآن، ثم بين أن الله أمره بتنزيهه عن الحلول
في الأمكنة، والحدوث في الأزمنة، وعن المشاكلة. وهنا يظهر أثر العقيدة الإباضية في شعره
بتنزيه المولى عن التجسيم والمماثلة بخلقه جلا جلاله.

(١) المصدر السابق ٧٦/١

(٢) بويرح: لم أجد لها معنى، وبوارح: جمع بارح وهي الريح الحارة في الصيف. ترتيب القاموس
٢٤١/١.

بين ابن اللواح في هذه القصيدة بعضاً من أوامر الله على عباده ونواهيه، وبعضاً من فضائل الله ونعمه على خلقه، فواجب عليهم الشكر على هذه النعم الجسام، والتأسف على ذنوبهم التي يقتربونها.

ومن قصائده في التوحيد هذه القصيدة التي يجعل مقدمتها في صفات البارئ جل وعلا، فيبديها بقوله: (١)

يا خالقَ الخلقِ يا مَنْ جُودُهُ الجُودُ	يا باسطَ الرِّزْقِ للحاجاتِ مَصْمُودُ
يا مَنْ هو اللُّهُ شيءٌ لا يشابهُهُ	شيءٌ بِكَ الشيءُ معدومٌ ومَوْجُودُ
فَرَدُّ تعلَّيتَ لاندُ ولا وزرُ	كلا ولا والدُ تُدعى ومولودُ
عن أينَ أو كَيْفَ أو حتَّى تُجَلَّ وعن	تَبَعُّضٍ أو متى ما فيك تحديدُ
لا يخلُ منك مكانٌ والمكانُ فلا	يحويكُ كُلُّ مكانٍ منك مشهودُ
ترى ولستَ ترى دُنْيَا وآخرَ	علام ما سترتهُ البيضُ والسودُ

في البيت الأخير يضمن معنى الآية الكريمة (٢) (لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ وهو يُدْرِكُ الأبْصارَ وهو اللطيفُ الخبير) وفي نفس البيت يظهر تأثيره بالمذهب الإباضي في قضية رؤية البارئ جل وعلا في الآخرة.

وبعد أن يقدم للقصيدة مقدمة في ثمانية أبيات عن صفات الله تعالى يبدأ في دعائه ربه خوفاً وطمعاً بقوله: (٣)

أدعوك دَعْوَةً ذي خوفٍ وذِي طَمَعٍ	حُسْنُ الرُّجَا فيك أَنَّ الخوفَ مطرودُ
ياربِّ عَفْوَ وإحساناً ونيلَ مني	وبعده في جنانِ الخُلْدِ تخليدُ

ثم يسأل الله أن يوفقه إلى زيارة بيته الحرام على ناقه بقليل ويبيت على ظهرها، يقطع عليها فيافي مقفرة، ويصف هذه الفيافي بكونها (٤)

مجاهلاً ما بها من وَحْشٍها أنسُ	وما بها منهل للركب مورودُ
لو حَلَّتِ الأسدُ فيها نَوَحَتْ زهقا	والخوفُ من ظلمها ماتت به السَّيْدُ

(١) الديوان ٨٢/١

(٢) الأنعام آية ١٠٣

(٣) الديوان ٨٢/١

(٤) الديوان ٨٢/١، ٨٣

ويستبشر هو ومن معه بعد قطع تلك الطريق الوحشة، ومشاهدتهم أعلام مكة المكرمة (١):

حتى بدا الأبطح الأعلى وشاع لنا وضواضٌ ليلى ولاح الصدر والجيدُ
فهلَّلَ الركبُ من قبل المناخ بها وأرزم الحقُّ والأجناعُ والعودُ

وفي قصيدة أخرى يعلن توحيده لله سبحانه وتعالى، ويجتهد في ذلك. فيقول: (٢)

رضيتُ باللهِ رباً والنبيُّ هدى وملتي ملة الإسلام فهي وقا
يا من تفرَّدَ باللاهوتِ والملكو تِ الضخم لا والدُ حاشا ولا عمقا

ثم يأخذ في بيان قدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته بعد تنزيهه عن الصفات والأمثال والخلول، وهذه العظمة تتجلى في مخلوقاته جميعاً في السموات والأرض، وفي البحر والبر، وتجري هذه المخلوقات بمشيئته تعالى حسب مقتضيات التي يريد: (٣)

على مَشِيئَتِهِ أنشا الخلاق لا يَغِيَا ولا آدَه حَفْظُ الذي خَلَقَا
وفي تَصَرُّفِهَا كَانَتْ إِرَادَتُهُ تَقْضِي ويبقى ولا ضاهى بقاؤها
بنى السَّمَوَاتِ أطباقاً بِقُدْرَتِهِ والأرضَ أمْهَدَهَا ضِدَّ السَّما وَثَقَا
وأرْكَدَ الرَّاكِسَاتِ الرَّاكِسَاتِ بِهَا كَيْما تَسْبَحُ فأرْسَتْ بَعْدَما سَمَقَا
ومن تعداده لعظمة الله أيضاً فيها: (٤)

والما على الغيم حيث الغيم فوق هوى تكوينُ من خَلَقَ الأشياءَ وَمَنْ رَزَقَا
وكان ميكال فيها الماء مُحْتَسِباً بحيثُ ما شاء المولى الرحيمُ سقى

إلى أن يصل إلى مقصده الذي يريد، وهو الإذعان لعظمة الله وقدرته. فيقول: (٥)

سبحانَ مَنْ أَوْجَدَ الموجودَ مِنْ عَدَمٍ وفالقَ الصَّبحَ إثرَ اللَّيلِ فانْقَلَبَا
وأرْسَلَ الرُّسُلَ تَبْشِيرًا وَمُنْذِرَةً فبَلَّغَتْ صَدَقَ مولاها الذي صدَقَا

وهذا منهج مقنع في إيراد الآيات الدالة على عظمة الله تعالى ثم اتباعها بالإذعان لعظمته تعالى في ألفاظ شعرية مرصونة.

(١) نفسه ٨٣/١

(٢) نفسه ٨٥/١

(٣) نفسه ٨٥/١، ٨٦

(٤) نفسه ٨٦/١ (٥) نفسه ٨٦/١

ثم يأتي ببعض أركان الإيمان فيقول: (١)

شهدتُ أن لا إلهَ غيره أبداً وأحمدُ فنبِيُّ بالهدى نطقاً
وما أتانا به من عند خالقِهِ حقُّ من الله صدقاً ليس مختلقاً
والموتُ والبعثُ حقٌّ والوعيدُ وما في الوعدِ جاء وما في النصِّ قد نطقاً

ويستمر إلى أن يتوب ويستغفر الله من أقواله وأعماله السيئة التي اقترفها خطأ أو عمداً،
فيفتح على عتبة باب مولاه ماداً يده قائلاً: (٢)

إني وقفتُ على بابِ الرجاءِ وذِي يدي مددتُ لنيلِ مِنْكَ مُرتزقاً
حاشاك أن تردُّ الرَّاكِبَ لاهِبَةً ولا صَفوحاً ولا مِنْ ذنبه عُتْقاً

ويختم قصيدته مستشفعاً بالرسول الكريم قائلاً: (٣)

إليك بالمصطفى ياربُّ مُشْتَفِعُ حاشاك حاشاك أن ألقى العداة لقا

ومن الملاحظ أن كثيراً من المعاني تتكرر عنده، ويكاد يكررها بألفاظها فقد كرر معنى
البيت التالي من هذه القصيدة:

على مشيئته أنشا الخلاق لا يعيا ولا آده حفظُ الذي خلقنا

في قصيدة أخرى فقال: (٤)

خَلَقْتَ على مشيئتكَ البرايا فَكَانَتْ وهي مِنْكَ كما تشاها

وكرر المعنى في البيت التالي:

وأرسل الرسل تبشيراً ومنذرةً فبلغتُ صدقَ مولاه الذي صدَقا

فقال في تكراره: (٥)

بَعَثْتُ الرُّسُلَ إنذاراً وبُشْراً لها وبها فَقَدْ وَقَعَ ابتلاها

وكرر المعنى التالي في البيت التالي وجعله في بيتين:

شهدتُ أن لا إلهَ غيره أبداً وأحمدُ فنبِيُّ بالهدى نطقاً

فقال: (٦)

(٣) نفسه ٣٨٧/١

(٢) المصدر السابق ٨٧/١

(١) الديوان ٨٦/١

(٥) المصدر السابق ٣٨٧/١، ٣٨٨

(٤) المصدر السابق ٣٨٧/١

(٦) المصدر السابق ٣٨٨/١

شَهِدْتُ بِأَنَّكَ اللَّهُمَّ قَرَدٌ شَهَادَةٌ مُخْلِصٌ لَكَ فِي أَدَاها
وَأَنْ مُحَمَّدًا لَكَ فَهُوَ عَبْدٌ رَسُولٌ وَالرَّسَالَةُ قَدْ فَشَاها

إلى غير ذلك من المعاني التي كررها، ولا داعي لأن نكثر منها وبعد فما سمات هذا الفن عند أبي حمزة؟ إن قصائد أبي حمزة في مدح المولى متوسطة الطول، فهي لم تتجاوز الخمسين بيتاً، ولم تقل عن أحد عشر بيتاً.

والفاظه واضحة المعاني سهلة جزلة متدفقة، فلم تخرجه تلك السهولة إلى الابتذال ولم تدخله الجزالة إلى الوعورة، اللهم إلا بعض الألفاظ التي جاءت في الوصف كـ (السملقة، المهارق).

وعباراته مؤثرة، وقوة هذا التأثير تكمن في القدرة على التعليل؛ حيث أثبت وجود الله من خلال وجود مخلوقاته، وحين توصل إلى وحدانيته من خلال تعدد معجزاته وآياته. إلا أن بعض هذه القصائد، مثل القصيدة الهمزية الأولى، لا تخلو من بعض الهنات التي تلازم البشر. فانسجت في بعض ألفاظها بمد المقصور وهي (الورى، الهدى، المنى) فقد مد الشاعر هذه الكلمات وهي مقصورة في الأشطر التالية: (القاسم الرزق على الوراء) - ومدُّ الوراء يفسد المعنى، فقد يتحول المعنى من الخلق إلى الخلف. وهذه من الضرورات القبيحة-. (وغاية السؤال في المنايا) و(أطلب منك منهج الهداء).

مدائح ليلى الشريفة، وتوديعها وتوديع مقاماتها: يرمز ابن المُلُوح ليللى الشريفة إلى الكعبة المشرفة أو مكة المكرمة. وقد تعلق قلبه بحب الكعبة المشرفة منذ طفولته. إلى أن أصبح شيخاً؛ فيشتاق ويحن إليها إذا سمع بركب يَمُّ إلى الديار الحجازية: (١)

أَحْنُ إِلَى لَيْلَى وَلَيْلَى مُنَى قَلْبِي حَنِينٌ خَمَاسٍ أَوْ قُرُوقٍ عَلَى سَقْبِ
وَمَنْ لَا نَمِي إِنْ ذَابَ قَلْبِي صَبَابَةً لِلَّيْلِ وَحَقٌّ أَنْ يَذُوبَ لَهَا لُبِّي
تَعَلَّقْتُهَا طِفْلاً وَشَيْخاً وَبَافِعاً وَعِشْتُ بِهَا صَبُّ الْهَوَى أَيْماً صَبُّ
وَحَسْبِي بِمَا بِي مِنْ جَوَى وَضَبَابَةٍ لِلَّيْلِ وَحَسْبِي مَا شُغِفْتُ بِهَا حَسْبِي
وَمَنْ لِي إِلَى الرِّكْبِ الْحِجَازِيِّ إِنْ نِي أَخُو لَوْعَةٍ تَعْنُو إِلَى ذَلِكَ الرِّكْبِ

ويكرر شغفه وحبه لليلى منذ شبابه إلى أن شاب كعاداته في تكرار المعاني فيقول: (١)

شَغِفْتُ بِلَيْلى والشَّبابُ رداؤُهُ قَشِيبٌ إلى أن صار غيرَ قَشِيبٍ

ويرمز للكعبة المشرفة بامرأة حسنة، فتعلقه بأستار الكعبة ودعاؤه، كأنه يلثم فاهاً لليلى: (٢)

ترشَّنتُ فاهاً والعَيونُ نواظِرُ إليّ ولم أختَرْ عَيونَ رَقِيبٍ
وَكُلُّ امرئٍ يَهْوَى العُلا في طِلاهٍ تجشم في الأخطارِ غيرَ هَيوبٍ
فتلك المرأة التي يرمز لها ابن اللواح: (٣)
هي الخُلَّةُ الحَسَناءُ من غيرِ رِبةٍ ومن يتبَنَّاها فغيرُ مُريبٍ
حصانٌ وإن أَلقتُ جِهاراً ثيابها مَثُوبٌ مُدانيها وأيُّ مَثُوبٍ
وهي أبضاً:

إذا خوطِبْتُ كان الثوبُ خطابها ومما خُطِبْتُ إلا لكلِّ خطيبٍ

وعندما يعزم الشاعر على الرحيل إلى البيت الحرام، يقف داعياً الله سبحانه وتعالى أن يبلغه ماله، وأن لا يقطع رجاءه، وأن يسهل إقباله وإدباره: (٤)

وَقَدْ عَزَمْتُ على البَيْتِ الحَرَامِ ولا فِيمَا أرومُ سِوَاكَ اللَّهُ مُعْتَمِدِي
فاجْعَلْ لَدَيْكَ رجائي غيرَ منقَطِعٍ واجْعَلْ بِلِوَعِ مُنَايَ مِنْكَ في مَدَدٍ
وَهَبْنِي اللَّهُ شُكْرَ الفضْلِ جَائِزَةً الدَّ نِيَا لما أَنْتَ لي تَرْضَى وفَوْزَ غَدٍ
وسَهِّلِ اللَّهُ إقْبَالَي ومنصَرَفِي وقسِّمِ اللَّهُ مِنِّي كُلَّ ذِي أَوْدٍ

ويدعو ربه عند وداع أهله أن يكون خليفته في أهله وماله، ويدعو ربه عند صلاته وداع

المنزل: (٥)

متى أودَّعُ أهلي عند مُنصَرَفِي كُنْ لي الخليفةَ في أهلي وفي سَبْدِي
وإنْ أصلي وداعاً قد دعوتُكَ يا ربَّاهُ فاقبلْ وكُنْ غوثي ومُلتَحِدي

ويدعو ربه أن يحفظه في سفره كما حفظه في حضره، وأن يسهل عليه الطريق، ويطوي له البعد، ويكفيه مراصدة الأعداء، ويوقيه من كل شر يخشاه ويحذره. وهذه الأدعية من جملة أدعية المسافرين- المأثورة- إذا ركب على دابته: (٦)

(١) الديوان ١٠٦/١ (٢) نفسه ١٠٦/١ (٣) ١٠٧/١
(٤) نفسه ١٢١/١ (٥) نفسه ١٢١/١ (٦) نفسه ١٢١، ١٢٢

يا ناظرِي بعيونِ الحفظِ في بلدي كُنْ حافظاً سَفرِي كالحفظِ في بلدي
وقربُ البُعدِ في حِلِّي ومُرتَحلي واكفني رَصَدَ الأعداءِ والرصدِ
واجعلْ طريقي أماناً لا يُصادِفُنِي من جملةِ الخلقِ والعُدوانِ من أحدِ
ووقنا شر ما نخشى ونحذرُه واجعل لنا عِدة من أَمنع العُدِ

إن هذه الأبيات لم ترق إلى مرتبة الشعر وإنما هي إلى النظم أقرب منها إلى الشعر، فقد رصف الشاعر فيها معاني ونظمها في قالب نثري خطابي، ففي معظمها جمل طلبية مثل قوله: (وقرب البعد، واكفني، واجعل طريقي، ووقنا، واجعل لنا) فهذه أفعال طلبية خطابية نثرية، لم يرق الشاعر بها إلى التصوير والتخييل، فابتعدت عن روح الشعر.

ومن كثرة تعلق الشاعر بالكعبة المشرفة -التي يرمز لها بليلى- يخيل إليه أنه رآها في المنام. ولكنه يبقى متعجباً كيف يهتدي هذا الطيف في غسق الليل وبعد الشقة على الشاعر، فبأني ليحييه: (١)

طيفٌ لليلى على شحط النوى طرقا ليلاً وطرقي بأموج الكرى غرقا
أنى اهتدى والدجى وحف غياهبه يشقُّه وبجوب المهمة العرقا
حتى أتاني وحياني بها ولها نشرُّ على الأفق من أنفاسها عبقا

قد حلفت مخيلة الشاعر به من عمان إلى مكة المكرمة: (٢)

فبتُ ألثمُ خديها وألزمها وأرشفُ الشنبَ المعسولَ معتنقا
ألقيتُ وصواصها عنها وحلتها وبِتُ منها مكانَ العنْدِ مُعتنقا
حتى تهجدَ عصفورٌ على عَلمٍ مُبشراً أن وجهَ الصبحِ قد شرقا
فَقُمْتُ والدَّمَعُ فوقَ الخدِّ منحدرٌ أجرُ ذيلي على وجهِ الشرى ولقا

فقد أحس الشاعر نفسه أن ذلك ما هو إلا من وحي شاعريته؛ لأنه لم يقبض من ذلك اللثم والرشف إلا كمن قبض بكفه الأفق: (٣)

فما قبضتُ من الطيفِ الملمُّ بها إلا كمن قبضتُ أكفاهُ الأفقا
ما أكذبَ الطيفَ لولا طيبُ زورتيه لمن تحبُّ ولا طيفُ به صدقا
رُعياً لليلى وباسقياً لا بطحها وبأستقى الله حيفَ الحيِّ واليرقا

وبعد أن أبقن أن ذلك طيف خيال مرّ عليه في نومه، شدّه الشوق إلى تلك الأماكن ورجا أن
يمتطي العيس ليقطع بها المفازات الشاسعة: (١)

ومتى متى العيسُ ينكحُنَ الهجولَ بنا	وتمسحُ المعجَ والإيغالَ والعنقا
وتخبِطُ الأكل بالأخفافِ تحسبُها	بناتِ ماءِ الغواصي تخبِطُ الغدقا
تُخفي وتظهرُ ساعاتٍ فتحسبها	أهلّةُ في السحابِ انضمّتْ وافترقا
إن هجرتُ روحتُ أو أصلتُ بكرتُ	وتوضِحُ الليلَ بالإرقالِ مذكُ غسقًا

هذه المشقات التي تتكبدّها الإبل في قطعها الصحاري. أوردها أبو حمزة في ألفاظ جزلة
تسودها الغرابة، فالبيت الأول ملاء بالغريب فال (الهجول، والمعج والإيغال والعنق) كلها ألفاظ
غريبة تحتاج إلى تأن لفهمها واستعانة بقواميس اللغة، إلا أنه لم يرُص هذه الألفاظ دون أن
يحسن استخدامها، فقد استخدمها في مواضعها المناسبة، فارتفع بها إلى اللغة الشاعرة،
فانظر إليه كيف بث الروح والإحساس في (الهجول) وهي الصحاري، وحرك العيس لتنكحها.
ثم يأتي إلى ذكر أصحابه الذين يجدون السرى معه، ويستعذبون الأرق فهم يبيتون ويقولون
على أكوار تلك الإبل. ومثلهم بالبزاة: (٢)

وعُصبةٍ فارقوا أوطانهم وإلى	ليلي أجدّوا السرى واستعذبوا الأرقا
باتوا وقالوا على أكوارها فهم	مثلُ البزاة على أكوارها سبقا

وفي سيرهم يتناشدون الشعر: (٣)

تَنَاشِدُوا الشَّعْرَ في ليلي لمجلىسها	ما كان في الشَّعْرِ مَقْبُوضاً وَمُنْطَلِقاً
لا يَرْقُدُونَ سُوراً من مَحَبَّتِها	حتى أضاءَ منارُ الصُّبْحِ مُوتَلِقاً

وهؤلاء العصبة لما اقتربوا من جدة وأحرموا، قربوا إبلهم العتق، ذاهبين إلى مكة المكرمة
يحدوهم الرجاء. فعندما شارفوا بيوتها، هلل الركب تكبيراً، فانهلت دموعهم فرحاً: (٤)

لما أتوا جُدَّةً من بعدِ ما حَرَمُوا	فَقَرَّبُوا اليَعْمَلاتِ الذُّمَلِ العُتْقَا
راحوا لليلي على حسبِ الرجاءِ بها	يغدو بهم أخمشُ الساقين مُحْتَرِقَا
وعندما شارفوا ليلي وقد نظروا	تلك المنائر في حافاتِها السَّمَقَا
فَهَلَّلَ الرُّكْبُ تكبيرا ومن فرَحَ	بكوا وبكى أخو الأفراحِ مشتَقَا

ثم يأخذ في وصف مناسك الحج والعمرة مفصلة فيبدأ من دخولهم الحرم من باب السلام، وطوافهم طواف القدوم، وشربهم من ماء زمزم، وإهراقهم الماء على رؤوسهم، وسعيهم بين الصفا والمروة، ثم مبيتهم في منى ليلة التاسع من ذي الحجة، وخروجهم بعد طلوع الشمس إلى عرفات، ثم وقوفهم بها إلى غروب الشمس، ودعائهم الله في ذلك الموقف أن يعتقهم من نار جهنم، وأن يدخلهم برحمته في جنته، ثم إفاضتهم من عرفات إلى مزدلفة ومبيتهم بها وجمعهم للحصى الذي ترمى به جمرة العقبة في يوم عاشر، وخروجهم من مزدلفة إلى منى بعد صلاة الفجر لرمي جمرة العقبة، ثم الذبح والحلق. إلى أن انتهى بإحلالهم من إحرامهم. كل هذه المناسك ذكرها مفصلة فقال: (١)

ويعدما دَخَلُوا بابَ السَّلامِ بها	طافُوا سَبْعاً وما جَفَوْا بها عَرَقاً
حَتَّى أَتَوْا زَمَماً من مائها شَرِبُوا	وما بقي فَعَلَى أَثْباجِهِم هُرِقاً
ونحو بابِ الصفا قد أَقبلوا ولقد	بالمروتين سَعَوْا في سَعْيِهِم دُفْعاً
وفي منى ليلهم باتوا ومُذْ طَلَعَتْ	ذُكَا على عَرَفَاتٍ كُلُّهُمْ فَرَقاً
دَعَوْا به اللّهُ عَتَقاً مِنْ ذُنُوبِهِمْ	يا فوزَ عَبْدٍ بِذاك اليومِ قد عُتِقَا
وبالفروب إلى جمع فَقَدْ نَزَلُوا	لِيَجْمَعُوا اليَزْمُعَ المَجْمُوعَ مُفْتَرِقاً
بالمشعر الصبح هُمْ صَلُّوا وقد قصدوا	رَمَى الجِمَارِ قُبَيْلَ الشَّعْرِ ما حُلِقَا
وبَعْدَما حَلَلُوا إِحرامَهُم قَصَدُوا	قَبَرَ النَّبِيِّ فَجابوا السَّمْلَقَ الصَّلَقَا

وفي قصيدة أخرى يخاطب ناقته أن تستريح من بعد عناء الطريق ومشقتها في ذهابه إلى الحرم المكي يقول: (٢)

أريحي الوجا يا ناق ما بعد ذا وجا	فقد نلت ما نلناه من مُقْتَضَى الرجا
فهذا هو البيتُ الحرامُ دخلته	فلا تطلبي عن مَخْرَجِ البيتِ مخرجا

ثم يذكر الأماكن التي يقف بها في البيت الحرام، وكأنه يعرف ناقته هذه الأماكن، في الحرم وخارجه فهو يقول: (٣)

ويابَ الصفا هو الذي قد ولجته	وبالعلمين الخضر أحسنت مولجا
وذي زَمَماً منها اشربي وانقعي الصدى	ولا تحذري من شربِ علٍ تخرجا
وعودي إلى وادي منى ثم عرجي	إلى عرفاتٍ عند مَنْ كان عرجا

وما يزال يخاطب ناقته ويذكرها اشتياقها للكعبة المشرفة، وهو وإن كان يوجه الخطاب للناقّة إلا أن الشوق مخصوص به ذاته، فهو يقصد اشتياقه لا اشتياقها وتعبه لا تعبها، وورده للمياه الأجنة لا وردها، فالمشاق التي يذكرها وقد واجهت ناقته يذكرها لأجل مواجهتها له، يقول: (١)

إذا ذكرت ليلي ترزمت مثلما	ترزمت مخلول على الخلف أزعجا
صبوحك بالإهكار أعلاك حرة	وأمثالها بالليل إذ جنّ أو دجا
وحزمت رغي الروض وهو محلل	وغيرك يرعى منه شبحا وسلجا
تركت مياه السبت وهي غيرة	وأنشجت من ماء الضبيعة منشجا
وتكتب قصدا عن رماح ووردة	ومن حرّض أوردت ماء فهمجا
إلى أن قال: (٢)	

أناحك بعد النحض والنّي ما غدا	قتيلاً ترى ما بعد ما كان مدحجا
على بابك اللهم أقيت أرحلي	محملة ذنبا ومحشوة رجا

ثم يبدأ بلج في دعائه ربه، لأنه يعلم أن باب الله مفتوح للتوابين: (٣)

إذا أرتجت أبواب خلقك خالقي	فبابك مفتوح وما ليس مرّجى
إذا لم أرج منك عفواً ونائلاً	فمن لسواك الله مولاي مرّجى
فأنت بحالي يا عليم فعالم	فما لسواك الله ملجأ وملجأ
ولا منهجاً إلا إليك طرقت	فأوضح لي اللهم للعفو منهجاً

إلى أن يدعن عن خطاه وذنبه الذي جناه حتى إنه ليتلثم في حديثه ودعائه لله جلا وعلا: (٤)

إلهي ومعبودي سألتك مدعناً	ببابك يا مولاي أوقفني الرجا
وسرت النجا يارب للعفو قاصداً	وفوز أمري سار النجا فلقني النجا
أنا المذنب الخاطي إذا قمت داعياً	لك الله من قبحي لساني تلجلجا
إذا قست ذنبي لم أجِدْ عنه مخرجاً	ويوسعني حسن الرجا فيك مخرجاً
فكم كُرب حلت بمشلي مذنب	دعاك على تفريجها فتفرجاً
دعوتك يا مولاي تقبل دعوتي	وتغفر زلاتي وتفرج ما شجاً

ومن الملاحظ على هذه القصيدة وجود المحسنات البديعية من الجناس ورد الأعجاز على الصدور، وطباق، وإبطاء، وتكرار العبارات بألفاظها ومشتقاتها. فمن أمثلة الجناس قوله:

وسِرْتُ النجا ياربُّ للعفو قاصداً وفوزَ امرئٍ سارَ النجا فلقني النجا

ومن أمثلة ردِّ الأعجاز على الصدور قوله:

ولا منهجاً إلا إليك طويتهُ فأوضح لي اللهم للعفو منهجاً

ومن أمثلة الطباق قوله:

وحرمت رعي الروض وهو محللٌ وغيرك برعى منه شبحاً وسلجاً

ومن أمثلة الإبطاء قوله:

إذا أرحت أبوابَ خلقك خالقي فبأبك مفتوحٌ وما ليس مُرجى
إذا لم أرج منك عفواً ونائلاً فمن لسواك الله مولاي مُرجى

فقد كرر لفظة (مرجى) في البيتين المتجاورين، أما تكرار العبارات ومشتقاتها، فقد كرر اللفاظ (الرجا ورجا ومخرج) وغلب اشتقاق لفظة الرجا على هذه القصيدة، وهذا التكرار في هذه الكلمات التي تنتهي بحرف الجيم ربما ألزمه إياه امتطأؤه لقافية الجيم.

وما يزال أبو حمزة يرمز إلى الكعبة المشرفة بمعشوقة يحبها ويتلف إلى رؤيتها ويشاق إلى زيارتها ووصلها، حاله حال من سبقه في هذا الفن كابن الفارض وغيره.

يبدأ قصيدته بقلقه من ملاحاة العذال، ثم يعرض حالته المضنية من العشق والصبابة، حتى أن الحب أضحى أكله وشربه ولبسه: (١)

العذلُ يُقلقُ والصبابةُ تلبسُ والحبُّ يطمَعُ والمواطنُ يؤنسُ
وأخو الهوى في شرع أحكام الهوى رِقُّ له وعلى الهوانِ محبسُ
لا تعذلوني في الهوى إن الهوى أكلني وشربي وهو لي فالملبسُ
كَمْ عِبْرَةٍ قَدْ رَعَيْتُهَا زَفْرَةً دَرَسْتُ وَمَجَرَى وَقَعِهَا لَا يَدْرُسُ
رحمتُ حُشاشتي الضلوعَ لأنَّها تَنقُدُ مِنْهَا عِنْدَمَا أَتَنَفَسُ

لقد أيقن الذين يرونه أن تلك الدموع التي تنهمر من عينيه ليست دموعاً، وإنما هي غدران منهجسة تجري على خديه. وما حالة من يكون الهوى في مهجته ونواظره مقيلاً ومعرساً إلا

هكذا: (٢)

ظَنُّ السَّوَادِ مُقَابِسًا بِخِيَاشِمِي فَاتَتْ إِلَيَّ لَعْلَهَا تَتَقَبَّسُ
وَتَحَقِّقُ الرَّائِدَ أَنْ مَدَامَعِي غَدْرَانُ سَارِيَّةٌ سَرَتْ تَتَبَجَّسُ
إِنْ الْهَوَى فِي مَهْجَتِي وَنَوَاطِرِي وَأَفِيدَتِي فَمَقِيلٌ وَمَعْرَسُ
بَيْتُ الْهَوَى عِنْدِي عَلَى شَحَطِ النَّوَى مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ مُطْلَقٍ وَمَوْسَسُ

إلى أن أفصح عن سر ذلك الوجد والهيام، وهو كلفه بليلى التي يكنى بها عن الكعبة

المشرفة: (١)

لِيلِي إِلَى لِيلِي أَحْنُ وَإِنْ بَدَا فَلَقْتُ الصَّبَاحَ لِقَائِهَا أَتَانَسُ
كَلِمَ عَيْبُونُ إِنْ بَدَتْ أَوْ حَدَّثُوا عَنْهَا فَكُلِّي مَسْمَعٌ يَتَوَجَّسُ
مَا زَالَ يَنْظُرُهَا الْفَوَادُ وَمُقَلَّتِي يَقْطِي وَيَطْرُقُ طَيْفُهَا مَذْ أَنْعَسُ
إِنْ نَمْتُ يَدْرُسُهَا الْفَوَادُ تِلَاوَةً وَمَتَى انْتَبَهَتْ لَهَا أَهْدُ وَأَدْرَسُ

إنها محتزجة بسمعه وبصره، ويستشعرها قلبه في المنام وفي اليقظة، وبعد أن ذكر وله بها يذكر المجاهر والفيافي التي تحول بينه وبينها، وأنه يقطعها بناقة سقاء، أو جمل أعبس متحدياً كل العقبات التي يمر بها بتلك المجاهر فيأخذ في تعداد وذكر تلك المخاوف التي يمر

بها: (٢)

مَنْ لِي بِهَا وَمَجَاهِلٌ مَا بَيَّنَّا حَالَتْ تَتَيَّهَ بِهَا الْجَوَارِي الْكُنُسُ
هَلْ تُبْلَغْنِيهَا عَلَى شَحَطِ النَّوَى سَقَاءُ جَارِيَّةٌ وَأَرْحَبُ أَعْيَسُ
إِنِّي لَأَلْبَسُ كُلَّ دِيَجُورٍ دَجَى لَوْصَالِهَا فِي خَلْعٍ مَا أَتَلْبَسُ
وَأَتَيْتُ وَالسَّيِّدَانُ تَعْوِي حَوْلَنَا وَالْأَسَدُ تَعْلَنُ بِالزَّنْيِيرِ وَتَفْرِسُ
وَعَلَى رَدَايَانَا ابْنُ دَابَّةٍ حَائِمٌ وَابْنُ الْعَمِيشِلِ وَابْنُ حَثَلِ الْأَفْطَسُ
وَلَكُمْ وَرَدْنَا طَامِسَ الْأَرْجَاءِ لَمْ يَرِدِ الْحَمَامَ بِهِ الْمَعَزَى الْأَطْمَسُ
رِيشُ الْقَشَاعِمِ حَوْلَهُ فَكَأَنَّمَا نُثِرَتْ حِرَابٌ لِلصَّيَاقِلِ طُمُسُ
وَمَسَاحِبُ الْحَيَاتِ فِي أَرْجَائِهِ فَكَأَنَّمَا سُحِبَتْ رِمَاحُ دُعَسُ

وفي وصفه لتلك المخاوف يلاحظ على ألفاظه جزالة ورشاقة، وله ميل في استعمال الغريب من الألفاظ فـ (ابن دابة وابن العميشل وابن حثل والقشاعم) كُنَى لحيوانات وطيور متوحشة، وألفاظها غير مألوفة الاستعمال إلا أن ابن اللوح استخدمها رغبة منه في إبراز شيء جديد

في شعره غير مألوف الاستخدام.

ثم يصف الناقة التي يمتطيها ليقطع بها تلك الطريق الشاقة مع فتية شم الأنوف، كما يصف أحاديث أولئك الفتية في تلك الطريق ليقصروا بها الوقت: (١)

مَرَقَتْ مُرُوقَ السَّهْمِ لِي عِيرَانُ هُوجَاءُ مَأْمُونُ تَسِيرُ عَرَنَسُ
فِي فَتِيَةٍ شَمُ الْأَنْوَفِ بُنِي لَهَا فِي كُلِّ كَوْرٍ بِالْأَبَانِقِ مَجْلَسُ
يَتَحَدَّثُونَ بِوَصْفٍ لَيْلَى عِنْدَمَا حُمِيَ الْوَطِيسُ بِهِمْ وَحِينَ تَغْلَسُوا

وتجرحهم الأحاديث ولا يشعرون بمرور الأيام حتى تظهر لهم أعلام مكة المكرمة التي هي مقصدهم، فيا حبذا ذلك الوصول، ويا حبذا تلك الأيام السعيدة التي يقضونها فيها، ويختم قصيدته بدعائه الله جل وعلا، أن يوفقه إلى حج بيته الحرام فيقول: (٢)

حَتَّى بَدَتْ أَعْلَامُ لَيْلَى قُدْسَتْ اسْمُ الْإِلَهِ وَهُمْ بِهَا فَتُقَدَّسُوا
طَوْبَى لِمَنْ أَلْقَى الْعَصِيَّ بِرُكْنِهَا وَبِهَا سَعَى وَمَضَى وَخَابَ الْأَنْعَسُ
يَا حَبْذَاكَ الْيَوْمُ فَهُوَ مَبَارَكُ يَوْمًا بِهِ فَازَ السَّعِيدُ الْأَكْيَسُ
وَقَفَّنِي اللَّهُمَّ حَجَّ الْبَيْتِ وَاقِ بَلْ مَا سَعَيْتُ وَمَا عَلَيْهِ أَسْسُ

وفي وداع ابن اللواح للكعبة المشرفة يجعل منها امرأة قد كلفه الوجد بها، ويوجه إليها الخطاب المباشر: (٣)

أَيَا لَيْلَى الشَّرِيفَةَ حَنِّ قَلْبِي إِلَيْكَ إِلَيْكَ يَا لَيْلَى الشَّرِيفَةَ

ثم يبث وجده ولوعته وسهره، وأنه نظم فيها المعاني البكر وقد شداها وتغنى بها، ومن شغفه بها فإن الناس قد تآقت نفوسهم إليها واشتآقت قلوبهم لها: (٤)

كَلَفْتُ بِكَ الشَّبَابَ وَفِي مَشِيبِي فَلَيْتَكَ كُنْتُ بِي مِثْلِي كَلِيفَةً
سَهَرْتُ عَلَيْكَ طَيِّبَةَ اللَّيَالِي تُرَاعِي النُّجْمَ لِي مُقْلٌ وَطُوفَةٌ
وَفِيكَ نَظَمْتُ أَبْكَارَ الْمَعَانِي وَفِيكَ شَدَوْتُهَا تَحْتَ السَّقِيفَةِ
وَكَثُرْتُ اللَّهْيَفَ إِلَيْكَ شَوْقًا وَيُكْثِرُ ذُو الْجَوَى مِنِّي لَهْيَفَةً
وَمِنْ شَغْفِي فَقَدْ شَغَفَتْ قُلُوبُ إِلَيْكَ وَلَمْ تَكُنْ قَبْلِي شَغُوفَةً

(١) الديوان ١٣٨/١ (٢) نفسه ١٣٨/١

(٣) نفسه ١٤٩/١

(٤) نفسه ١٤٩/١

وفي ذهابه إلى توديع الكعبة المشرفة هو وصحبه، وكانوا يمتطون مطاياهم، ويجدون السير إليها، تذكر أنه ذهب لوداع البيت، فهاج بقلبه رسيس الهوى، وسالت دموع عينيه على خده: (١)

تَذَكَّرْتُهَا وَالْمَطَايَا الْجَوَارِي حَدَّثَهَا إِلَيْهَا رِيحٌ لَطِيفَةٌ
وفي الركبِ والركبُ في مهلكاتٍ تنصُّ بهم بعمَلاتٍ وجيفة
فهاج بقلبي رَسِيسُ الهوى لهيباً يُسِيلُ العيونَ الحفيفة
وعندما يخلع ابن اللواح على الكعبة الشريفة حلة الخطاب الإنساني عند التوديع يشبه تعلقه بأستار الكعبة بعناقة لمحبوته، ورقة قلبه وخشيته عند التوديع الذي يسبب له انهيار عينيه، بخشيته على محبوته وبكائه على فراقها، فهو لا يطيق هذا الوداع وتلك الفرقة: (٢)

أبا ليلى يا ليت التـلاقي بدومٌ ولا يؤولُ إلى افتـراقِ
عَنَّتُكَ بَعْدَ مَظَلٍّ مِنْ وَصَالٍ فزادني الهوى طيبَ العناقِ
وقد أجرى هواك دموعَ عيني غـداةَ ضَمَمْتُ عَظْفَكَ لِلتَّلَاقِ
وكيف أطيقُ يا ليلى وداعاً وَيَبْنُكَ حِمْلُهُ فـسـوقَ المَطَاقِ

أما الخصائص التي اتسم بها هذا الفن من موضوعات شاعرنا، فهي الغرابة في الألفاظ والجزالة والعمق خاصة في وصفه لمجاهل الطريق ومخاوفها كما اتسمت بالتكرار في المعاني والعبارات والألفاظ، فهو يكرر أشطراً، بل يكرر أبياتاً بأكملها فمثلاً أبياته التالية: (٣)

متى بنا العيسُ ينكحن السـماليقا فتنجج الخرمَ والخرمَ المخاريقا (٤)
تطوي بنا مُهَرَّقَ الهَجَلِ التـنائف لا تألو كما تطوي الأيدي المـهاريقا (٥)
مهالكاً ما بها تلقى العسيس ولا أحلى وسرياً ولا عَذْقاً مناعيقا (٦)
بحالها وهي بالجُرْعاء عالقـة تَظُنُّ أَتَوَازَها فيها المـعاليقا (٧)
والشَّهْبُ منها وفيها لا تزالُ بها ليلُ التمام مغاريساً مساريقا
بهما تَسْمَعُ فيها الجنُّ عازفةً والريحُ خافقةً والصوتُ مخفوقا

(١) نفسه ١٥١/١ (٢) الديوان ١٥٣/١

(٣) نفسه ١٦٥/١

(٤) السـماليق: السـماليق: الصحاري والأرض البعيدة الطويلة (التاج ٤٦٧/٢٥) الخرم: خرم الأكمه منقطعها و مخرم الجبل والسيل، أنه. والمخارم: الطرق في الغلظ. (ترتيب القاموس المحيط ٤٦/٢) الخرق: الفقر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. (نفسه ٤٣/٢)

(٥) مهرق: كمكرم: الصحراء الملاء (نفسه ٥٠٢/٤) - الهجل: المطمئن من الأرض (نفسه ٤٨٥/٤) التنائف: التنوفة: المغارة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف، أو القفلة لا ماء بها ولا أنيس. (نفسه ٣٨٢/١).

(٦) عذقا: العذق: محرقة: الماء الكثير. (نفسه ٣٧٤/٣)

(٧) الجرعاء: رمل يرتفع وسطه وترق نواحيه (التاج ٤٣٠/٢٠)

ونحن نرى الغرابة والجزالة في الألفاظ التالية (السماليق، الخرم، المخاريق، مهرق، الهجل،
التائف، المهاريق، العسيس، عذقا، مناعيق، الجرعاء، أقواز، المعاليق، معارس... الخ)،
والآيات تكتظ بهذه الألفاظ الغريبة وكأن الملوحي مولع بالغرابة.

أما تكرار الألفاظ والعبارات فيتجلى في مطلع هذه القصيدة:

متى بنا العيسُ ينكحن السماليقا فتنج الخرم والخرم المخاريقا

الذي هو تكرار عن البيت التالي: (١)

متى متى العيسُ ينكحن الهجول بنا وتمسح المعج والإبغال والعنقا

وكذلك يتضح تكرار المعاني في الآيات التالية: (٢)

قد صفقتها رياحُ الصيف تصفيقا	وأنشجوها فمن ذي ركبةٍ بركا
فتحسبُ الماء تحت الأرض عيوقا	مواردُ كمننتُ أمواها وسنتُ
أرجائها وبقي حيران زهليقا	ولو تواردَها الطيشار نُوح في
من خوفها ويخالُ الظن تحقيقا	والذئبُ يقتله ترسيم قامته
مثل البرودِ بأكوارٍ سباريكا	قالوا وباتوا عليها فوق أرجلها
ما كان في الشعرِ مخروما ومفروقا	تناشدوا شعرَ ليلى كلما انتبهوا
والعيسُ فُلقت البیداء تفليقا	حتى إذا فلقَ الإصباحُ فاليقا
أعلامُ محسبها سُننا مطاليقا	لاحت شوارعُ ليلى والمنابرُ وال

فإن هذه المعاني تكرار عن المعاني في الآيات التالية: (٣)

به أبيتُ وجنحُ الليلِ ممدودُ	أقيلُ في كورها كالصقرِ مرتقا
أمثالها وعلى أضعافها بيدُ	فكلما جئتُ بيذا بعدا عرضت
وما بها منهلٌ للركبِ مورودُ	مجاهلا ما بها من وحشها أنسُ
والخوف من ظلمها ماتت به السيدُ	لو حلت الأسدُ فيها نوحَت زهقا
لها رفاق وإبغال وتوخيدُ	والبعملاتُ بها يُعلن من مرج
ومن مُجدٍ به شوق وتسهيدُ	والركبُ من ناعسٍ في الكور من لغب
وصواصُ ليلى ولاح الصدرُ والجيدُ	حتى بدا الأبطحُ الأعلى وشاع لنا
وأرزم الحقُ والاجذاع والعودُ	فهللُ الركبُ من قبل المناخ بها

أما ما كان من تكرار الألفاظ والآيات فهي في مثل الآيات التالية: (٤)

وبالفروب إلى جَمْعٍ فقد نزلوا
 بالمشعر الصبح هُم صلُّوا وقد قصدوا
 وبَعْدَما حلَّلوا إحرامهم قصروا
 مَذْ شارفوا طيبة المختار فانتخبوا
 فإن تلك الأبيات تكرر للأبيات التالية: (١)

وبالفروب إلى جَمْعٍ فقد نزلوا
 بالمشعر الصبح هُم صلُّوا وقد قصدوا
 وبَعْدَما حلَّلوا إحرامهم قصدوا
 مَذْ شارفوا طيبة المختار كلُّهم
 ليجمعوا اليزمع المجموع مُفترقا
 رَمَى الجِمارِ قبيلَ الشعرِ ما حُلِّقا
 قبر النبي فجابوا السملق الصلحا
 بدمعهِ من رسيس الشوق قد شرقا

المدائح النبوية :

لابن اللواح قصائد في مدح سيد البرية عليه الصلاة والسلام، لأنه- كما عرفنا- الرجل الورع التقى المتبتل ، وهو الذي تعلق قلبه بالبيت الحرام، فأنشأ فيه بدائعه.. فلا بد أن يتعلق قلبه برسول الهدى ومسجده، وأن يحلي قريضه بمدائحه، كيف لا وقد جاء امتداح الرسول الكريم في محكم التنزيل حيث قال عز من قائل: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (٢).

وسار ابن اللواح في مدحته على نهج القدماء من الشعراء، فقدم لقصيدته بالمقدمة الغزلية أحياناً ومزج بين الغزل والفخر أحياناً، وفي مخاطبته للرسول صلى الله عليه وسلم يدخل مباشرة أحياناً من غير أن يقدم له بشيء. وسنمثل لكل نموذج من هذه النماذج.

وإذا كان أبو حمزة يستهل مدحته بالغزل؛ فلأن الغزل يستهوي القلوب، وتهواه الأسماع، فيكون بذلك مدعاة لجذب انتباه السامعين، وشدهم إلى الغرض والمقصد الذي يريده من قصيدته. وقد مزج بين طرائق أهل البادية وأهل الحاضرة من القدماء في تغزلهم من حيث الحمول والطلول، والشكوى والشوق والحنين (٣)، فمن مقدماته الغزلية قوله: (٤)

أعدُ نظراً في السُّرْبِ بالرُّمْلِ من حزوى
 ولا تطرُ شيئاً من أحاديثِ عالِجٍ
 وجالسُ إذا كررتَ للرشأ الأحوى
 وإن كان لا يخفى بناظريك الطُروى

(١) الديوان ١٥٧/١ (٢) سورة القلم آية ٤

(٣) ينظر: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. العُمدة ٣٩٧/١. وفيه: مذاهب الشعراء في افتتاح القصائد بالنسيب.

(٤) الديوان ١٥٧/١

ومن هذه المقدمات قوله في وصف صورة المحبوبة: (١)

كفى البدرُ حُسْنًا أن يُقالَ نديدها فيزهو ولكن عن مشالٍ ينودُها
وحسبُ غصونِ البانِ أن قوامَها يقاسُ به مياسُها وميوذُها

وقصيدة أخرى يستهلها بالتحسر على الطاعنين: (٢)

أسيرَ الهوى قُلْ لي فما أنتَ صانعُ إذا ما بدتُ للطاعنين المصانعُ
وأنتَ بأخفاف الملاكِ واقفُ وطرفُك مطروقٌ وعنسُك ضالعُ

ومقدمة أخرى يذكر فيها الأطلال العافية: (٣)

بنفسي رسومُ بين نفعى وغربِ تلوح بعيني كالرُداء المذهبِ
مَحَتْ آيها الأرواحُ وابتكرتُ بها بواكرُ سحبٍ بالآتي المسحِبِ

ومن مقدماته التي يدخل فيها مباشرة لمخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو بالروضة الشريفة قوله: (٤)

يا رسولَ الله هذي أجملِي عَقَلْتُ عندَ جِماكَ المعقلِ
يا رسولَ الله كم كَلَفْتُها لك تطوي مَجْهلاً في مَجْهَلِ

واتسمت مقدمة الغزل عند ابن اللواح بذكر أسماء المحبوبات، كسعاد وعلياء، كما اتسمت بأسلوب المسألة والخطاب، وفي ذكره للظعن يسمي بعض أصحاب هذه الطعائن من أي حي؟ ولا بد أن نتحدث عن العنصر الثاني من عناصر اكتمال قصيدة المدحة النبوية عند ابن اللواح، إذ تكتمل عنده بعنصرين، هما: المقدمة ثم المعاني التي يصل إليها الشاعر بعد وصف رحلته عبر الفياقي والقفار وما يصاحبها من متاعب ومشاق.

وقد تضمنت قصيدة المدحة النبوية عند ابن اللواح المعاني التالية: مشاق الطريق التي واجهها الشاعر قبل أن يصل إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، والمدح الديني للرسول عليه الصلاة والسلام، والسيرة، وفيها معجزات الرسول - صلى الله عليه وسلم - والاسراء

(١) نفسه ٢٥٣/١

(٢) نفسه ٢١٥/١

(٣) نفسه ٢١١/١

(٤) نفسه ٢٣١/١

والمعراج، وطلب الشفاعة، والمغفرة والرضى منه عليه الصلاة والسلام، ثم الصلاة على النبي (ص) وذكر الأكل والصحابة. هذه هي مجمل معاني المدحة النبوية عند شاعرنا الخروصي وسنمثل لكل هذه المعاني.

فقد حدثنا ابن اللواح عن وسائل النقل المستخدمة في ذلك الوقت التي كان يستعين بها في قطع تلك الطريق الشاقة الطويلة من عُمان إلى الحجاز فيقول: (١)

فَطَوَّرًا بِأَثْنَاءِ الْجَوَارِي وَتَارَةً رَكَبْنَا إِلَيْكَ الْأَرْحَبِيَّاتِ وَضَعَا
وَطَوَّرًا عَلَى ظَهْرِ الْحَمِيرِ وَتَارَةً رَكَبْنَا لَكَ النُّعْلَ الْخَصِيفَ الْمُرْقَعَا

فوسائل النقل هي السفن والإبل والحمير، وتارة نجاهه يراوح فيمشي على رجليه. ولا يفوته أن يذكر صفة مسيرهم إذ يواصلون الليل بالنهار والنهار بالليل، وإلا لطالت عليهم المدة في قطع تلك المسافة الطويلة: (٢)

وَصَلْنَا الضُّحَى بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلَ بِالضُّحَى إِذَا الْمُنْعَمُ الْخَالِي انْطَوَى وَتَهَجَّعَا
نُرَاقِبُ إِفْرَاطَ النُّجُومِ إِذَا هَوَتْ غَوَائِرُ أَوْ تَبْدُو مِنَ الشَّرْقِ طُلُعَا

وفي وصفه لمشاق الطريق والصعوبات التي يواجهها، يقول عند ذكره الصحراء المقفرة: (٣)

وَمَجْهُولَةِ الْأَعْلَامِ طَامِسَةِ الصُّوَى بِأَجْوَاذِهَا ضَلَّتْ وَقَدْ حَدَّتِ الْحَدُوى (٤)
مُتَبَهِّئَةُ السَّارِي مِنَ السَّهْبِ إِنْ سَرَى تَخِيلُهُ يَغْتَابُ فِي قِمَةِ السَّرُوى (٥)
وَيَقْتَبِسُ الرِّكْبَانُ نَارَ سُهَيْلِهَا بِأَكْفَافِهِمْ خَالُوهُ مِنْ كَثَبٍ كَفُوى
تَضِلُّ الْقَطَافِيهِ أَفَاحِيصَ بَيْضِهَا فَتَنْبُثُ فِي رَجُوى أَفَاحِيصَهَا الْكُنُوى (٦)
وَتَسْمَعُ لِلجَّنَّانِ فِيهِ تَغْطُمُطَا وَيَنْسِي مَهِيْبَ الْقَلْبِ فِي جَوْزِهَا الرِّجُوى (٧)

(١) الديوان ٢٢١/١

(٢) نفسه ٢٢١/١

(٣) نفسه ٢٦٠/١

(٤) الصُّوى: الأعلام المنصوبة (المخصص ٨١/١٠) الأجواز: الأوساط وجوز كل شيء وسطه (اللسان ج و ز)

(٥) السَّهْبُ: ما بعد من الأرض واستوى في طمانينة (التاج، سهب)

(٦) أفاحيص: جمع أفحوص وهو مبيض القطا (التاج، فحص)

(٧) الجَنَّان: الجنان من الجن وجمعه جَنَّان. (اللسان. جنن) تَغْطُمُطَا: الغنظمة اضطراب موج البحر (ترتيب القاموس المحيط. غطمط)

ولا يفوته أن يصف المياه الآسنة الراكدة التي يمر بها الركبان في تلك المفازة وصفاً دقيقاً بقوله: (١)

ومنهدم الأعضاء طلحبا ماؤه ويثنت عليه العنكبوت لها ماوى
كأن تساحيب النضائض حوكه مَجْرُ رِماح الحي في الماَقط الأولى (٢)
كأن عليه الريش من كل جانب حِرابٌ جلاها صَيْقَلٌ للوغى جلوى
به يبحثُ الضرغامُ يحمي وروده ومن حوله السيدانُ من ظمًا نشوى

وفي وصفه للصحراء والمياه الآسنة نراه يختار الألفاظ الغريبة الحوشية والمعاني المتفجرة، التي لا يكاد يفهمها المتخصص إلا بالاستعانة بمعاجم اللغة، وكذا الذهن فيها. فمن الألفاظ الغريبة التي استخدمها في وصف الصحراء هي: (الصوى، أجواز، تَفْطُمُطًا، السُهْبُ) وفي وصفه للمياه الراكدة في الصحراء استخدم (منهدم الأعضاء، النضائض، الماَقط).

ولا ينسى أن يصف معاناة الإبل التي يقطع بها تلك الصحراء، وحالتها في تلك المفازة. فتلك الإبل: (٣)

إذا هَبَطَتْ غوراً تغورُ عيونُها وتُتَجِدُّ إن غصتُ بهنَّ نَجودُها
وتعدو كبننِ الجَونِ طوراً وتارةً لتركع حتى يستكينَ سَجودُها
يُطلِّحها المسرى ويلغبها الضحى ويدنُّبها إيفالها ووخيدُها

وتتضمن قصيدة المدحة النبوية عند أبي حمزة، شوقه إلى الأماكن المقدسة وإظهار مشاعر الوجد والغزل الرمزي. من ذلك قوله: (٤)

أحمدني بنقا العقيق أعد لنا فيه الحديث موشحاً بدواته
ظبياته هل هُنَّ هُنَّ كعهدنا فقلوبنا أسرى هوى ظبياته
ولحبذا نسماتُ فيح من قُبا بكرتُ فَعَطَرْنَا شذى نَفحاته

ومن المعاني أيضاً المدح الديني لسيد البرية. كيف لا وهو خير من يمشي على الأرض من حاف ومتعل: (٥)

يا رسولَ اللهِ يا خيرَ الورى خيرُ حافٍ كان أو مُتعلٍ

(١) الديوان ٢٦١/١

(٢) النضائض: حية نضاضة ونضاض، لا تستقر في مكان لشرتها ونشاطها. أو هي إذا نهشت قتلت من ساعتها (التاج). نضض: الماَقط: المضيض في الحرب. (التاج. أقط)

(٣) الديوان ٢٥٥/١ (٤) نفسه ١٤٨/١ (٥) نفسه ٢٣٢/١

يا رسولَ الله لولاك لما كَوْنُ الكَوْنينِ مَوْلانا العَلِي
يا رسولَ الله لولاك لما مُحَيَّ الشُّرْكُ ولا الآيِ تُلِّي
يا رسولَ الله لولاك لما جَنَّةُ كـانت لأَوَاهِ ولي
يا رسولَ الله لولاك لما أَمْهَلُ العاصي وبالنارِ صُلِّي
يا رسولَ الله لولاك فما من نبيٍّ ورسولٍ مُرْسَلٍ
يا رسولَ الله لولاك على الـ أنبياءِ الكُتُبُ لما تنزل

إن مدحة الرسول- صلى الله عليه وسلم- عند أبي حمزة تتسم بالتكرار، سواء تكرر في المعاني أو تكرر في الألفاظ، فهذه القصيدة من أولها إلى آخرها يلح فيها بلفظة يا رسول الله. وهذا أسلوب يحمل النزعة الخطابية، والمُلوحِي يمزج بين أسلوب النظم الشعري وأسلوب النزعة الخطابية «ولعل من أثر هذا المزج بين الأسلوبين ما نراه من ترداد الشاعر لبعض الألفاظ بصورة مكرورة في أوائل أبياته، محاولة أن يجعل لإنشاده ما ينظم به وقعا صوتيا مؤثرا في نفوس السامعين وعلى آذانهم» (١)

ولعل هذا الإلحاح مبتغاه غفران ذنوبه التي جاء بها كما يقول: (٢)

يا رسولَ الله قد جئتُ وبِي علَّةُ شنعاءٍ لا كالعلل
يا رسولَ الله إني مَبْتَلَى من أذاها داوِ داءِ المَبْتَلَى
يا رسولَ الله ذِي أَحْرَفُها ذالُ نونٍ وأوْباءِ فَصِلِ

فالعلة الشنعاء التي جاء بها هي الذنوب؛ لذا يطلب من النبي الكريم أن يستشفع له لغفران ذنوبه وأن يمن الله عليه بالرحمة فقد قال: (٣)

فاسألْ إلهك أن يُنِّ بِفَضْلِهِ وَبِسِتَّةٍ من أَحْرَفٍ فيجود لي
ألفٌ ولا مَراءُ حاءٍ مِمْ من قبل هاءٍ فهي بُراءُ المَبْتَلَى

وفي خطابه للرسول- صلى الله عليه وسلم- لا بد أن يذكر موطنه واسمه ونسبه. إذ المسلمون على الرسول في مسجده كثر، فلا بد أن يميز نفسه من بينهم بذكر اسمه: (٤)

أنا العُمانيُّ واسمي سالمٌ وأبي غسانُ والأزدُ هم قومي وهم عاصبي

(١) د. محمد عويس. الحكمة في الشعر العربي. مكتبة الطليعة بأسبوط- مصر.

دار نافع للطباعة ج ١/ ١٢٧

(٢) الديوان ١/ ٢٣٢ (٣) نفسه ١/ ٢٣٧

(٤) نفسه ١/ ٢٠٨

ومن خروصٍ إذا أنسبتني نَسَبِي وأنتَ حَسْبِي ومولاي ومنتخبِي
وفي خطابه للرسول الكريم عندما يطلب الشفاعة يقول له: (١)

بِبَابِ حُسْنِكَ قَدْ أَلْقَيْتُ أَرْحَالِي وقد حمدتُ إليك اليومَ تَرْحَالِي
فليس يخفى عليك اليوم من حالي شيء فإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ أَعْلَمُ بِهِ
أَمْسَيْتُ ضَيْقَكَ فِي تَعْدَادِ أَضْيَافِ أنتَ المَالُ وَأنتَ المَالُ لِلْعَافِ
وإنني منك أرجو ضعفَ أضعافٍ من الشفاعةِ والتفويضِ فِي النُشْبِ

وينادي الرسول الكريم باسمه إذ يقول: (٢)

يا أحمد يا ابن عبدالله يا أُمَلِّي أرجوك لي ولنظمي فيك مستمعًا

وفي مدحته يستدعي الشخصيات التاريخية فيسترجع بذاكرته كعب بن زهير في مدحته
للرسول الكريم، ويطلب أن يكون جزاؤه من الرسول كجزاء كعب إذ جاء بمدحته: (٣)

فَهَبْنِي وَهَبْ لِي مُسْتَحَانًا وَرَحْمَةً وَقُلْ يَا أَسِيرَ الذَّنْبِ قَدْ مُحِيَ الذَّنْبُ
وَقَابِلْ ثَنَائِي بِالقَبُولِ وَأَجْزَنِي جَزَا ابْنِ زُهَيْرٍ إِذَا أَتَى بِالثَّنَا كَعْبُ
بِمَدْحِكَ أَرْجُو حَاجَتِي وَهُوَ حُجَّتِي غَدًا يَرْضِيهَا إِنْ رَضِيتَ بِهَا الرَّبُّ

ومن المعاني التي تضمنتها المدحة النبوية سيرة رسول الهدى مع قريش وأصحابه، فمن سيرته
مع قريش قول ابن اللواح: (٤)

وَاللَّهُ أَنْذَرُهُ بِحَيْثُ تَجْمَعَتْ سَفَهَاءُ مَكَّةَ تَسْعُ فِي هَجْمَاتِهِ
مِنْهُمْ أَبْيُّ وَالْمَغْيِيرَةُ ثُمَّ بُو جَاهِلٌ وَابْلِيسُ أَخُو لِعَنَاتِهِ
مِنْهُمْ أَشَارَ بِقَتْلِهِ وَيَحْبِسُهُ بَعْضُ أَشَارَ وَبَعْضُهُمْ بِشَتَاتِهِ

إلى أن نزل جبريل الأمين، عليه السلام، على الرسول الكريم، فأمره أن يهاجر بدنه إلى
يثرب هو وصحابته، فقال ابن اللواح: (٥)

نَزَلَ الْأَمِينُ مِنَ السَّمَاءِ مَعْرُجًا لِمَحْمَدٍ بِجَمِيعِ رَأْيِ شِنَاتِهِ
قَالَ الْأَمِينُ لَهُ عَلَيْكَ بِطِيبَةٍ فَانْهَضْ بِلَيْلِكَ وَاسْرِ فِي وَقْرَاتِهِ
وَاقْصِدْ إِلَى الْأَنْصَارِ هُمْ لَكَ عُصْبَةٌ تُغْنِيكَ عَنْ بُو طَالِبٍ وَحُمَاتِهِ
وَلَسَوْفَ تَدْخُلُ مَكَّةَ رُغْمًا عَلَى أَنْفِ الْمَغْيِيرَةِ أَوْ ذَرَى سُرَوَاتِهِ

(٣) نفسه ٢٠٤/١

(٢) نفسه ٢١٩/١

(١) الديوان ٢٠٨/١

(٥) نفسه ٢٤٩/١

(٤) نفسه ٢٤٨/١

ومن سيرته مع أصحابه رواية ابن اللوح لقصة هجرة الرسول (ص) وصاحبه أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- ودخولهم في الغار وبناء العنكبوت بيتاً له على الغار وتعشيش الحمام في ذلك الغار: (١)

فسرى وثانيه أبو بكر إلى الـ غار المنيف فأولجا بلجائه
ومضى أبو بكر يُشَقُّ ثوبه خوفاً على المختار من حياته
وبنى الخدرنق بيته في بابه والورقُ عشش في سما عتباته
حتى إذا بنس العنود لطيفة قصد اقتضاء محققا نيته

ويذكر التقاء الأوس والخزرج بالرسول الكريم وصحابته، وذكر فضائلهم على الدعوة الإسلامية: (٢)

لقبته آل الأوس ثم الخزرج الشـ شُ الكرام وهم حـمى راياته
والله أيدهم وعظم ذكرهم في الفتح بيعتهم لدى بيعاته
كم بيعة قد جددت لهم به قبل النزول لهم لدى عتباته
وبهم لقد فتح المهيم من مكة باسم النبي مضوا على بركاته

ومن السيرة النبوية، الحديث عن معجزات النبي الكريم، فقد تحدث الملوحي عنها بشيء من التفصيل فقال: (٣)

بمولده قد أحمدت نار فارس وإيوان كسرى خر وانهد من علوى
تخطت الأصنام مذ شاع ذكره وحلت على نسر بمبعثه البلوى
وحياه بالتسليم عود وظبية وسبح في كفيه صلد الحصى بطوى
وشق له البدر المنير كما جرى براحتته للقوم ماء لكي تروى
وقد ظلته في القفار غمامة ورأى الضحى بالقوم يهبو الحصى هبوا

ومن الملاحظ أن هذه المعجزات تتكرر في ثنايا قصائد ابن اللوح، فمن تكراره لها قوله: (٤)

خمدت بمولده مقابس فارس وتهدم الإيوان من شرفاته

وإذا كرر المعاني يتوسع في شرح المعجزة النبوية، كما توسع في شرح معجزة جريان الماء من

بين أصابع الرسول- صلى الله عليه وسلم- فقال: (٥)

(١) الديوان ٢٤٩/١ (٢) المصدر السابق ٢٤٩/١
(٣) نفسه ٢٦٢/١ (٤) نفسه ٢٥٠/١ (٥) المصدر السابق ٢٥٠/١

والبدر شق بكُمه والطبي كل حه وحياء البعير بذاته
 وغمامة قد ضلته بغدما رقص السراب على مطار بهاته
 والقوم مذ ورد الهلاك من الظما في صحصح قد عام في هفواته
 أجرى لهم ماء براحة كفه منه ارتوى وزوت جميع سقاته
 ومن تكراره للمعجزات قوله: (١)

جاء البعير فحياء وكلمه طبي العرار شفاها لا بخافته

ومن معجزات الرسول التي ذكرها أبو حمزة معجزة الإسراء والمعراج فقد قال: (٢)

سبحانه جل من أسرى به شرقاً ليلاً إلى موقف فيه سعادته
 أرقاه في درج لم تلقها رسل من قبله فحوت مجداً رقايتيه
 ففاز بالشرق الأعلى وقد محضت بألفته كل ذي روح رسالته
 باليلة باتها لله منقتربا كقاب قوسين أو أدنى شفاهته
 وللملائك تسبيح تحف به والنور قد ملا القطرين باهته
 وكم رأى من عجيبات الغيوب بها وكم أفادته من فضل غيابه
 وآب والليل ما عاج الصباح به والديك ما سمعت منه صداحته

ومن معاني المدحة النبوية التي ذكرها شاعرنا، الصلاة على النبي الكريم وذكر الأهل والصحابة، فمن ذلك قوله: (٣)

عليك صلى إله العرش ما صدحت ورق على الأيك أو ريح الصبا نفحت
 وما هملعة في وخذها برحت وما جدى راعد مسحنفر السحب
 ثم الضجيعيك أهل المجد والشرف وآلك الغر ثم التابعين فني
 آثارهم وطء عز غير منهدف هم خير ماض أولو الإسناد في العقب
 هل مثل صاحبك الثانيك في الغار ومثل بوحفص العاري من العار
 هما هما عينا حفظ وأسرار والناصراك فبالأرواح والنشب
 كانا وزيريك في الدنيا ومذ تلفا كانا ضجيعيك ما خانا وما انهدفا
 عليهما رحمة الرحمن والرافا تترى بقبريهما والموقف الكرب

وهذه القصيدة من القصائد المسمطة، وهي من فنون الشعر الذي نهجه ابن اللواح في المدحة النبوية وفي المراثي.

وستحدث عن مسمطات أبي حمزة في الدراسة الفنية من بحثنا هذا إن شاء الله.

وبعد هذا التطواف في قصيدة المدحة النبوية عند ابن اللواح، فما هي خصائص هذه المدحة؟ إن مقدمات هذه المدحة اتسمت بالغزل، وذكر الأطلال العافية، والتحسر على الطاعنين، ويذكر أسماء الظعن وأسماء الحبيبات. فتارة ينادي سعاداً وأخرى ينادي علياء، كما اتسمت بعض المقطوعات بأسلوب المسألة والاستجواب. وبعض القصائد لا يقدم لها بمقدمة وإنما يدخل مباشرة في مخاطبة الرسول- صلى الله عليه وسلم-.

ذلك من حيث المقدمة، أما من حيث المضمون، فإنه لم يخرج فيها عن سابقه من مداح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد ذكر فيها وسائل النقل من عمان إلى الحجاز ومواصلته السير في الليل والنهار. كما يصف الصحراء المقفرة والمياه الراكدة الآسنة في ألفاظ جزلة أحياناً وغريبة متقنة أحياناً أخرى، وقد وصف معاناة ناقته في الصحراء. ومن سمات هذه المدحة أيضاً تشوقه إلى الأماكن المقدسة وإظهار مشاعر الوجد في غزل رمزي. واتسمت القصيدة بالتكرار في المعاني والألفاظ والمزج بين النظم الشعري والنزعة الخطابية، مما جعل لإنشادها وقعاً صوتياً مؤثراً.

وقد اتسمت القصائد بالطول، كما جاءت بعضها مسمطة في أربعة أشطر.

شهر رمضان في شعره

يجد المؤمن في أيام شهر رمضان ولياليه لذة في العبادة، فذلك الشهر الفضيل يقضي المسلم فيه نهاره صياماً، ولياليه قياماً، وفرحته تكون عند إفطاره، فعند الغروب يلتقي مع إخوته المسلمين في المسجد فيشاركهم الإفطار، ثم يصلون المغرب في جماعة، وبعد ذهابهم إلى بيوتهم بعد صلاة المغرب بعد أن تناولوا عشاءهم يعودون إلى المسجد لصلاة التراويح، فتجد المساجد تعج بالمصلين في هذا الشهر الكريم، فيجد المؤمن في هذا الشهر روحانية تحلق به، فيطلب المغفرة والصفح. وفيه تفتح أبواب الجنان وتقف أبواب النيران وتصفد الشياطين.

فإذ ما أزف الشهر على الرحيل تافت روح المؤمن له، وحزن على فراقه، وتمنى من مولاه أن يُد في عُمره ليلاقيه في العام القابل فيفوز بفضائله.

وشاعرنا ابن غسان من الذين تأثروا بفراق هذا الشهر فاعتصرت قريحته ثلاث قصائد في وداع هذا الشهر الفضيل.

ففي إحدى هذه القصائد، يستهلها بالوداع دون أن يقدم لها، فيقول: (١)

وداعاً أيُّها الشَّهرُ الوداعا فقد أزفَ الرحيلُ وقد تداعى
وقد راعَ الفراقُ قلوبَ قومٍ وكُم حُبُّ على فقد أراعاً

ثم يقول: كيف يمكن سلو هذا الشهر، وقد جمع شمل المحبين وقد تحابوا فيه لحبهم إياه، فكان لهم حبيباً، وكانوا يخشون فراقه فيتفرقون. ولكن لا محالة من ذلك: (٢)

وكـيـفَ لنا سـلـوكَ بَعْدَ بَينٍ وقد نَسَخَ الفراقُ الاجتماعا
وقد كُنْتَ الحبيبَ لنا وكُنَّا نُحاذرُ منك أن تنوي زماعا
ولكن كُلُّ جـمـعٍ صـاحٍ فـيـه غُرابُ البينِ ينصدع انصداعا
أَلَعْتَ قلوبنا بالبـين حـتى لَذِكْرُك با أبا فِطْرٍ أَلَاعا

ويذكر ليالي الشهر وقصرها عليهم، فكان مرورها عليهم كمرور الطيف كما يقول: (٣)

ليـالـيك الحـسـانُ مـضـيئَ عَنّا بأيامِ بنا مـرَّتْ سِراعاً

(١) الديوان ١/٣٤٩

(٢) نفه ١/٣٤٩

(٣) نفه ١/٣٤٩

مَرَرْتُ بِنَا مُرُورَ الطَّيْفِ حَيًّا مُحْيِيَّةً وَمَا أَهْنَا اضْطِجَاعًا

ويذكر بعض فضائل هذا الشهر مشخصاً إياه في الخطاب قائلاً: (١)

أَشْهَرَ الصُّومِ هَلْ لَكَ مِنْ رُجُوعٍ فَنَدْرِكَ بِالرُّجُوعِ الْارْتِجَاعَا
لَقَدْ أَجَلَيْتَ أَفْنَدَةً صُدَاةً وَقَدَسْتَ الْمَذَائِعَ وَالْمَذَاعَا
مَلَاحِكَةَ السَّمَاءِ بِكَ اضْطَحَبْنَا وَآلَفْنَا الْمَسَاجِدَ وَالْجَمَاعَا
وَكَمْ أَلْبَسْتَ نَوْرَكَ مِنْ وَلِيٍّ كَمَا مَلَأَ الْمَدَائِنَ وَالْبَقَاعَا

وذكر من تلك الفضائل في هذا الشهر وجود ليلة القدر فيه، التي هي خير من ألف شهر فقد

قال: (٢)

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ شَاعَ فِيهِ وَفِي السَّبْعِ الطَّبَاقِ الْكُلُّ شَاعَا
وَفِيكَ اللَّيْلَةُ الْمَقْدُورُ فِيهَا جَمِيعُ الْأَمْرِ ضُرًّا وَانْتِفَاعَا
قَلِيلُ الْقَدْرِ تَعْدِلُ أَلْفَ شَهْرٍ مُوَفِّقَةٌ لِمَجْتَهِدٍ أَطَاعَا
وَكَمْ لَكَ مِنْ فَضَائِلَ لَيْسَ تُحْصَى رَحَلَتْ بِهَا وَبِرُّ مِنْكَ ذَاعَا

إلى أن يختتمها بقوله: (٣)

قَرَعِيَا شَهْرَ رَمَضَانَ قَرَعِيَا فَرَأَيْتُكَ بَعْدَ الْفِكَ قَدْ أَرَاعَا
لَعَلَّ اللَّهَ يَسْمَعُ بِالتَّلَاقِي وَيُبْدِلُ بِالرَّضَى الْعَمَلَ الْمَضَاعَا

أما القصيدة الثانية فيجعل مقدمتها في اثني عشر بيتاً وقد مزج في هذه المقدمة بين الموعظة

والحكمة والتوديع فقال: (٤)

شَمَلُ تَصَدَّعَ عِنْدَ بَاكَرَةِ النُّوَى لَوْلَا النُّوَى مَا كَانَ فِيهِ صُدُوعُ
شَيْمُ اللَّيَالِي هَكُنَا بِصُرُوفِهَا يَهْلِي الْجَدِيدُ وَيُفَرِّقُ الْجَمُوعُ
قَدْ تَرَفَّعَ الْمَخْفُوضُ جَدًّا تَارَةً مَنَا وَطَوْرًا يُخَفِّضُ الْمَرْفُوعُ
كَمْ مُدِّعٍ تَلَقَّاهُ دَهْقَانًا وَكَمْ دَهْقَانِهَا بِصُرُوفِهَا مَدَّقُوعُ

(١) الديوان ١/ ٣٥٠

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٥٠

(٤) نفسه ١/ ٣٥١

إلى أن قال وهو مازج الحكمة بالتوديع: (١)

كُنَّا بِشَهْرِ الصَّوْمِ نَنْجَحُ عِنْدَنَا أَنْ لَا يُلِمُّ بِرُكْنِهِ تَصَدِّعُ
أَمْسَى غَرَابُ الْبَيْنِ فِينَا نَاعَتَا صَوْتُ الْغَرَابِ مُشْتَتٌ وَمُرْبَعُ
أَهَالِهَا مِنْ وَقْفَةٍ لِدَاعِهِ فَكَأَنَّهُمَا حَيْنٌ أَحِينُ ذَرِيعِ
كَمْ مُقْلَةٍ شَكَرَى عَلَيْهِ بِدَمْعِهَا وَحِشَا تَلُوبٌ وَآخِرُ مَنْجُوْعِ

ويكني شهر رمضان أبا فطر قائلًا له: متى نجتمع بعد هذه الفقرة، فنحن لا نرجو اجتماعاً

بغيرك: (٢)

هَذَا الْفِرَاقُ مَتَى يَكُونُ لَنَا أبا فِطْرٍ لِقَاكَ وَنَحْنُ ثُمَّ جَمِيعُ
فَرَّقْتَنَا مِنْ بَعْدِ مَا جَمَعْتَنَا بِسَوَاكَ لَا يُرْجَى بِهِ التَّجْمِيعُ
ويختم قصيدته بدعاء ربه أن يقبل منه صيامه، وإن أساء فيه، ثم يصلي على الرسول-
صلى الله عليه وسلم- قائلًا: (٣)

أَدْعُوكَ دَعْوَةَ خَائِفٍ رَاجِي الرِّضَى بِحِمَاكَ الْجَا إِنْهُ لَوْ سَبِغُ
فَاقْبَلْ صِيَامِي لَوْ أَسَأْتُ فَأَنْتَ يَا إِلَهَ غَفَّارِ الذُّنُوبِ بِدَبِغُ
وَعَلَى رَسُولِكَ صَلِّ فَهُوَ نَبِيُّنَا أَرْجُوهُ عِنْدَكَ فَهُوَ لِي قَشْفِيعُ

المذهب الإباضي في شعره

لا بد في أي من المجتمعات البشرية من قيام صلات وعلاقت بين مختلف فئاته، لا تقتصر على الرابط القبلي، أو الرابط في القطر الواحد، بل تتعدى تلك العلاقت الأقطار قريت أم بعدت.

وتزداد العلاقت ارتباطاً و تماسكاً وعمقاً إذا جمع بين فئات المجتمعات المختلفة رابط المعتقد والدين.

وللمجتمع العماني صلات عقدية مذهبية مع بعض أهل المجتمع المغربي في المغرب العربي الذين يدينون بالمذهب الإباضي.

وقد كتب ابن اللوح قصيدة طويلة لإخواننا الإباضية في ذلك القطر تقع في أكثر من مئة بيت، وظهر تأثره بالمذهب الإباضي جلياً في شعره، إلا أنه لم يفرد له قصائد في ديوانه غير هذه القصيدة، بل يأتي ذكر المذهب عرضاً في شعره؛ وذلك في إخوانياته عندما يمدح أصدقاء أو يكاتبهم، من مثل الشيخ القاضي عبدالله بن عمر البهلوي وأبناء عبد السلام، وعبدالله بن أسد الأغبري وولده أسد.

ونبدأ بالهائية الرائقة التي وجهها إلى أصحابنا إباضية أهل المغرب فقدم لها بديباجة نثرية غلب عليها طابع السجع المتكلف. فكان مطلعها بعد البسملة (الحمد لله المتفرد بالدوام الأبدى والوحدانية، المنزه عن الحركات والسكون والآلات الجسمانية، المعبود باختلاف لغات المخلوقات العربية، واليونانية، وسائر لغات الهوام والبهائم الحيوانية)(١).

وقال في توجيه التحية لهم نثراً: (أما بعد: فإننا نخدم بالتحية العاطرة الريحانية، مطالعة المشايخ النفوسية الوهبانية، أهل البنادر والثغور والجبال العلوانية، ومن ساير بلدانهم الدانية والقصوانية، من الراسبية الوهبة الضبهانية، تحية إخوانهم المحبوبة العمانية)(٢)..

واستهل قصيدته بقوله: (٣)

ما روضةً بات ساريها يُباكرها وراح فيها مراح الشولِ ماطرها

(١) ابن رزّيق: الصحيفة القحطانية ٣٩٨/٢

(٢) المصدر السابق ٣٩٨/٢

(٣) ابن رزّيق: الصحيفة . ٣٩٨/٢

فقدم للقصيد بوصف الرعد وحنينه، والبرق وإيماضه، والسحب الحاملات للمياه، ثم وصف سقوط الغيث وشبه تناثر قطيرات المطر بتناثر اللآلئ النفيسة من العقد، ووصف ارتواء الأرض بالمطر، وما أعقب ذلك الارتواء من نباتات وأشجار وأزهار: (١)

من أبيض يقق أو أخضر نضر أو أحمر فانيء سوداً غدائرها
فالرند متّصبٌ والنفص منخفض والشيخ ترفعه عنها صنايرها

ووصف الماء الذي ينصرف من الغدران تحت ظلال الأشجار، ووصف الظل وشبهه بالساحر الذي يسترق الأبصار، والشمس التي تتخلل بأشعتها جزئيات الأغصان، والأوراق في الأشجار ذات الظل الوارف.

وقد أوردت هذه المقدمة في ثنايا حديثي عن الوصف في شعر الشاعر، فلا داعي لتكرار تلك الأبيات.

فلما انتهى من المقدمة، تخلص منها إلى موضوعه الرئيس فقال: (٢)

ينضاع نشر الخزامى من تحيئتنا وقد أذاع ثناها المحض ناشرها
بها فخص وإن حالت نوى قذف ومهمه ضل كالمعتوه جابرها

فبدأ بذكر جزيرة جربة والثناء على أهلها فقال: (٣)

حيّاً بجربة هم أعلام دعوتنا وهم قواعد أسأ عوامرها
الباسطين التي أقوت حفايرها والعائشين التي تحوي حوائرها

ثم أخذ يعدد الاعلام المشهورين بالعلم والزهد مع ذكر أماكنهم فقال: (٤)

فأحمد القصبي بل عبد خالقه سليل أحمد زكي النفس قاهرها
وغصبة بمقام البرج حلتها أبو علي بنوه هم نحاسيرها
سليل يحيى وعبد الرب سيدنا وابنه أحمد السامي ونادرها

إمامنا أحمد المهدي فتى عمر
والخبر داود الهوارُ نسبته
واخصُّ بيخلف يحيى ثم قدوتنا
قلوع فاضل برعى الله ساكنها
وصدغيان فإني الآن ذاكرها
بالعلم والحلم أهل الأرض هائرها
عيسى وعمراً رفيع الصيت عامرها
من كان حياً ومن ضمت مقابرها

ثم ينتقل إلى أهل جبل نفوسة وذكر أماكنهم فيقول: (١)

وفي نفوسة قد هاجَ الجوى جبَل
لا لوثُ تيفيتُ تيرتُ لقد سلبت
دارُ تبنى أبو مرداس عقوتها
سقياً لبغدادَ وريوري وتيرتُ بَلْ
تلك المنازلُ أشياخي بها نزلوا
يا أسعدَ الله مسعوداً يجاورها
بها ديارُ وليت العبدَ زائرُها
لبابَ قلبي وأنى لي تزاورها
حياً وميتاً تبكيه مشاعرُها
كأباو أو ذكر فرسطة ذاكرها
يلاحظ أن الشاعر يذكر قرى صغيرة لا يعرفها إلا أهلها، وكأنه قد ذهب إليها. إلا أنه يستنتج من البيتين الأولين في قوله: (وليت العبد زائرُها، وأنى لي تزاورها) أن الشاعر لم يذهب إلى تلك الديار إلا أنه أخذ وصفها وأسماءها من مشايخ أهلها الذين كان يلتقي بهم في الحج.

ويلاحظ وصفه الدقيق للقرى التالية: (٢)

وجايز راشوس حبذا بلدا
واربعُ بيقالة العليا المحل بها
واعطف بيقالة السفلى وزاجي واج
وفي مسفار قد نصت سفائرُها
نوحُ بن برهام هاديها وناصرُها
سرجن فطرس عبدلله نادرُها
إلى أن يقول وهو يصف الأودية الواقعة بين تلك القرى، ويذكر المسجد الذي يتعبد فيه العباد: (٣)

وبين زاجي ومرساون قيلَ لنا
ومسجدُ عندها كانتُ به امرأة
قد شاقني حبُّها في الله حيثُ زكَّتْ
وإد به جنة والماء غامرُها
تعبدتُ وصفتُ حباً ضمائرُها
منها وقد خلصتُ فيه سرائرُها

(١) ابن رزيق: الصحيفة ٣٩٩/٢

(٢) المصدر السابق ٣٩٩/٢

(٣) نفسه ٣٩٩/٢

إلى أن قال: (١)

هي الديارُ فكمُ فيها ثوى عَلمُ تَحْتَ الشَّرى وثوابُ الله سائرُها
وكم بقي عَلمُ فيها حوى عَلمُ زواجرُ العلم لم تَنْضُبْ زواجرُها

ثم ينتقل إلى ذكر أهل وارجلان وبني مصعب فيقول: (٢)

ويوسفُ ثم أيوبُ بن خالدةٍ داودُ أحمد وارجلان زائرُها
نوانُ أحمد من تحنيه طلعت شمسُ وعيسى لها سَعْدُ مناظرُها
واذكر بني ثورا بابكر بن صالحةٍ أهلُ العَفافِ فلا أقوتُ منايرُها
مليكةُ المرتضى عيسى المقر له في صَنعةِ العِلمِ محبوبُ وجابرُها
الواضحُ النورِ والبرهان تعرفه بفضلِه الجَم باديها وحاضرُها

وعندما يذكر غرداية؛ يذكر منها أربعة من حجاج بيت الله الحرام الذين ربما كان يلتقي بهم ويأخذ منهم أوصاف هاتيك الديار وعلماءها فيقول: (٣)

غردايةُ المصعبي ابراهيم عاضده محمدُ ابن منصورٍ مناظرُها
بلقاسم المرتضى يحيى أبوه وقلُ محمدُ بن سليمان مشاطرُها
فتلك حجاجُ بيتِ الله أربعة أهلُ الجمارِ مشويات جمائرُها

وعندما يشني على تلك القرى يمزج ثناءً بشوقه إليها، وتنبياته أن يكون من أهلها لا من زوارها فيقول: (٤)

سَقِيًّا ورَعِيًّا لهاتيك الديارِ وَمَنْ فيها ومن لي بها قُرْبِي يقاصرُها
لا لذة في البقا ما لم أحلَّ بها إحلالُها أهلها لا مَنْ يزاورُها
هي المحاربُ أعلا عليين وَمَنْ فيها هُمُ الشُّهَداءُ واللهُ ناصرُها
لا يفخرون بأموال مُتَلَدَّةٍ ما لم يَكُنْ برضى الباري مفاخرُها
ويدون ابن اللواح مذهب هؤلاء الذين ذكروهم ويقول بأنهم من أتباع عبدالله بن وهب الراسبي
إمام المذهب. فيقول: (٥)

(١) ابن رزق: الصحيفة ٣٩٩/٢

(٢) المصدر السابق ٣٩٩/٢

(٣) المصدر السابق ٣٩٩/٢

(٤، ٥) المصدر السابق ٣٩٩/٢

بالراسبي بن وهب نص مذهبهم هي المآثر لا أعقت مآثرها (١)
دين الإباضي أضحى أبيضاً بهم إن كدر الملة البيضاء كادرها

ثم يصف نقاء المذهب الإباضي بأنه حمل عن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - عن الروح
الأمين عن الباري جل جلاله فيقول: (٢)

أديانهم حملوها عن نبيهم عن جبرئيل عن الباري وأمرها
شرائعاً عذبت طعناً مواردها وقد حملن على العقبي مصادرها
ويذكر أن الدعوة الإباضية زالت نقية صافية في أولئك الاعلام آخرها كأولها. فيقول: (٣)

ها دعوة الله فيهم مثل أولها مقدس الاسم والأفعال آخرها
لم يطلب الریح في الدنيا بها أبداً غير الرضا بقضاء الله تاجرها
تلك النفوس التي لذت مطالبها في جمعها العلم فاحلوت مرائرها
في طاعة الله جافى النوم أعينها وعسكرت في مرضيه عساكرها

ويذكر بعضاً من حملة العلم الذين جاؤوا من البصرة إلى المغرب ليؤسسوا هناك الدولة
الإباضية: (٤)

لرستميين كم من وقعة وقعت عاش الوحوش بها ما اعتاش طائرهما (٥)
ويوسف وأبي الخطاب ثم أبي سلام عبد العلا طابت عناصرها (٦)
وهم من البصرة الفيحاء قد حملوا جل العلوم تهديها بصائرهما
أبو عبدة عنه علمهم حملوا وكان في الأرض خوف القتل ساترها

(١) عبدالله بن وهب الراسبي الأزدي العُماني. لما كان أمر الحكمين ماكان، أراد المسلمون تولية رجل منهم يعتمدون عليه في أمورهم، فعزموا على توليته فتكره ذلك وأباه، فلم يريدوا غيره ولم يرضوا سواه. فلما رأى ذلك منهم قال: يا قوم استيتوا الراي - أي دعوه يغيب وتأتي عليه ليلة فتدبر عواقبه. قبايعوه، وكان ذا رأي وحزم ودين وعلم، وقع به الائتلاف وارتفع في أيامه الاختلاف. (أبو العباس الدرجيني. طبقات المشايخ بالمغرب ٢/ ٢٠١، ٢٠٢)

(٢) ابن زريق: الصحيفة ٣٩٩/٢

(٣) ١ بن زريق: الصحيفة ٣٩٩/٢

(٤) الرستميون: عبد الرحمن بن رستم بن برهام بن كسرى؛ الملك الفارسي. إمام أهل المغرب رضي الله عنه، وأولاده، وهو المبرقع بالبصرة خامس الخمسة الحاملين العلم عن أبي عبدة مسلم بن أبي كريمة من أرض المشرق إلى أرض المغرب. (شرح البهلوي للقصيدة)

(٥) أبو الخطاب وعبد العلا من الحملة ويوسف ليس من الحملة بل هو من الفقهاء الكبار. أبو سلام أراد أبو سليمان. وجاز حذف النون والياء من سليمان للشعر. (شرح البهلوي للقصيدة). وفي طبقات المشايخ. أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع. ٢٢/١

وعند إزماعهم للغرب أودعهم مسائلاً يُبلسُ الداري تشاجرُها
وأودعَتهم ثلاثاً في موادعها وهي الثلاثُ عفيفاتُ مآزرُها
واستقبلوا الغربَ لا تشنى أعتتُهم ولا يبالون فيما قال ساخرُها

وعندما وصل أولئك الخمسة الذين حملوا العلم إلى المغرب: (١)

فقابلَ الأمرَ بالإخلاصِ مؤمنُها وطاوعَ الأمرَ بالإذعانِ كافرُها
حتى مضوا رحمةَ الرحمنِ تُنْعَشُهم ودعوةُ اللهِ فيهم قامَ ناصرُها
فالأمرُ منهم وفيهم لا تغيُّره حتى القيامةُ أحدثُ تعاورُها
وهمُ إلى الآن لا ذلتُ عصابتُها ولا جَبَّتْها على رِغمِ جابرُها
ولا استطابتُ على كَسْبِ تهاوشها وغير طامعةٍ فيها نهايرُها

ثم يشني الشاعر على أولئك العلماء ويدعو الله أن يكلاهم بعنايته، فهم على مر الأيام لم
تغيرهم الدنيا ولم يغتروا بها؛ لذلك يقول: (٢)

يا عَيْبَةَ اللهِ لا زِلْتُمْ بطاعَتِهِ مقدسينَ وها أنتم سرائرُها
يا عُصْبَةَ اللهِ عَيْنُ اللهِ تَكَلُّوكمُ حيثُ المحلينَ لم تكللِ نواظرُها
لا غيِّرتكم من الدنيا عوائِرُها ولا استَغَرَّتْكم فيها غرائِرُها
أنتم لدى الدعوة الغرا نواصرُها بكم سمت فوق كيوانٍ منابرُها

ثم يزجي لهم التحية والاحترام والثنا، ويهدي لهم قصيدته هذه قائلاً: (٣)

مِنَّا عليكم تحياتٌ مرادفةُ أقلامُها بالثنا تُثني محابرُها
بالأفقي يعبقُ والغبراءُ ماطرُها بالشرقِ والغربِ لم يفقد مسافرُها
كأنها الخضرُ ما خُصَّتْ به بلدُ أو الغزالةُ لم تُضَفِّدْ جواهرُها
قد صاغها سالمُ اللواحِ والده غسانُ من شنوةٍ والأزدُ شاعرُها

وفي نهاية قصيدته يحملها تحيات أصدقائه المخلصين ويعددهم واحداً واحداً؛ وهم: خاطر بن
غريب وإخوته، وعبدالله بن أسد وابنه أسد، ثم القاضي عبدالله بن عمر البهلوي شارح هذه
القصيدة فيقول: (٤)

(١) ابن زُرَيْق: الصحيفة ٣٩٩/٢
(٢، ٣، ٤) ابن زُرَيْق: الصحيفة ٤٠٠/٢

وخاطرُ بنِ غريبٍ ثم إخوته السُّ
يتقرونكم وهمُ أذنٌ لأمرِكُم
أجل وعبد الإله الحبرُ قدوثنا
هُما يَخْصَانِ من منكمُ يقابلُها
كذاك كاتبُها يُهدي تحيَّته
عبدُ الإله يَهْلِي حُلَّ مسكنه
تقريبكم منه تسليمًا تحيَّته
وكذلك يرد ذكر المذهب في مراثيه لعلماء عمان ومفكرها آنذاك. كما يترسم المعتقد الإباحي في شعره في مسألة الخلود في الجنة أو النار وفي الولاية والبراءة، وفي رؤية الباري جل وعلا. وسنضرب أمثلة للتدليل على ذلك.

فما قاله في خطابه لعبدالله بن أسد الأغبري: (١)

والملة البيضاء عن جبريلها
صلى الإله عليهما وعليهما
ما عشت فالدينُ الإباحي أبيضُ
فلعنكُ تسندهُ بنوكُ لكل من
فقلوبكم كالدهن من زيتونة
وفي خطابه لأبناء عبد السلام يقول: (٢)

فأنتم ملَّة الدينِ الإباحي وإن كنتم شموساً للأثام

وفي خطابه لصديقه القاضي عبدالله بن عمر البهلوي يقول: (٣)

(١) الديوان (مخ) ٩٧
(٢) العبدلي: لعله عبدالله بن إباح المري التميمي: إمام أهل الطريقة وجامع الكلمة لما وقع الضريق. وإليه النسبة اليوم في العقائد، معدولاً بها عن اسم الولد إلى اسم الوالد. (الدرجيني. الطبقات ٢/ ٢١٤)
والراسبي: عبدالله بن وهب. سبقت ترجمته.
(٣) الديوان (مخ) ١٤٧
(٤) المصدر السابق ١٦٦

بك الإباضي أمسى أبيضاً بقفاً ولو قُذِنَتْ لأضحى وهو كالطفل
لا أعدَمَ اللهَ هذا الدينَ منك فما له بقيت بقي حالاً بلا عطلٍ

ويقول: (١)

عسى يحيا بك الدينُ الإباضي وبقي وهو محروسُ الجناحِ
وفي رده للشيخ نجدة بن عبد السلام بن أبي الحسن يقول: (٢)

فأنسبتني للذمِّ فيك وللهجاء أنظمت في شيخ الإباضية الذمَّ
وفي نفس القصيدة يقول: (٣)

أأثلم ديني أم أمزق مذهبني وأهتك عرضي أطيس الآية العظمى
أما في مرثي العلماء فقد أوضح أبو حمزة دفاع العلماء عن المذهب. من ذلك قوله في رثاء
أبي عبدالله محمد بن سعيد بن محمد بن عبد السلام النخعي: (٤)

قد كنتَ ذا جدك بعلمك دونها إن أسند السنِّي والمتشيعُ
فالدينُ بعذك يا محمد هُدمت أركانه والحلمُ فهو مُضيعُ
ضعفت أركان الإباضي والرجاء بك قد أشيد وكان لا يتضعفُ
وإذا بنو عبد السلام بقوا لنا فالعلم طام والإباضي أنصعُ

وفي رثاء القاضي صالح بن أبي الحسن بن عبد السلام الرستاقى قال: (٥)

دينُ الإباضي صارَ منهم أبيضاً والعلمُ منهم زانهُ التوريعُ
وفي رثائه للشيخ العالم علي بن أبي القاسم محمد بن سليمان الأزكوي قال: (٦)

حتى أقرَّ الدينَ في أصله وعزَّ مظلومساً على الظالم

يقصد به الدين الإباضي.

وقال لأسد بن عبدالله في تعزيتة له في ابنته: (٧)

(١) الديوان (المخطوط) ١٦٤

(٢) المصدر السابق ١٥٥

(٣) المصدر نفسه ١٥٧

(٤) الديوان ١٧٢، ١٧١/٢

(٥) نفسه ١٧٨/٢

(٦) ٢٤٤/٢

(٧) نفسه ١٣٥/٢

فَحَزُنُّكَ يَا نَوْرَ الْإِبَاضِيِّ بَعْضُهُ لِيَحْرِقَ مِنَّا مَعْلَقَ الرُّوحِ لَا الْجِلْدِ

أما من حيث معتقد المذهب الإباضي في شعر الشاعر، فقد اتضح جلياً عنده في أبيات متفرقة أشار فيها إلى بعض المسائل الخلاقية في العقيدة مثل: رؤية الباري جلّ وعلا، وخلود مرتكبي المعاصي في النار، والولاية والبراءة.

فما قاله في نفي الرؤية عن الباري جلّ وعلا في الدنيا والآخرة: (١)

تَرَى وَلَسْتُ تَرَى دُنْيَا وَآخِرَةً عِلَامَ مَا سَتَرْتَهُ الْبَيْضُ وَالسُّودُ

وفي موضع آخر قال: (٢)

يَرَى وَلَيْسَ يُرَى وَهُوَ السَّمِيعُ بَلَا سَمِعَ بِصِيرٍ وَلَا طَرَفٌ لَهُ رَمَقَا
وفي مسألة الخلود قال: (٣)

وَهَلْ أَنَا فِي نَارِ الْجَحِيمِ مَخْلَدٌ أُمُّ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ فِي جَبَرَةِ الْهَادِي
وفي موضع آخر قال: (٤)

يَا شَرَّهَا مِنْ عُصْبَةٍ بِجَهَنَّمَ خَلَدَتْ فَطَالَ عَلَى الْمَطَالِ مِطَالُهَا
ومن هذه القصيدة قوله: (٥)

قَدْ سُرْمِدُوا فِيهَا وَلَا أَمَدٌ لَهَا كَمَقَالٍ مُرْجُئَةٍ بِهِ أَثْقَالُهَا
وفي مسألة الولاية والبراءة يقول: (٦)

عَدُوٌّ رِيٍّ عَدُوِّيٍّ وَالنَّبِيُّ وَمَنْ وَالْأَهْمَاءُ لِي وَكِيٌّ مُذْ زَكَا خُلْفَا
وفي موضع آخر قال: (٧)

وَسَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْخَوَرِ تَأْتِي لِكُلِّ وَلِيٍّ مَوَالٍ مُعَادٍ

(١) الديوان ٨٢/١

(٢) المصدر السابق ٨٥/١

(٣) المصدر نفسه ٣٠٩/١

(٤، ٥) نفسه ٣٩٧/١

(٦) نفسه ٨٧/١

(٧) نفسه ٣١٧/١

نظم في مسائل شرعية :

نظم الشاعر بعضاً من المسائل الشرعية في مقطوعات شعرية تتراوح بين البيتين وأربعة عشر بيتاً، فقد نظم في ما يسع جهله وما لا يسع؛ وهي مسائل من أصول الدين، وقد نظم في الأسئلة التي تنقسم خمسة أقسام، وشرح مسائل الوقوف الخمسة أي الوقوف عن الولاية أو البراءة، ونظم في المسائل التي يسع جهلها قبل وقتها فإذا حضر وقتها لم يسع جهلها إلا بالأداء. وفيما يجب بالتقاء الختانيين، ونظم في الستة الذين تكلموا في المهد، ونظم حديثاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكذلك نظم في عدد كتب الأنبياء، وفي مناجاة سيدنا موسى عليه السلام للباري جلا وعلا، وتدكدك الجبل وتفرقه ستة جبال، وفي الميراث بالأجناس، وفي عدد حروف القرآن العظيم وفي صفة العالم من الحيوان والهوام والجمادات والناس، وفي ما يمنع الوطء من النساء، وفي ما تجوز فيه شهادة الشهرة في الأحكام، ونظم مسائل من كتاب الضياء فيما يلزم الإنسان فيه القتل وما لا يلزم، وفي قسمة الغنيمة، ونظم في الصرف في تركيب الميمات في الآلات، كما نظم في بعض الموضوعات الطريفة التي تتصل بالصناعة، فنظم في صفة المداد وعمله. وسنأخذ نماذج من هذه الموضوعات للتمثيل عليها.

من ذلك ما قاله في الستة الذين تكلموا في المهد: (١)

تكلّم في مَهْدِ الرِّضَاعَةِ سِتَّةٌ	فلم يُسْتَمَعَ من غيرهم نُطقٌ مولودٍ
فيحيى وعيسى ثم شاهد يوسف	وخلن جريج ثم صاحب أخدودٍ
وما شطّة بنتاً لفرعون طفلها	تكلّم في مَهْدٍ بلفظٍ ومجويدٍ

وقال في مناجاة سيدنا موسى عليه السلام ربه: (٢)

لما أتى الزير موسى يسألُ الباري	كيما يراه بعين رؤية الصاري
تَقَسَّمَ الزيرُ أقساماً وقد قصدت	ليلي وبعض أحاطت دار أنصارٍ
أخذَ ورَضوى وورقان فقد نزلت	حول المدينة عنها ملح أبصارٍ
أما تَبِيرٌ وثورٌ والأشمُ جرى	أم القرى نزلت في خير أمصارٍ
والزيرُ أصْبَحَ روضاً مابه حَجَرٌ	لما تجلّى عليه الواصلُ الصاري
سبحانه من عزيزٍ لا يغيّره	عن حالٍ قدرته تكرارُ أعصارٍ

(١) الديوان ٢١/٢

(٢) المصدر السابق ٢٦/٢

وفي عدد حروف القرآن العظيم قال: (١)

وهاك عِدَادَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتَ مُنْعِنًا
وعشرون ألفاً لا سواها منيرة
عليه صلاة الله ما استنَّ بارق
بها ألف ألف ثم سبعة آلاف
أتت عن رسول الله سيد إيلان
يُداني العزالي أو همي كلُّ وكان

وقال في أسماء وفد الجن: (٢)

ألا إِنْ وَفَدَ الْجِنُّ لِلطُّهْرِ سَبْعَةَ
حنين مبین ساحر ثم ناصر
قدونك أسماهم إذا كنت تنهم
وإبنان والأزد المسمى وأحتم

وفيما يمنع وطء النساء قال: (٣)

وتُمنعُ كُلُّ مُوطَاةٍ بِسِتٍ
فإظهار وإيلان وحيض
ويحرم في ظهار أو محيض
وفي حج وصوم واعتكاف
فدونكها على حسب التفاني
وصوم ثم حج واعتكاف
وإيلان إن تك ذا عفان
فساد غير ما جرم مواف

وفي صفة المداد وعمله قال: (٤)

ألا إِنْ آتَاكَ الْمَدَادُ فَتَسْعَةً
فخذ من صحيح الماء ماتي درهم
ويجعل في طاس وفي الشمس ساعة
وخذ من دقيق العنصر عشرين درهما
من الزاج أوزاناً ثلاث دراهم
وخذ نصف مثقال من الملح أبيضاً
تزيد عليه نصف مثقال سكر
ومن ماء ریحان قليل يسط به
إليك فخذ معلماً ليس مبهماً
من الصمغ خذ وزناً ثلاثين درهما
لينحل ذاك الماء خلطاً منجماً
يدق بزاج فيه دقا منعماً
لثلا يصير اللون أغبر أقتما
ومن زعفران نصف مثقال بعدما
نباتا من المصري ودخان درهما
واسقه ماء الصمغ سقياً كمثلي ما

الفصل الرابع الخصائص الفنية

بناء القصيدة

نحدث نقادنا القدامى عن نهج القصيدة العربية منذ جاهليتها، فتحدثوا عن مطلع القصيدة وتخلص الشاعر إلى موضوعاته وعن الوحدة والخاتمة في القصيدة.

فقال حازم القرطاجني: «يجب أن تكون المبادئ جزلة حسنة المسموع والمفهوم، دالة على غرض الكلام، وجيزة تامة»^(١) وابن الأثير قال: (يجب أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من ذلك الكلام، إن كان فتحاً ففتحاً، وإن كان هناءً فهناءً، وإن كان عزاءً فعزاءً وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني)^(٢)

وقد علل ابن الأثير سبب اختيار المطالع وتحسينها فقال: (وإنما خصت الابتداءات بالاختيار؛ لأنها أول ما يطرُق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه)^(٣).

وقال ابن حجة عن حُسن التخلص: «هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاصاً رقيقاً دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد»^(٤).

أما فيما يخص وحدة القصيدة فقد قال الحائمي: (من حكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه أن يكون ممتزجا بما بعده من مدح أو ذم أو غيرهما، غير منفصل منه، فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أجزائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه وتعني معالم جماله)^(٥)

والاختتام قال عنه ابن رشيق: (وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع)^(٦)

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء ص ٣٠٥

(٢) المثل السائر ٢/٢٢٣

(٣) نفسه ٢/٢٢٤

(٤) خزائن الأدب ٢/٣٢٩

(٥) محمد بن الحسن الحائمي - حلية المحاضرة. وزارة الثقافة والإعلام - العراق - بغداد. دار الرشيد ١٩٧٩

ح ١/٢١٥

(٦) العمدة ١/٤١٥

وتأتي أهمية ذكر هذه النبذة الموجزة عن بناء القصيدة العربية لنرى مدى ما تحقّق في بناء القصيدة في شعر ابن اللواح. وسيتناول بحث بناء القصيدة عدة نقاط تتمثل في القصيدة ذات الغرض الواحد، والأخرى ذات الأغراض المتعددة، والتخلص، ووحدة القصيدة، والمقطوعات الشعرية، والنفس الشعري.

فمن قصائده ذات الغرض الواحد قصيدته التي وجهها إلى أهل نزوى بنصحهم بها ومطلعها: (١)

دعاها كيفما صنعت دعاها ولا تلمأ بها لهوى دعاها.

فقدم لها بقصيدة غزلية ثم افتخر بقومه بني خروص، وذكر بعضاً من أعلامهم البارزين، وإن فضل بني خروص لا ينكره إلا الجاهل؛ لذلك يوجه إليهم النصيحة لأنه من أهل النصح والإرشاد.

ففخره بفضل بني خروص مرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع القصيدة إذ لا يمكن أن يوجه النصيحة إلا رجل ذو فضل ومرتبطة بالفضل. وهذه القصيدة على طولها الذي بلغت فيه ثمانية وتسعين بيتاً لم تخرج عن موضوعها الرئيسي وهو النصيحة.

ومن قصائده ذات الغرض الواحد، رسالته التي وجهها إلى إباحية المغرب التي قدم لها بمقدمة وصفية، وصف فيها الرعد وحنينه، والبرق وإيماضه، والرياح وصفيها وتنقلاتها وما تحمله من ماء، ثم سقوط الغيث، وما ينتج عنه، ثم أخذ يصف أهل تلك الديار فبدأ بمدح أهل جزيرة جربة، ثم عرج إلى أهل جبل نفوسة وذكر أعلامهم وأماكن وجودهم، وأنهاها بمدح أهل ذلك القطر عامة، وإبلاغهم السلام من أصحاب الشاعر. وبلغ طولها مئة وعشرين بيتاً.

ومنها قصيدته التي قالها وهو بالروضة الشريفة مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم ومُلِحاً بتكرار يا رسول الله من أولها إلى آخرها مادحاً الرسول وطالباً منه الشفاعة لغفران ذنوبه وتقبل مدحته هذه. ومنها قصائد الحكمة والموعظة التي أفرد لها لهذا الموضوع.

ومن أمثلة القصائد متعددة الأغراض، قصيدته التي قدم لها بتوحيد الله سبحانه وتعالى واستغفره، ثم دعا واستسقى لأهل نزوى ومطلعها: (٢)

(١) الديوان ٢/ ٨٥

(٢) الديوان ١/ ٣٨٧

إليك صَبَّتْ أَفِيدْتُنَا وَلَاهَا أيا الله غيرك لا إلها

ثم بعد الاستسقاء وجه نصيحته لأهل نزوى قائلاً: (١)

أعبد نصائحاً من مستشار وقد حلب الليالي وامتطأها
أطيعوا الربُّ يا أربابَ نزوى أريضوا النفس لا تَرْكَبْ ثأها

وبلغت هذه القصيدة ثلاثة وثمانين بيتاً. وتتعدد أمثلة القصائد ذات الأغراض المتعددة عند ابن اللواح، ومنها قصيدته التي سماها «الريحانة الفائحة والموعظة الناصحة» وفيها دخل في موضوع النصيحة دون أن يقدم لها فجاء مطلعها: (٢)

هذي ديارهم وذوي أطلالها دَرَسَتْ فَأَيْنَ تَاهَلَتْ أَهَالها

فبعد خمسة أبيات وصف السحب والرعود والبروق والأمطار والرياح معتبراً بتلك الأنواء التي تعاقبت على تلك الديار (٣)

فتبدلت بعد الأنيس بوحشةٍ وتأجلتُ بعراصها آجالها

ثم أخذ يصور أصحاب تلك الديار، ووطأتهم وكرمهم، وضيقاتهم إلى أن نزلت بهم رب المنون فأفناهم الدهر بكلِّكله، وتحدث عن حالتهم بعد موتهم وما يؤولون إليه بعد ذلك إلى شقاء أم إلى سعادة مع وصف تلك الحالات، ثم انتقل إلى تمنيه حج بيت الحرام، وتعلقه بمكة وحجونها، ثم أخذ يصف بعض مناسك الحج والعمرة، إلى أن انتقل إلى زيارة قبر النبي الأمين، والدعاء حياله، ومدح الرسول بما هو له أهل وطلب الشفاعة والمغفرة إلى أن ختمها بهذين البيتين: (٤)

أضباهُ حبُّ محمد فَصَبَا لهُ وشَجَّتْهُ مَكَّةُ حَيْثُ طَافَ حِيَالها
لم تُصْبِهِ الدُّنْيَا وَلَا أَمْوَالها والغانياتُ فما أطْبَاه دَلَالها

أي خَتَمَ قصيدته بما ابتدأ بها من المعنى، وبلغ طول هذه القصيدة مئة وسبعة وأربعين بيتاً. ومن قصائده متعددة الأغراض، بعض رسائله الإخوانية التي تحمل أفكاراً متعددة، منها الرد على كتاب صاحبه، ومدح صاحب الكتاب بصفات متعددة، والرد على التهينة بقضاء الحج،

(١) نفسه ٣٩١/١

(٢) نفسه ٣٩٣/١

(٣) نفسه ٣٩٤/١

(٤) الديوان ٤٠١/١

ثم وصف مناسك الحج وتعدادها، وزيارة قبر الرسول (ص)، وهذه الأفكار تجلت في القصيدة التي بعثها لصديقه عبدالله بن عمر بن زياد البهلولي.

وفي ما يخص مقدمة القصيدة، نرى أنه يفتح قصائده بالموضوع الذي يريد أن يتحدث عنه، ففي إخوانياته مثلاً يظهر موضوع القصيدة من أول كلمة فيها، وفي العتاب يقول: (١)

عتاب على الظن لا يجلُّ كلحم أخ غائب يؤكلُ

وفي قصيدة أخرى يقول: (٢)

أمعاطبي فلأنتَ عينُ العاتب فيما عتبت على جميع معاطبي

فقد ازدحم البيت الأول بلفظة العتاب وهو الموضوع الذي يريد أن يتحدث عنه في قصيدته.

أما إذا كان موضوع قصيدته رداً على كتاب جاء، فتطالعنا لفظة كتاب في أول كلمة في البيت الأول من القصيدة كما في قوله: (٣)

كتابكم أزاح الهم عني فأحیی لي السرور بموت حزني

وفي مراثيه يلاحظ عليه الدقة في مطالع قصائده، فإذا كانت القصيدة عزاء، فيضع لفظة عزاء في أول كلمة في البيت الأول كما في قوله: (٤)

أعزيكمو في ميت لم يزلْ عندي له الحزنُ حياً وهو في ظلمة اللحدِ

وكما في قوله: (٥)

عزاء فما نفْسُ على الموت عزتِ ولا جاوزتْ عن حد وقتِ موْتِ

وإذا كانت القصيدة رثاء فهو دقيق في رثائه، فإذا كان الهالك قد توفي بأسباب غرق أو قتل، فمطلع القصيدة يحمل معنى أن الموت حتم مقدر على الإنسان، وإنما أسبابه متعددة، ففي رثائه للعلامة سليمان بن محمد بن سليمان، وقد مات غرقاً في البحر عند عودته من الحج، قال في مطلعها: (٦)

(١) الديوان (المخطوط) ٩٣

(٢) نفسه ٩٥

(٣) نفسه ٨١

(٤) الديوان ١٣١/٢

(٥) الديوان ١١٩/٢

(٦) نفسه ١٣٩/٢

لا يمنع الموت حجاب ولا زرد
ولا الجيوش التي ضاق الفضاء بها
ولا المواضي ولا العارية الجرّد
ولا أخ عن أخ أو عن أب ولد
وفي رثائه ولده أحمد، وقد قتله ابن عمه يقول: (١)

إن المنية في الورى أسباب
إن تسألوا كيف الشهيد فهذه
والعذب منها في المذاق عذاب
صفة الشهيد فأحمد الأواب

أما إذا كان الميت قد مات ميتة عادية، فيطالعنا معنى الرثاء في البيت الأول، إما حرائق
في القلب وإما توجعاً وإما رزماً، ففي رثائه ولده حمزة استهل قصيدته بقوله: (٢)

حرائق حزن في فؤادي تجدد
وواكف دمع في الحدود تخدد

وفي رثاء الشيخ جمعة بن أحمد الأزكوي استهله بقوله: (٣)

هذا هو الرزء أرزى الجن والبشرا
وأخسف النيرين الشمس والقمر

وفي قصائد النصح والمواعظ والحكم كذلك، تقرأ موضوع القصيدة من البيت الأول، ففي
إحدى نصائحه استهلها بقوله: (٤)

دع الخمول وخل المقت والكسلا
والتي النجير على الوجناء مرتحلا
واستهل نصيحة أخرى بقول: (٥)

ألا مبلغ عني بشير بن جمعة
نصيحة من لا زال لله ينصح
ومن مطالعه في حكمه قوله: (٦)

الصبر من كرم الأخلاق فاصطبر يا نفس لو كان طعم الصبر كالصبر

وفيما يخص حسن التخلص، فإن ابن اللواح يكون تخلصه حسناً حيناً، ومقتضياً أحياناً.
وقد تحقق حسن تخلصه في القصيدة التي بعثها إلى أهل المغرب، فعندما أراد أن ينتقل من
المقدمة قال: (٧)

وللنسيم شذى من فيح زهرتها
بنضاع نشر الخزامى من تحببتنا
كفارة قذفتها الختم تاجرها
وقد أذاع ثناها المحض ناشرها
بها فخص وإن حالت نوى قذف
ومهمة ضل كالمعتوه جابرها
حيًا بجريئة هم أعلام دعوتنا
وهم قواعدها أسًا عوامرها

(٤) نفسه ٧٩/٢

(٣) نفسه ١٥٥/٢

(٢) نفسه ١٣٧/٢

(١) نفسه ١٠٥/٢

(٧) الصحيفة ٣٩٩

(٦) الديوان ٣٢٩/١

(٥) نفسه ٦٥/٢

فانتقل انتقالاً تدريجياً لطيفاً دون نبوة ولا اقتحام على المعنى. ولكن اقتضاه على ما يبدو أكثر من براعة تخلصه ففي إحدى معاتباته بعد أن قدم لقصيدته بوصف الطبيعة لم يحسن الدخول في موضوع العتبي وإنما قال: (١)

وفاح نُشْرُ الخِزَامَى والعرارُ به
ريح القبول فعمُّ الأرض عابتهُ
أبا المعالي أما العتبي لها أمدٌ
إلى رضاك عسى أني أسابتهُ

فانتقل من الوصف إلى خطاب أبي المعالي دون ما مناسبة في الكلام. وفي قصيدته التي مدح بها المناذرة، وآل الرقيش من أهل إزكى، وقدم لها بمقدمة في وصف الطبيعة. قال عند الانتهاء من تلك المقدمة: (٢)

دارُ بها مقلتي قرَّتْ وطابَ بها
قلبي ولذُّ بها في النوم تَغماضي
وما خَشِيتُ من الأيام حادثةً
ولستُ فيها على الأعداء بالغازي
قومُ بها نعم قوم إن دعوتهم
لحل مشكلة أو بمرم إيقاض

فقد اقتحم إلى مدح أصحابه دون انسجام بين المعنى السابق والمعنى اللاحق. وفي قصيدته التي استسقى فيها لأهل نزوى واستغفر ودعا الله تعالى ونصح أهل نزوى ومجد الله سبحانه وتعالى وصلى على الرسول (ص) يقول: (٣)

وبعد فَقَدْ لَجأتُ إليك ربي
وبي عللُ فَهَبْ كرمًا دَوَاها

فكأنه يوجه رسالته وهي فعلاً رسالة استغفار من الذنوب ثم استسقاء. وانتقل إلى نصيحة أهل نزوى دون أن يحسن الربط بين وصف نزوى وأهلها وبين نصيحته لهم فقال: (٤)

قرارُ العلم والعلماءِ نزوى وأهلُ الزُّهدِ نادبها حواها
وسادتها الكرام بها تراها من الأدناس طاهرة نزاها
أعيد نصائحاً من مستشار وقد حَلَبَ الليالي وامتطاها

(١) الديوان ٧٦/٢ (٢) المخطوط ١٧١

(٣) الديوان ٣٨٨/١ (٤) نفسه ٣٩١/١

فهو قد اقتحم إلى معناه الجديد دون أن يمزج بينه وبين معناه السابق.

أما فيما يخص وحدة القصيدة وترباط أجزائها، ووحدة معانيها، فقد تحقق وجود وحدة البيت في عدد من قصائد أبي حمزة مثل قصائد الحكم والمواعظ وبعضاً من قصائد المراثي. فلو أخذنا مقطعاً من موعظة له قال فيها: (١)

عجيباً ما تهد به الرواسي	وتحمّله المفاصل والعروقُ
أنا الحمي الذي قد متُ حياً	أنا المأسور بالذنب الطليقُ
أنا السكران من صهبا ذنوب	وسكران الذنوب متى يفيقُ
يقولون الشهاب به فسوق	وعند الشيب ينفسق الفسوقُ
أراني والمشيب فقد علاني	أتوقُّ للهوى من لا يتوقُّ
وها أنا صرت عوداً أي عود	وأخلاقي وأطباعي حثوقُ

فهذه ستة أبيات متوالية، فلو حذفنا منها بيتاً أو بيتين أو ثلاثة أبيات متوالية أو متخالفة لما شعرنا بنبوة تخل بتماسك أفكار تلك المقطوعة.

أما قصيدته من حيث ترباط المعاني والأجزاء، فنجد كثيراً من قصائده مترابطة المعاني والأفكار، خصوصاً قصائده في ليلى الشريفة، فيقدم بمقدمة تقليدية غزلية يحن فيها إلى ليلى، وليلى عند ابن اللواح كما سبق وأن قلنا- هي مكة المكرمة.

كان يقول: (٢)

تذكرني ليلى وذو الحب لا ينسى	حبيباً به أضحي كئيباً كما أمسى
فلو أن لي نفسين نفساً جعلتها	ليلى ولي أبقيت مدخراً نفساً

وبعد المقدمة التقليدية ينتقل إلى ذكر الصعوبات التي يلاقيها في قطع طريقه إليها كأن

يقول: (٣)

سأرتكبُ البحرَ الخضمَّ وتارةً	لأركب في منهاجها الدعلبَ العنسا
وألبسُ أثوابَ الدباجي إلى الثرى	وأجعلُ برد الأرض لي بالضحي لبسا
وأجعل أكوار المهاري لدى الضحي	مقيلاً وبالإمساء أجعلها ممسى

وعندما يصل هو وأصحابه إلى تلك المقامات والأماكن يبذلون فرحهم، ويأخذون في عمل مناسكهم من إحرام وزيارة كأن يقول: (١)

وعندما شارقوا ليلى وقد نظروا تلك المنائر في حافاتهما السمتا
فهلل الركب تكبيراً ومن قرع بكوا وبهكي آخر الأفراح مشتقاً
وبعدما دخلوا باب السلام بها طافوا سبوعاً وما جفوا به عرقاً

وفي المدحة النبوية، تحدثنا عن المقدمة التقليدية لها، والصعوبات التي تكتنف الطريق للوصول إلى قبر الرسول (ص)، ثم مدح الرسول (ص)، وذكر سيرته العطرة (ص) وقد ذكرنا موضوعات المدحة النبوية، فهذه أفكار ومعان مترابطة متمازجة في قصيدة أبي حمزة، وهذا الترابط مطلب يتفق مع مذهب النقاد القدامى، فقد قال ابن طباطبا (يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً وفصاحة، وجزالة ألفاظ، ودقة معان وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً.. حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً) (٢)

والحديث عن المقطوعات يتصل ببناء القصيدة، فإن المقطوعات عند أبي حمزة لم تكثر وإنما كانت قليلة، وتمثلت أكثرها في نظم المسائل الشرعية، وفي بعض قصائد الحكم والنصائح. ونفسر قلة مقطوعات ابن اللوح لطول نفسه في قصائده، فقد بلغت أطول قصيدة في إخوانياته، مائة وعشرين بيتاً، وأطول قصيدة في نصائحه ومواعظه مائة وثلاثة وأربعين بيتاً.

أما مرثيته، فقد كانت طويلة كذلك فمرثيته في الشيخ أحمد بن مداد الناعبي بلغت تسعة وثمانين بيتاً، وفي رثاء القاضي صالح بن أبي الحسن بن عبد السلام بلغت أربعة وسبعين بيتاً. وفي رثاء الشيخ أحمد بن سليمان الكندي بلغت ثمانية وستين بيتاً.

وفي رثاء أحمد بن قاسم بن كهلان، بلغت أربعة وستين بيتاً. وهكذا نرى أن أبا حمزة طويل النفس في بعض قصائده، ولكنها لم تضعف في صفاتها الفنية عن القصائد القصار.

وأما الخاتمة فقد ذكرنا سابقاً ما قاله ابن رشيقي عن أهميتها، وشاعرنا يعيرها أهمية، فهو أحياناً إذا بدأ قصيدة أخوانية بالسلام، ختمها بالدعاء، وإذا بدأها بالدعاء ختمها بالسلام.

(١) نفسه ١/ ١٥٧

(٢) ابن طباطبا العلوي - عيار الشعر. دار الكتب العلمية ط ١٩٨٢ م بيروت. لبنان

فمثلاً رسالته لمشايخ ازكى بدأها بالدعاء لإزكى فقال: (١)

مني السلام عليهم والثناء شذا كالغيثِ فَتَقَّ أكماما بأرياض
على نزارٍ وأهل الفضل من يَمَنٍ وجمعة المرتضى والمرضى القاضي
وفي قصيدة أخرى بدأها بالسلام فقال: (٢)

سلام كأن المسك مِطَطْ لَطائمه أو الروض لما جيد فاحت كئامه
واختتمها بالدعاء لإزكى فقال: (٣)

سقى الغيثُ مغيوثاً وعذبي عذابها وشف على المسفاة يفتُرُ باسمه
واسدى بسدى حيث زكت جميعها من الماء ازكى وارجحتُ حيازمه
أما مرثيه فإما أن يختمها بحكمة كأن يقول: (٤)

فالموت قنطرة على ظهر الرجا عَبَرْتُ وعابرُها الأنامُ جميعُ
أو يختمها بالصلاة على رسول البرية فيقول: (٥)

وصلى الإله على أحمد صلاةً مُسَكَّةً الانتشاقِ
وأصحابه الغر والتابعين مدى ما حدا الضعن حادي النياقِ
أو يختمها بالدعاء على جدث الهالك بالسقيا فيقول: (٦)

على قبرك المكلول يا نسل أحمد تعاقبنَ أخلافُ السحاب الحوالكُ

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٠

(٢) نفسه ١٨٠

(٣) المصدر السابق ١٨١

(٤) الديوان ١٨٧/٢

(٥) نفسه ١٩٦/٢

(٦) نفسه ١١٠/٢

الأسلوب واللغة

«إذا كان الشعر روحاً يكمن في سليقة الشاعر حتى يتجلى قصيداً قائم البناء، فهذا الروح في الشعر العربي يبدأ عمله الأصيل مع لبنات البناء، قبل أن تنتظم منها أركان القصيد»^(١)

ولبنات البناء التي يقصدها العقاد هي الكلمات سواء أكانت مفردة أو مجتمعة، وهي التي يعول عليها في نقل الأفكار من المنشئ إلى المتلقي. (ومن المستحيل أن تنتقل التجربة من فكر إلى فكر بطريقة مباشرة، بل لابد من إصالتها بواسطة أداة تؤديها، وهذه الأداة في الأدب عبارة عن لمسات مفردة أو مجتمعة يُدلى بها الواحدة بعد الأخرى، ولا بد من تفهمها قطعة بعد قطعة)^(٢)

والكلمات هذه هي التي يتألف منها الكلام، وبالتالي يتكون النص من مجموع تلك الكلمات و «كل قول أو نص يتمتع بخواص أسلوبية محددة، على الباحث أن يقوم بتجميعها واختيار توزيعاتها من وجهات نظر مختلفة» وتمثل الخواص الأسلوبية للنصوص الأدبية إحدى هذه الوجهات، إذ تعد مستوى قائماً بذاته، قد يسمى لدى الباحثين اللغة الشعرية»^(٣).

والأسلوب عرفه القدماء والمحدثون من النقاد العرب وغيرهم، ففي تعريف نقادنا القدماء. «الأسلوب حياة تحصل على التأليفات المعنوية، والنظم حياة تحصل على التأليفات اللفظية»^(٤)

وعند نقادنا المحدثين «طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه»^(٥)

وعلم الأسلوب في النقد العربي «هو دراسة طريقة التعبير عن الفكر من خلال اللغة، والتعبير عن الفكر -يعني بدقة- كيفية استخدام المفردات والأبنية النحوية. وهو يشمل صياغة الفكر وعرضه»^(٦)

-
- (١) عباس محمود العقاد. اللغة الشاعرة. منشورات المكتبة العربية- صيدا- بيروت- لبنان ص ١١
- (٢) لال أبر كرومبي- قواعد النقد الأدبي- ترجمة: د. محمد عوض محمد. دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- العراق ط ٢ ١٩٨٦ ص ٥٢.
- (٣) صلاح فضل- علم الأسلوب- مجلة فصول. المجلد الخامس، العدد الأول ١٩٨٤ م ص ٤٩.
- (٤) حازم القرطاجني. منهاج البلغاء. دار الغرب الاسلامي. بيروت- لبنان (ط ٣) ١٩٨٦ ص ٣٦٤.
- (٥) أحمد الشايب. الأسلوب. مكتبة النهضة المصرية- القاهرة. ط ٢ ١٩٩٠ م ص ٤٤.
- (٦) صلاح فضل. علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة- مجلة فصول: المجلد الخامس، العدد الأول ١٩٨٤ م ص ٤٩.

وإذا أتينا لدراسة أسلوب ابن اللواح، فنبدأ بالمعجم الشعري عنده وتطالعنا أساسيات المعجم الشعري للنهج التقليدي، وهي المادة القديمة التي تشكل الأصول الرئيسية لهذا المعجم، فإن القارئ لا يكاد يُر على قصيدة في ديوان ابن اللواح حتى يستوقفه لفظ أو صيغة أو تركيب أو نبط من أنماط الصياغة، أو أي إشارة قريبة أو بعيدة تعود به إلى بيت شعر قديم، أو آية قرآنية، أو حديث شريف أو أي قول مأثور، أو ربما إلى مصطلح من علوم الأولين من فقه وفلك وبلاغة وعروض ونحو.

وهكذا يمتد المعجم الشعري لدى شاعرنا عبر عصور أدبية تاريخية. وقد تجسدت هذه الرؤية في طغيان النزعة البدوية على لغة شاعرنا متمثلة في تذكر الصحراء واستيحاء ما يرتبط بها من طبيعة حسية، مثل قوله: (١)

وَمِصْنُنُ أَفْرَاسٍ وَمَبْرَكُ هَجْمَةٍ وشَاوٍ دَوَادِيٍّ وَنَادٍ وَمَلْعَبٍ

وسنمثل على غرابة الألفاظ في حينه.

وتمثلت المادة التاريخية والسرد الإخباري التي اتسم بها شعر أبي حمزة في سيرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وذكر ما اقترن بهذه السيرة من قبائل كالأوس والخزرج وكتب بعض الأديان كالزبور، والتوراة والإنجيل والقرآن. وتمثل النظم التاريخي في رسالة شاعرنا لإباضية أهل المغرب.

ومما يرتبط بالمادة التاريخية؛ أسماء الأعلام التي حفل بها ديوان ابن اللواح، فمن القبائل القديمة طسم وجديس وجديلة وعبس وذبيان والأزد، ومن أعلام الطب؛ أرسطاطاليس وأفلاطون وهرمس وجالينوس، ومن أعلام الفقه الإمام جابر بن زيد والربيع بن حبيب وعبدالله بن إباض وعبدالله بن وهب الراسبي، ومن أعلام الشعر الأخطل والمتلمس وديك الجن وكعب وقيس ولقيط ابن يعمر الأيادي وغيرهم من قدماء الأعلام الذين حفل بهم ديوان شاعرنا مثل حاتم وقس وسحبان وياقل وليلى.

وهناك مصطلحات في علوم مختلفة أوردها ابن اللواح في شعره مثل العدم والوجود والأسماء والصفات والنفس والجسم والروح والبدن والقديم والسرمدى والمحدث، والحلال والحرام والتوحيد والسجود والركوع والتهليل والتكبير والإحرام والرمي والطواف والتقشير والخلق والوداع والرفع والنصب والخفض والأمر والنهي.

والنصح والإرشاد. والمفرد والجمع واللعن والسناد. والإقواء والإبطال والإكفاء والمؤسس والمطلق والخرم.

أما أسلوب أبي حمزة في شعره فقد اتسم بالوضوح والإبانة، وابتعد عن التكلف والتعقيد، واتسم بالبساطة والعذوبة أنا والبداءة والجزالة أنا آخر.

وكان ابن اللواح عذب الأسلوب رقيقاً في بعض مقدمات قصائده التقليدية من حيث ذكر الطلل ورسومه وريع المحبوبة وذكر مواضعها واصطناع أسماء المحبوبات، واتسم بأسلوب الحوار بينه وبين المحبوبات، فمن مقدماته الغزلية التي اتسمت بالعذوبة والرقّة قوله: (١)

كفى البدرُ حُسناً أنْ يُقالَ نَدِيدُها فيزهر ولكنْ عن مثالِ بنودِها
وحسبُ غُصونِ البانِ أنْ قوامِها يُقاسُ به مِياسُها وميودُها

فالألفاظ «البدر وحسناً ويزهو، غصون البان، وقوامها، ومياسها» ألفاظ رقيقة عذبة المخرج حسنة الماء إضافة إلى ما اتصفت به من وضوح وإبانة وسهولة وتناسقها مع معانيها.

أما إخوانياته في مدح أصحابه ورسائله الشعرية لهم. فأسلوبه فيها اتسم بالجزالة والفخامة والقوة في الألفاظ تارة، والعذوبة والرقّة والوضوح تارة أخرى.

فمن رسائله الشعرية التي اتسمت بالجزالة، والفخامة، والقوة: أبياته التالية التي وجهه لحاطر بن غريب. يقول فيها: (٢)

الله أكبرُ من شوقٍ بُلِيتُ به ولا سِوالَكَ بهذا الشوقِ أبَلاتا
أوجِبَتْ وجداً إلى وجدي فَهَتَكُهُ كالدمعِ هَتَكَ أَمَاقاً وأُجفانا
واحمرَّت الأرضُ في عَيني لِبُعْدِكُمْ كما يُحمرُّ مني الدَّمْعُ أَوْجانا
أقولُ والعَينُ شكْرى بالدموعِ لكم يا مُرْسِلَ الطُّرسِ قَدْ أَطْمَسَتْ إنسانا

فالألفاظ : وجداً، وهتك، وأماقاً، وشكرى، والطرس، فخمة جزلة قوية في معانيها، عبّر بها الشاعر عما يكنه من شوق وإخلاص لصديقه لا سيما السطر الأول من هذه الأبيات (الله أكبر من شوقٍ بُلِيتُ به) فإن له وقع القوة والفخامة.

(١) الديوان ١/ ٢٥٣

(٢) الديوان (المخطوط) ٧٠ إلى ٧١

ومن أمثلة العذوبة والرقّة في مدائحه أبياته التالية التي وجهها للسلطان محمد بن أبي العرب بن صلت في مدح أبيه: (١)

نِدُّ المَلُومِ مَكَارِماً وَمَحَامِداً	هِيَهَاتَ مِثْلَ أَبِيكَ مَلِكُ مُحَمَّدٍ
إِنْ الْقَوَافِي بِالمَدَائِحِ فَبِكُمْ	قَدَمَ الزَّمَانِ وَلَفْظُهَا يَتَجَدَّدُ
فَكَأَنَّهُنَّ قَلَابِداً مِنْ لُؤْلُؤٍ	وَعُلَاكُمُ دُونَ المُلُوكِ مُقْلَدُ

فألغظها رقيقة عذبة واضحة لا تحتاج إلى إبانة. واتسم أسلوبه الشعري في النصائح والحكم بالوضوح في المعاني والألفاظ والتراكيب إضافة إلى التركيز الشديد في المعاني. كما اتسم بالطابع التعليمي التربوي.

أما أسلوبه في الرثاء. فقد اتسم بصدق العاطفة ومرارة الفجيعة خصوصاً في رثائه الخاص. وفي رثائه للعلماء، كما اتسم تراكيبه في تأيين الميت بعمق التجربة، وتألق الخيال، ورواء الماء. كمثل الأبيات التالية في رثاء الشيخ عبدالله بن خلف الأغبري يقول: (٢)

أَخِي الجَفْنَاتِ الفَرَارِ الجَوَابِي	وَرَبُّ القُدُورِ الرُّوَاسِي السُّمَاقِ
تَرَى الوَفْدَ فَوَضَى عَلَى بَابِهِ	فَهَذَا يَمَانٍ وَهَذَا عِرَاقِي
شَكَا مَالَهُ الجَوْرَ مِنْهُ عَلَيْهِ	كَمَا مِنْهُ تَشْكُو كَمَاةُ التَّلَاقِي
تَحْنُ بِدَاهُ لِبَذَلِ الأَيْسَادِي	عَلَى سَائِلِيهِ حَنِينِ النِّيَاقِ

ومن أمثلة صدق العاطفة عند الشاعر في رثائه الخاص قوله في رثاء ولده أحمد: (٣)

وَلَدِي وَقُرَّةَ مَقْلَتِي كَبْدِي بِهَا	لَهَبٌ عَلَيْكَ وَمَا عَلَيْكَ أَهَابُ
فَلَأْتَتْ فِي كَلِّ الإِلَهِ وَمَنْعُهُ	وَعَلَيْكَ مِنْ شَيْءٍ تَخَافُ حِجَابُ

ومن أمثلة صدق العاطفة وعمق التجربة ومرارة الفجيعة وجزالة الألفاظ في رثائه للعلماء، قوله في رثاء القاضي صالح بن أبي الحسين بن عبد السلام: (٤)

أَبْكِي عَلَيْكَ وَحَقُّ لِي طَوْلُ البِكََا	نَفَذَتْ دُمُوعِي فَاسْتَقِلْ نَجِيعُ
أَبْكِي عَلَيْكَ وَكُلُّ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى	يَبْكِي عَلَيْكَ وَلَيْسَ عَنْكَ يَرُوعُ
أَبْكِي عَلَيْكَ وَقَدْ يُعْظَمُ لَوْعَتِي	فِيكَ البِكََا والحُزْنُ والتَفْجِيعُ

(١) الديوان (المخطوط) ١٤١ (٢) الديوان ٢/ ١٩٤

(٤) نفسه ٢/ ١٧٧ - ١٧٨

(٣) ٢/ ١٠٦

أبكي عليك وقد بكتُ عندي العُلا وجماعةً وجمائعٌ وجموعٌ
لو كان يَعْلَمُ غاسلوكَ بلوغتي تركوكَ لي عِوضَ المِياهِ دُمُوعٌ
بل ليتَ قبركَ كان في عيني وفي أخشايَ واللحدُ المِصانُ ضلُوعٌ
روحي فِداك أقولُ كنتَ وما دَرْتُ رُوحِي بأنَّكَ قِبلُها مَبْخُوعٌ

وقد اتسم أسلوبه في الوصف بغرابة الألفاظ وحوشيتها، فهو يختار في وصفه للصحراء.. وما بها من نباتات وهوام، الألفاظ الغريبة التي لا تكاد تستعمل، وكذلك في وصفه للرعْد والبرق والشهب. وفي وصفه لبعض النباتات يقول: (١)

نَشْرُ التحية نَشْرُ الروضة الألفِ جادَتْ عليها غواذي الدَلجِ الوُطْفِ
من رائح غَدَقٍ أو باكِرٍ دَقِيقِ مُهَجَّرٌ صَلِقٍ مَسْنَحْفَرٍ وكَفِ
ففتَق الغيثُ أزهارَ النبات بها ففاح منها أريج القُضِّ والطُهْفِ
تَحَمَّلَتْها رياضُ الشوقِ طاوِيةً سَرُّ الكآبة من قلب امرئٍ دَنَفِ
صَبٌّ إذا هَتَفَتْ ورقاءُ شاجِيةً جافى السُّلُو لِرَجْعِ الساجعِ الهَتَفِ
وإن هَفا البرقُ قر القلبُ حين هَفا إِيماضه في دِياجي الكافرِ السَدَفِ

فالألفاظ (الدلج- الوطف- صلق- مسنحفر- القض- الطهف- الكافر) ألفاظ غريبة حوشية مهجورة الإستعمال، لا يكاد يفهم معناها، حتى المتخصص، فما بالك بالقارئ المشفق، ثم إن استعماله لفظتي (القض، والطهف)، أو هُنا أنهم من النباتات العطرية بقوله (ففاح منها أريج القُض والطهف)، فالقضاض: شجر من الحمض رقيق ضعيف أصفر اللون (٢) والطهف عشب ضعيف رقاق لا ورق له. ولم يذكر صاحب التاج أنهم من العطريات فما اختيار شاعرنا لهذه النباتات ألا بحكم ولعه بالألفاظ الغريبة، وكذلك اختياره لفظة الكافر لليل أو للسحاب بحكم ولعه بالألفاظ الحوشية.

من هنا يتضح لنا أسلوب ابن اللواح أنه متباين في أغراضه الشعرية، وهو مطلب يتفق مع نقادنا القدامى مثل القاضي الجرجاني فهو يرى (أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطانك ولا هزلك بمنزلة جدك ولا تعريضك مثل تصريحك بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت وتفخم إذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرف مواقعه). (٣)

(١) الديوان (المخطوط) ١٦١ (٢) ينظر تفصيله في التاج في مادة (قضض، فقصص)
(٣) علي بن عبد العزيز الجرجاني- الوساطة- دار احياء الكتب العربية. (١٩٨٥) ص ٢٢ وينظر احمد الشايب- (الأسلوب من ص ٦٢-٩٢)

أما عن لغته الشعرية، فإن أسلوبه يتراوح بين المباشرة الخطابية والدلالات الإيحائية، فأحياناً نجده يتعمق في الفكرة ويختار الألفاظ التخيلية الموحية، التي تحرك المشاعر وتدغدغ الأحاسيس، وذلك في مثل قوله: (١)

رَجَاءُ طُرُوسٍ تَقْتَضِيهَا بِوَصْلِكُمْ	شَخَصْنَا بِأَبْصَارٍ إِلَى نَحْوِ رُسُلِكُمْ
وَإِخْلَاصِكُمْ فِينَا وَمِنْ حُسْنِ فَعْلِكُمْ	عَلَى مَا عَهْدُنَا مِنْ مَرِيرَةٍ حُبِّكُمْ
فَمَا نَظَرْتُ عَيْنِي لَكُمْ أَثَرَ السَّطَرِ	فَسَرَّخْتُ أَلْفَاظِي حَفَاطًا لِأَجْلِكُمْ
وقوله:	

أَصَافِحُهُ عَنْ نَاطِرِي بِأَنَامِلِ	إِذَا لَاحَ لِي بَرْقٌ بِجَرَعَا سَمَائِلِ
وَقَدْ قُلْتُ لَمَّا أَنْ أَهَاجُ بِلَا بَلِي	وَقَدْ اصْطَلَبَهُ كَالنِّيَاقِ الشَّوَاكِلِ
فَهَبْنِي صَبْرًا إِنِّي خَافَنِي صَبْرِي	كَفَى بِكَ يَا بَرْقُ مَقَالَ الْعَوَاذِلِ
وَتَغَرَّبَ إِلَّا فِي سَمَاءِ ضَمَائِرِي	تَبَيَّتْ نَجْمُومُ اللَّيْلِ تَسْرِي لِنَاطِرِي
عَلَى رَأْسٍ فَنُ مَوْرِقِ الْقُصْنِ نَاطِرِ	وَإِنْ سَمِعْتُ أَذْنَائِي تَرْجِيْعَ طَائِرِ
تَرَدَّدُ حَتَّى إِنَّهَا شَقَقَتْ صَدْرِي	أَجُودُ بِنَفْسٍ لَمْ تَزَلْ فِي خَنَاجِرِي

وأحياناً ما تكون لغته جافة خالية من الإيحاء والتخييل. والقطعة التالية ربما تبين صدق ما نقول. (٢)

فَقَدْ فَازَ مَنْ لِلصَّالِحَاتِ عَجُولُ	فَقُمْ يَا أَخِي فِي أَهْبَةِ الزَّادِ عَاجِلُ
فَكَمْ خَابَ مَنْحَوْسُ الْجُدُودِ غَفُولُ	وَلَا تَكُ عَنْ دَاعِيِ النِّيَّةِ غَافِلُ
وَأَتْرَابُنَا شَبَابُهَا وَكَهْلُ	فَأَبَاؤُنَا مَاتَتْ وَأَبْنَاؤُنَا مَعَالُ
وَلَيْسَ لَنَا بَعْدَ الْمَمَاتِ سَبِيلُ	سَبِيلُ النِّجَا مَا عَشْتُ لِلْخَيْرِ وَاضِحُ
وفيها يقول:-	

وَلَا أَحَدٌ بَعْدَ الصَّرَامِ وَصُولُ	وَتَتَرَكُ دَارًا لَا زِمَارَةَ بَيْتِنَا
لِفَصْلِ قَضَاءِ الْحَشْرِ وَهُوَ مَهُولُ	إِلَى النِّفْخَةِ الْآخَرِ فَيَجْمَعُنَا بِهَا
وَمِنْ خَاسِرٍ لِلنَّارِ سَيِّقُ يَوْوُلُ	فَمَنْ فَائِزٍ مِنَّا فَادْخُلْ جَنَّةَ

(١) الديوان (المخطوط) ٥٤

(٢) الديوان (المخطوط) ١٥ ، ١٦

إن ما يمكن أن يقال عن لغة هذه القطعة، هو أنها لغة تقريرية إنشائية، وموظفة توظيفاً معجبياً، فكل لفظة، وكل عبارة تؤدي المعنى القاموسي لها لاغير.

ومن هنا كانت أقرب إلى الكلام العادي. الذي يقصد به النص والإرشاد منها إلى الإثارة والإمتاع، ولا نحس فيها بشاعر يحرك العواطف ويدغدغ الأحاسيس، والذي يميز هذا الكلام عن النثر، إنما هو الوزن والقافية، فلولا النغمة الموسيقية التي تشيع في الأبيات عند قراءتها، لما اعتقدنا أننا أمام قطعة شعرية، إذ أن أسلوبها أسلوب خطابي مباشر بشيع فيه أسلوب الخطبة من أمر ونهي وتقرير وتحذير، مما يجعلها جافة خالية من كل إحياء، وإذا انعدم الإحياء والتصوير من القصيدة فقدت روح الشعر وصارت نظماً. إلا أننا نجد ناقدًا قديماً يقول أن «المراوحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية أعود براحة النفس، وأعون على تحصيل الغرض المقصود...»، والشعر المأروح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه^(١)

كما نجد في شعر أبي حمزة الألفاظ والمعاني النثرية التي تحط من قدر شعره وارتقائه، فالأبيات التالية هي أقرب إلى النثر منها إلى الشعر لما تحويه من ألفاظ ومعاني نثرية يقول: (٢)

أحباب قلبي كيف أنتم ودهركم	عسى في سرور بالسعادة شامل
وهل وصلت سفاركم بعد بغيرهم	إلى دارهم ذات المقر سمائل
وعلمهم في صحة وسلامة	واقبال جد بالغنائم قابل
فلا رثق الباري عليهم معاشاً	ولا كدر الباري لكم شرباً ناهل
ولا برحت مني عليكم محبة	بكل عروس مائل في الغلال

إلى أن قال:

وقرة عيني بلغوه محبتي	وخصوا علينا محبات ناسل
وأبناءكم طراً وحتى عبيدكم	وجيرانكم أو من ضيوف وواغل

ولا يخلو شعر أبي حمزة من أسلوب الحوار والمسالة، فبعض أبياته اتسمت بهذا الأسلوب كالبيتين التاليين: (٣)

قالوا تراك غدوت أهدب شايباً	قلتُ الفراق لمن أحب أشابني
قالوا سواك هواك قبلك صابهم	هبهاً فوق مصاب ذاك أصابني

(١) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء ص ٣٦١.

(٢) الديوان (المخطوط) ٣٠ (٣) الديوان ١٧٧/١

ومن هذا الأسلوب الأبيات التالية: (١)

أقولُ لصحبي أئمنوا بي على الحمى وعُوجوا على وادي العقيق بنا صُحبي
يقولون لي ليلى الشريفة بينها وبينك ما بين الركاب على الغبي
وترجو لها وصلًا ومن دون وصلها تنائفُ سهبٍ قد أضفنَ إلى سهبٍ
فقلتُ لهم إني إلى الله راغبٌ وأسألهُ وصلًا إلى تلکمُ الحجب

ومن أسلوبه أن يلزم نفسه ما لا يلزم، فينتقي قوافي صعبة المركب، بل إنه يلزم نفسه في بعض الأحيان تصرع قصيدة بأكملها، كما فعل في القصيدة الأولى من ديوانه التي جعلها مصرعة على حرف الهمزة. نختار منها الأبيات التالية: (٢)

سعادتي لَدَيْكَ أوشقائي إني من ديني ومن بنائي
تُبْتُ فهُبَّنِي العَفْوُ في اللَّقْـاءِ واقْبَلْ إلهي المحض من ثنائي
واجْعَلْ رضاكَ في غَدِ جزائي صلْ على النبيِّ بالمسـاءِ
وبالصَّبـاحِ أنتَ يا مولائي أزكى الصلـاة ثم والهناء

وهذه القصيدة واضحة التكلف، فالقافية تضطره أحياناً أن يأتي بألفاظ حشوية يقيم بها القافية، أو يهمز مالم يكن مهموزاً كهمز لفظه (مولاي) فقال (مولائي)، كزيادة لفظه الهناء في نفس البيت الأخير بما لا يتفق مع سياق المعنى، إذ ينبغي أن يكون المعنى، أزكى الصلاة والسلام. فجاء بالهناء لتكملة القافية.

ومن القوافي الصعبة التي استعملها في ديوانه قافية الزاى والشين والشاء والذال مما تضطره إلى اللجوء إلى كلمات غريبة جداً لم أجد لها معنى في المعجم. وركب قافية الياء المشددة، نأخذ هذين البيتين: (٣)

سلوتُ بمزورتِي لك أهلٌ ودِّي ولكن بالوداع أنا الشـجـي
ولولا عـيـلةٌ وعليَّ عـولٌ لهمُ عندي بهم همٌ نجـي

والشاعر في بعض مقطوعاته يختار حروفاً منسجمة ومتوائمة مع الموضوع والفكرة التي يود الحديث عنها: كالأبيات التالية: (٤)

(١) نفسه ١٠٣/١

(٢) نفسه ٧٦/١

(٣) الديوان ١٠٧/٢

(٤) نفسه ٢٦٥/١

ألا فنانظروني بعين الصفا فهيهاث مثلي خليل صفا
إذا ما الخليل أضاع الخليل وعاصاه في الحال ما أنصفا
رأيت قلوب رجالات الزمان صارت صلاباً لصم الصفا
فمن لي بخل أراه إذا ما صفت الوداد له لي صفا
أبيت أصافي سوى من صفا وأنصف إلا فتى منصفا

فالفكرة الرئيسية في هذه المقطوعة هي طلب المصافاة وفعلها (صفا) وحروفه صاد وفاء وألف.

والشاعر أكثر في هذه الأبيات من حروف الصاد والفاء والألف وجعلها تكتظ بها.

ففي البيت الأول، تكررت لفظة (الصفا) مرتين، وفي الثاني جاء حرف الصاد والألف والفاء في (عاصاه وأنصفا)، وفي الثالث ازدحم الشطر الثاني بالصادات، ولم تخل منه لفظة الصفا، وفي الرابع جاء الفعل صفا مرتين، والخامس اكتظت بحروف الصاد والفاء والألف في الألفاظ التالية (أصافي، صفا، أنصف، منصفا) فالملوحي^(١) ركز على الحروف التي تشتق منها الفكرة الرئيسية لتعطي المقطوعة توازماً وانسجاماً وجرساً.

والمثال الثاني على حسن اختيار الشاعر حروفاً متناسباً والموضوع الرئيسي للقصيدة، اختياره حرف العين قافية لموضوع الوداع وتكرار حروف الدال والعين والألف في القصيدة التالية: (١)

نودعكم أحببتنا وداعا قصارى ستة لكم أرتجاعا
نودعكم وفي الأحشاء منا أجيح الشوق يلتذع التذاعا
نودعكم وفي الوجنات هام أبي الدمع منحدرأ تداعى
نراعيكم على قرب وتغد ومثلكم أحق بأن يراعى
أراع الله قلباً غير راع حفاظكم ولا بهم أراعاً
نودعكم أحببتنا ونرجو على إثر الوداع نرى اجتماعاً

فتكرير لفظ (نودعكم) تنويه بالوداع، وإشادة بذكره وتفخيم الوداع في قلوب المودعين والمودعين وفي أسماعهم^(٢)، لإحداث أثر التعاطف بينهما. وإنما فعل ابن غسان ذلك التكرير تأكيداً له وتشبيهاً من أمره وللدلالة على العناية بذلك التوديع^(٣).

(١) الديوان ١/ ١٤٦

(٢) ابن رشيق القيرواني - العملة. دار المعرفة - بيروت. لبنان. ط الأولى ١٩٨٨ م ٢/ ٦٨٤

(٣) ضياء الدين بن الأثير. المثل السائر. المكتبة المصرية. صيدا. بيروت - لبنان ١٩٩٠ م ٢/ ١٨٤

وتزاحم العينات في القصيدة يعطيها جرساً موسيقياً كما يوحى بصدق عاطفة هذا التوديع من قبل المسافر. وتعاطف المقيم مع المسافر تعاطفاً يجعله متعلقاً به حتى أوبته سيما والشاعر يقول: (١)

سنذكركم بمكة في المساعي فتوسعكم مواقيتاً وساعاً
ونطلب ربنا لكم رضاً ونطلب أحمداً لكم الشفاعة
ونطلب منكم الدعوات كيما لها في القصد ننتفع انتفاعاً

مما يجعل المقيم راجياً وطامعاً في أن يذكر في تلك الأماكن المقدسة. والتكرار كأنه ضياء يسلطه أبو حمزة على وجوه المعاني التي نسقت في الأبيات؛ لتبدو أكثر وضوحاً. قال ابن قتيبة «إن القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذهبهم، ومن مذهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام» (٢)

وقال ابن فارس: «ومن سنن العرب التكرير والإعادة. إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر» (٣) وقد كثر التكرار في ديوان ابن اللواح بين أبيات بأكملها أو بأشطرها، وبين معان وألفاظ وحروف؛ لذلك سأضرب أمثلة على الأنماط التالية للتكرار وهي:

١- تكرار أبيات كاملة

٢- تكرار أشطر كاملة

٣- تكرار معاني

٤- تكرار ألفاظ

٥- تكرار حروف

١- كرر أبو حمزة أبيات كاملة مثل قوله: (٤)

تَنَاشِدُوا شِعْرَ لَيْلَى كُلَّمَا انْتَبَهَوْا مَا كَانَ فِي الشَّعْرِ مَخْرُوماً وَمَفْرُوقاً

(١) الديوان ١/ ١٤٦

(٢) ابن قتيبة الدينوري. تأويل مشكل القرآن. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. مصر. (ب.ت) ص ١٨٢-١٨٣

(٣) أحمد بن فارس. الصحاح: المكتبة السلفية بالقاهرة. مطبعة المؤيد ١٩١٠م ص ١٧٧

(٤) الديوان ١/ ١٦٦

(٥) نفسه ١/ ١٥٦

فكرر هذا البيت بهذه الصيغة فقال: (١)

تناشدوا الشعرَ في ليلَى لمجلِسِها ما كان في الشعرِ مَثْبُوضاً وَمُنْطَلِقاً

وكرر البيتين التاليين فقال: (٢)

بالمشعر الصَّبَحُ هم صَلُّوا وقد قَصَدُوا رَمَى الجمارَ قُبَيْلَ الدَّمِ ما رِيقاً

وقال في تكراره بجميع ألفاظه تقريباً: (٣)

بالمشعر الصَّبَحُ هم صَلُّوا وقد قَصَدُوا رَمَى الجمارَ قُبَيْلَ الشعرِ ما حُلِقاً

(٢) كَرَّرَ أَبُو حَمْزَةَ أَشْطَرًا فِي بَعْضِ قِصَائِهِ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: (٤)

إِذَا لَاحَ لِي بَرَقَ بِجَرَعَا سَمَائِلِ أَصَافِحُهُ عَنِ نَاطِرِي بِأَنَامِلِي

قال في تكرار الشطر الأول: (٥)

إِذَا لَاحَ لِي بَرَقَ بِجَرَعَا سَمَائِلِ يَظَلُّ لَهُ طَرْفِي وَقَلْبِي بِبَرَقِ

وكرر الشطر الأول في البيتين التاليين فقال: (٦)

أَخَاطِرُ يَا ابْنَ سَيِّدِنَا غَرِيبِ وَأَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْ أُمَّ الصَّفُوفَا

وقال في البيت الآخر: (٧)

أَخَاطِرُ يَا ابْنَ سَيِّدِنَا غَرِيبِ أَبَيَّنُّ عَنْ وَصَالِي وَاغْتِرَابِ

(٣) تَكَرَّرَ الْمَعَانِي: - مِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي كَرَّرَ مَعَانِيهَا قَوْلُهُ مُخَاطَباً لَيْلَى الشَّرِيفَةَ: (٨)

رَكِبْتُ إِلَيْكَ فِي الْبَحْرِ الْجَوَارِي وَفِي الْبِيدَاءِ أَكْوَارِ النَّبَاقِ

وكرر الشطر الأول في البيت التالي فقال: (٩)

رَكِبْتُ إِلَيْكَ فِي الْبَحْرِ الْجَوَارِي وَجُزْتُ مَهَالِكاً فِيهَا قُدُوفُ

(١) نفسه ١٥٦/١

(٢) نفسه ١٦٧/١ (٣) الصحيفة ٣٧٧/٢

(٤) الديوان (المخطوط) ٥٤

(٥) نفسه ٥٢

(٦) الديوان (المخطوط) ٦٣

(٧) نفسه ٥٦

(٨) الديوان ١٥٣/١

(٩) نفسه ١٤٩/١

وكرر هذا المعنى بقوله: (١)

سأرتكبُ البحر الخضم وتارة لأركبُ في منهاجها الدُعْلَبَ العنسا

ومن أمثلة التكرار عند أبي حمزة قوله: (٢)

أفدي الكتاب الذي وافى وكاتبه مما يُحاذرُ من سوءٍ ومن بَخَعٍ

فقال في تكرار معنى الشطر الأول: (٣)

فدى لك نفسي يا كتابُ وكاتبُ وإن غَصَّتْ الأيامُ فالحب طائع

ومن أمثلة تكراره للمعاني قوله: (٤)

وجانبُ وجاوزُ لصوص العقولِ فإياك إياك لا تنخدعُ

كرر معنى الشطر الأول فقال: (٥)

وحاذرُ لصوص العقلِ جُهدك إنهم كَوَّعَ رياح الجِنِّ في الجِسْمِ تركدُ

(٤) تكرار الألفاظ: - يكرر أبو حمزة ألفاظاً معينة في شعره فمن ذلك قوله: (٦)

وقيلَ جميلُ الصبرِ بالحرِّ فائق وما عنكم الصبر الجميلُ جميلُ

فكرر لفظة (جميل) ثلاث مرات في البيت، وكرر لفظة (الصبر) مرتين ومنه

قوله أيضاً: (٧)

فأبى الذي في الله ناصحُ وما قاله لله فهو فعولُ

كرر لفظ الجلالة ثلاث مرات في البيت.

ومن هذا النوع من التكرار قوله: (٨)

شفاي أن تصلوا إن رُمْتُمْ فصلوا أولا فكتبكم إن تُشغَلوا فصلوا

كرر لفظة صَلُّوا ثلاث مرات.

ويكثر في شعر أبي حمزة تكرار الألفاظ فمن ذلك قوله: (٩)

(١) نفسه ١/ ١٣٥ (٢) الديوان (المخطوط) ٢٣

(٣) نفسه ٣٤ (٤) نفسه ١٣٥

(٥) نفسه ٣٧ (٦) نفسه ١٤

(٧) الديوان (المخطوط) ١٥

(٨) نفسه ١٨

(٩) الديوان ١/ ١٦٣

وقد أملتني بالرضى منكم الرجوى	أمولاي إني مستجير بقرىكم
بحسن قوافيك لم تعرف إلا قوا	أمولاي إني مستميع نوالكم
وهذي يدي من بحركم تمتع الدلوى	أمولاي إني واقف عند بابكم
لجانٍ وراجٍ قد قضى عمره سها	أمولاي غفرانا وسترا ونائلا
وطوى لجانٍ رام قريكم مثنوى	أمولاي إني قد ثويت بقرىكم

(٥) تكرار الحروف: ويكرر الشاعر في بعض أبياته بعض الضمائر والحروف من ذلك

قوله: (١)

وكم هاج قبلي العاشق الداله الحب	إلى كم أعاني فيكم لوعة الأسى
فهل عندكم لما ابتليت بكم طب	وبي علة منكم وفيكم إليكم

فقد كرر أبو حمزة (كم) في البيت الأول ثلاث مرات وكررها في البيت الثاني خمس مرات.

ومن ذلك التكرار تكراره (هم) كقوله: (٢)

ومثّلتني لهم لا غيرهم لحت	قلبي يريع بهم ما ريع دونهم
في كل نادٍ لسان الحمد قد شرحت	لمجدهم والشنا فيهم بهم نطقت

فهذه ثلاثة أبيات متوالية كرر الشاعر فيها الضمير (هم) تسع مرات

الاقتباس : يبدو أثر الثقافة واضحاً في شعر أبي حمزة، فيكثر في شعره الاقتباس من القرآن الكريم.

فمن اقتباساته من القرآن الكريم قوله حكاية عن المؤمن يوم القيامة: (١)

يُزَفُّ إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَعَرْضُ الْبِلَادِ

مشيراً إلى قوله تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» (٢)

ومن اقتباساته أيضاً قوله: (٣)

وَفِيهَا الزَّرَابِيُّ مَبْثُوثٌ وَفِيهَا الْحَرِيرُ بِطِيبِ الْمِهَادِ

اقتبسها من قوله تعالى فيما أعده للمؤمنين في الجنة (وزرابي مَبْثُوثٌ) (٤)

ومن اقتباساته من القرآن الكريم كذلك قوله: (٥)

وَسِيقَ إِلَى النَّارِ سَوْقُ الْجَنِيبِ فَيَا شَرَّهٗ مِنْ مُسَاقٍ مَقَادِ

مشيراً إلى قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا... الخ) (٦)

التضمين :

يبدو تأثر أبي حمزة بمن سبقه من الشعراء القدامى واضحاً، وذلك في تضمينه معاني من أشعارهم، وأحياناً أنصاف أبيات، وأولئك الشعراء أمثال طرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى والإمام الشافعي وأبي الطيب المتنبي وغيرهم، فمن تضميناته قوله: (٧)

وَمَنْ لَمْ يَزِنْ عَقْلَهُ نَطْقُهُ أَخْفَ لَدَى النَّاسِ مِيزَانُهُ

ضمنه بيت زهير بن أبي سلمى الذي قال فيه: (٨)

لِسَانُ الْفَتَى نَصْفٌ وَنَصْفُ فَوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمُ

كما تأثر بطرفة بن العبد، فما أحسب بيت ابن اللوح التالي: (٩)

(١) الديوان ٣١٧/١	(٢) آل عمران آية (٣٣)
(٣) الديوان ٣١٧/١	(٤) الفاشية آية (١٦)
(٥) الديوان ٣١٨/١	(٦) الزمر آية (٧١)
(٧) الديوان ٤٠٥/١	(٨) ديوان زهير. دار صادر ص ٨٩
(٩) الديوان ٣٦٧/١	

وأعلم أن الموتَ ضربةٌ لازمٌ علامٌ وما منّا تُقامُ اللوازمُ

إلا تضميناً لمعنى بيت طرفة التالي^(١)

لعمرك إن الموتَ ما أخطأ الفتى لكّا لطولِ المرخى وثنياءُ باليد

وكذلك بيت ابن اللواح التالي: ^(٢)

أنا الرجلُ الضربُ المهذبُ قلبه وأنى امرؤ مثلي يُقال له الضربُ

ضمن فيه شيئاً من معنى بيت طرفة التالي: ^(٣)

أنا الرجلُ الضربُ الذي تعرفونه خِشاشُ كِراسِ الحبةِ المتوقّدِ

وكذلك تأثر ابن اللواح بشعر الامام الشافعي فبيت ابن اللواح التالي: ^(٤)

ترجو النجاة ولم تسلك لها طُرُقاً لا تنزلُ الشمسُ في برجٍ من الحمل

شطره الأول أخذه كله بعباراته من بيت الإمام الشافعي التالي: ^(٥)

تُبغّي النجاة ولم تسلك طريقتها إن السفينة لا تجري على اليبسِ

وتأثر كذلك أبو حمزة بأبي الطيب المتنبي، فضمن شعره كثيراً من أشعار أبي الطيب، فما

بيت ابن اللواح التالي: ^(٦)

فلا يَسْلَمُ المَجْدُ الأثيلُ من الأذى إذا لم تُرَقْ من حولِ أقطارهِ الدِّمَا

إلا سلخ لبيت أبي الطيب التالي: ^(٧)

لا يَسْلَمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتّى يراقَ على جوانبهِ الدِّمُ

وبيت أبي حمزة التالي: ^(٨)

خفيتُ عن الرائي فلولاً مخاطبي كائنٍ لمامٍ أو خيالٍ لمامي

تضمن لمعنى بيت أبي الطيب التالي: ^(٩)

كفى بجسمي نحولاً أنني بشرٌ لولا مخاطبتي إياك لم تَرَنَّ

(١) ديوان طرفة بن العبد. طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥ ص ٣٧

(٢) الديوان ٢٠٢/١ (٣) ديوان طرفة بن العبد ص ٤٢

(٤) الديوان ٣٣٠/١ (٥) ديوان محمد بن إدريس الشافعي ص ١٠٩

(٦) الديوان (المخطوط) ١٢٠ (٧) ديوان أبي الطيب المتنبي ٢٥٢/٤

(٨) الديوان (المخطوط) ٧٨ (٩) ديوان المتنبي ٣٠١/٤

وضمن ابن اللواح البيتين التاليين من شعر ابن الفارض قال ابن اللواح: (١)

إذا ذُكِرْتُ ليلي فكلّي السُنُّ وهُنَّ لها والذكرُ باقي موادحُ
وإن حدثوا عنها فكلي مسمعُ إلى طيب ذكرها الشهي مواتحُ

وقال ابن الفارض: (٢)

فإن حدثوا عنها فكلي مسمعُ وكلّي إن حدثتهم السُنُّ تتلو

ومن تضمينه قوله متأثراً ببشار بن برد: (٣)

إذا كنت تبغي في الزمان صديقاً فكن غاضياً عما تراه طروقاً
فمن لك بالخل الذي لست عاتباً عليه وتلقاه عليك شفيقاً

فهذان البيتان تضميناً لأبيات بشار بن برد التالية: (٤)

إذا كنت في كلِّ الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تُعَاتِبُهُ
وإن أنت لم تشرب مَراراً على القذى ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربُهُ

المآخذ اللغوية والضرورات الشعرية :

لقد وقع أبو حمزة في بعض المآخذ اللغوية مثل لغة (أكلوني البراغيث) التي انتشرت في ديوانه، كما أخذت عليه مآخذ في أحكام الفعل المضارع من حيث جزمه ونصبه ورفع، وتمثلت بعض المآخذ الأخرى في قصر المدود، وزم المقصور، وحذف ياء المنقوص، المنصوب. وفشل على هذه المآخذ بالتالي:

لغة البراغيث :

يجعل الشاعر للفعل فاعلين، مثال ذلك قوله:

إذا ما طال عمرُ المرءِ فيها قَصُرُ(نَ) لَظولها (الهِمُّ) الكبارُ(٥)

بل في بيت واحد يتكرر ذلك مرتين فيقول: (٦)

لقد أحرقتَ قلبي (موتقاتُ) ومنها سَل(نَ) (أدمعي) الغزارُ

(١) الديوان ١١٦/١ (٢) ديوان ابن الفارض ص ١٣٨

(٣) الديوان ٣٦١/١

(٤) ديوان بشار بن برد ٣٢٦/١

(٦) نفسه (٧٣)

(٥) الديوان (المخطوط) ٧٣

شرائعاً عذبت طعماً مواردُها وقد حُمِدَ (نَ) على العُقبى (مصادرُها) (١)
تهدَمَنَّ (أضرأسه) وانحنى وماتت على رأسه الشعرات (٢)
رَقَصَ (نَ) بنا (الأيانقُ) نحو ليلى وقد نظرتُ نواظرهنَّ حجباً (٣)
أَقْلَبُ خَدَي فوق تربة قبره وقد ساعد (ا) نبي (الدمعُ) فانهل و (القلبُ) (٤)
صلاةً من الرحمن تغشاك كلما جَزَعُ (نَ) الفلا (كومُ) الركابِ وفودُها (٥)
ليس العتابُ بجلابِ الودادِ وإن طال العتابُ به زلْ (نَ) (الموداتُ)
نجد اللهب على متونٍ خلودنا عند الوداعِ وهُنَّ سِلْنِ (دُموعُ) (٦)
أحكام الفعل المضارع :

جزم الفعل المضارع التالي من غير جازم فقال: (٧)
والله يكلامكم من نائبةٍ ^{كل} (تحاذروها) ولا سمَّتْ بكم دُولُ
وعدم إعمال أداة الجزم (لم) في الفعل المضارع (ترضى) فقال: (٨)
أصالحُ أباي إذا ما ارتضيتها وإن لم بها ترضى فليس صلوحُ
جزم الفعل المضارع (تبعثوه) من غير جازم فقال: (٩)
لعل كتاباً (تبعثوه) لعله لعقد النوى والوجد يصبح ناقضا
لم يجزم فعل الشرط (يبلى) وإنما جزم جوابه (يعش) فقال: (١٠)
متى عاقلٌ يبلى بصحبة جاهل يعشُ جاهلاً لو كان معقل عاقل
جزم الفعل المضارع (يعفو) (بلام كي) وكان حقه النصب (ليعفو) فقال: (١١)
إذا لم تعفُ عني من إليه ألوذُ ليعفُ عن هذي المخازي
عدم إعمال أداة الجزم (لم) في الفعل المضارع (تزوب) فقال: (١٢)
نزلتُ بهم ربُّ المنون فأقفلوا عنها لدار لم تزُبُ قفأها

لم يُعْمَل (كي) الناصبة للفعل المضارع فقال: (١٣)

(١) الصحيفة ٣٩٩/٢	(٢) الديوان ٢٨٧/١	(٣) نقه ١٠٢/١	(٤) نقه ٢٠٤/١
(٥) نقه ٢٥٧/١	(٦) نقه ٣٥١/١	(٧) الديوان (المخطوط) ١٨	
(٨) الديوان (المخطوط) ١٩	(٩) نقه ٢٣	(١٠) نقه ٢٩/١	
(١١) الديوان ١٣١/١	(١٢) نقه ٣٩٥/١	(١٣) الديوان (المخطوط) ٨٤	

قصدت الحج كي تمحو ذنوباً وأننى يا غريب لك الذنوبُ

جزم الفعل المضارع بلا النافية فقال: (١)

ولا تجدُ أحداً إلا عليه له من علمه أو هداه أو نداه يدُ

جزم الفعل المضارع (يزوروا) من غير جازم فقال: (٢)

وهل جيرانكم أهلُ القبور يزوروا أم أسارى للنشور

لم يجزم الفعل المضارع (تقرآن)؛ (الأول) بلا الناهية بل جزم الثاني فقال: (٣)

وإياكما الغيبات لا تقرآنها ولا تقرآ تجسسها والمهامزا

جزم الفعل المضارع (اقنع) من غير أن يسبقه جازم فقال: (٤)

اقنع بما أنا فيه منك أقاسي يا دهر أحداثا بغير قياسٍ

(١) الديوان ١٤٢/٢

(٢) نفسه ٣٣٣/١

(٣) نفسه ٣٣٨/١

(٤) نفسه ٣٤٢/١

مد المقصور وقصر الممدود :

قصر الممدود في لفظ (أضامت) فجعلها أضت في البيت التالي: (١)

ما ولولت ربح ولا شمس أضت إلا وإني ناشد عن حاله

وقد مد لفظ (الهدى) وهي مقصورة في البيت التالي فقال: (٢)

لقد كنا بدنياً مدكهم وهايكُم فقد وضع الهداء

ومد لفظة (المنى) وهي مقصورة فقال: (٣)

وغاية السؤال في المناء أرجوه حفظاً منك في قراء

ومد لفظة (ليلي) وهي مقصورة فقال: (٤)

فصبري عنك (يا ليلاء) هذا وسلواني يُعدُّ إلى مهازي

ومدها في بيت واحد مرتين فقال: (٥)

فبري عنك يا ليلاء فانٍ وحبي فيك يا ليلاء باقٍ

ومد لفظة تُهى وهي مقصورة فقال: (٦)

إذا اقتدت الرجال بذى تُها تدلُّ على التكامل في تُهاها

حذف ياء المنقوص المنصوب (٧)

حتى غدا الشُّركُ المشتقُّ جلُّه واهٍ ولم يخطر على هلباته

ويحذف ياء المنقوص المنصوب علماً بأن حقها الإثبات، وذلك في مثل قوله: (٨)

ومن ذا لاتي إن رحت ماش لليلي والنعال ولو خُودي

وقوله في نفس القصيدة: (٩)

وإن تك أمك الخدراء (عاص) فلست لها بعاصٍ أو عنيدٍ

وكذلك قوله: (١٠)

يذكرني إليك ولست ناس ولكن طارفاً فوق التليد

(١) الديوان (المخطوط) ٢١ (٢) نفسه ٣٢ (٣) الديوان ٥/١ (٤) نفسه ١٢٩/١

(٥) نفسه ١٥٣/١ (٦) نفسه ٣٩١/١ (٧) نفسه ٢٤٩/١ (٨) نفسه ١٦٢/١

(٩) نفسه ١٢٦/١ (١٠) نفسه ١٢٦/١

ومن أمثلة حذف ياء المنقوص المنسوب قوله: (١)

إذا لجأ المسيءُ بهجنبٍ لاجٍ عفا عنه وإنْ بكُ فيه (خاز)

التصغير :

صغر ليلات إلى لبيلات فقال: (٢)

لبيلات الشبابِ سلْبُنْ مني وعَوْضُني البقا شَيْبَ القُرُونِ

وصغر قيس وليلى فقال: (٣)

وعشتُ وفي هواها عاش دوني قُبَيْسُ في لَيْلى العامرية

أما عن الضرورات الشعرية: فقد وقع أبو حمزة في بعض هذه الضرورات مثل الإيطاء والإقواء والسناد.

الإيطاء :

الإيطاء هو: «إعادة القافية في الشعر، وأتبع الإيطاء ما تقارب، مثل أن يكون البيتان

متجاورين أو بينهما بيت أو اثنان أو ثلاثة على قدر ذلك» (٤)

ومنه مثل قول شاعرنا (٥)

وَقَدْ شَغَلْتُ أَهْلَ هَذَا الزَّمَانِ وَحَاشَا الْقَلِيلُ بِمَا يُسْتَرَابُ
أَطَاعُوا اللَّعِينَ أَبَا مُرَّةٍ بِقَوْلٍ وَفَعَلٍ وَمَا يُسْتَرَابُ

فقد كرر لفظة (يستراب) في بيتين متتاليين وبمعنى واحد وقوله: (٦)

قَبْتُ أَلْثَمُ خَدَيْهَا وَالزَّمُهَا وَأَرَشَفُ الشَّنْبَ الْمَعْسُولَ مُعْتَنِقَا
أَلْقَيْتُ وَضَوَاضَهَا عَنْهَا وَحَلَّتْهَا وَبِتُّ مِنْهَا مَكَانَ الْعَقْدِ مُعْتَنِقَا

فتكررت لفظة (معتنقا) في بيتين متتاليين بمعنى واحد.

ومن الإيطاء (٧)

إذا أَرَجَجْتُ أَبْوَابُ خَلْقِكَ خَالِقِي فَبَابِكَ مَفْتُوحٌ وَمَا لَيْسَ مُرْتَجِي
إذا لم أَرَجِّي مِنْكَ عَفْوَاً وَنَائِلَا فَمَنْ ذَا سِوَاكَ اللَّهُ مُوَلَايَ مُرْتَجِي

(٣) نفسه ١٩٧/١

(٢) الديوان ٣٨٢/١

(١) نفسه ١٣١/١

(٥) نفسه ١٥٥/١

(٤) الديوان ٢٧٢/١

(٤) أبو يعلى التنوخي - القوافي ص ١٢٥

(٦) نفسه ١١٤/١

فكرر لفظة (مرجى) في بيتين متجاورين بمعنى واحد.

ومن الإبطاء قوله: (١)

تركت قلبي كريش النسر مُتَنَفِّضاً والحزنُ من ذكر قلبي غيرُ مُتَنَفِّضٍ
غادرت جرح الأسى في القلب مُتَنَفِّضاً يبلى وبنيانُ حُزْني غيرُ مُتَنَفِّضٍ
ومن إبطاءه بعد بيتين قوله: (٢)

إذا لم تعفُ عني من إليه ألوذُ ليعفُ عن هذي المخازي
فقد أمسى إلهي منك خوفي وحسنُ رجائي في شأوٍ لزازٍ
فإن عني عفوتَ فمَنكَ مَنْ وإن عذبتني فعلى ارتبازي
فإنك محسنٌ وأنا مسيءٌ ولا يحكى المجازي بالمخازي

الإقواء :

الأقواء هو «اختلاف إعراب القوافي، مثل أن يأتي الشاعر بالضم مع الكسر، أو بالكسر مع الضم» (٣)

وقد أتى أبو حمزة في بعض قوافيه بالكسر مع الضم فقال: (٤)

أثار لنا التوديعُ وسطَ قلوبنا غداةً افترقنا لوعةَ الزفراتِ
فكسر تاء (الزفرات) والقصيدة مضمومة التاء.

وفي موضع آخر جاء بالفتح مع الضم فقال: (٥)

وباليلةٍ نلنا منى القلبِ من منى وطابَ مقبلاً عنده وبياتا
وحق (بياتا) أن ترفع لأن القصيدة مضمومة التاء.

ومن هذا النوع من الإقواء قوله: (٦)

اللهُ أنتَ المالكُ القدوسُ وال جبارُ والحقُ المبينُ المحسنا

فنصب (المحسن) ضرورة لأجل أن تتمشى مع قافية القصيدة مع أن حقها الرفع (٧)

(١) نفسه ١٦٣ (٢) نفسه ١٣١/١ (٣) أبو يعلى التوحي - القوافي ص ١١٧

(٤) الديوان ١٠٩/١ (٥) نفسه ١١٠/١

(٦) نفسه ١٧٥/١ (٧) ينظر الإقواء في الديوان ٢٠٤/١، ٢٣٣

السناد :

السناد «هو اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحركات والحروف، فإذا أسند الشاعر بيتاً وترك بيتاً سمي سناد التأسيس، ومنه الردف وهو ردف بيت وترك بيت» (١)
ومن السناد «ماليس بمكره، وهو تعاقب الراو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما بعدها في ردف القصيدة الواحدة، وذلك مجمع على استعماله ولا يحاط به لكثرت» (٢)
وقد جاء هذا النوع من السناد في شعر ابن غسان بل جاء في قصيدة واحدة سبع مرات ومن ذلك قوله: (٣)

فردُ تعاليتَ لا ندُّ ولا وذرُّ كلاً ولا والدُ تُدعى ومـولودُ
عن ابن أو كيف أو حتى تجلّ وعن تبعضر أو متى ما فيك تحديدُ

فالخرف الذي قبل الروي في البيت الأول واو في لفظة (مولود) بينما في البيت الثاني في لفظة (تحديد) ياء. وقد جاء في نفس القصيدة قوله: (٤)

أقبلُ في كورها كالصفر مرتقياً به أهيتُ وجنحُ الليلِ ممدودُ
فكلما جهتُ بيدياً بعذها عرّضتُ أمثالها وعلى أضعافها بيد (٥)

التضمين: التضمين هو (أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها) (٦) وقد عابه قوم من النقاد القدامى، ولم يعبه ابن الأثير (٧)

وقد جاء هذا النوع في شعر أبي حمزة من ذلك قوله: (٨)

(١) محمد سعيد اسبر وبلال جنيدي- الشامل- دار العودة- بيروت ١٩٨١م ص ٥٣١

(٢) القوافي ص ١٣٠

(٣) الديوان ٨٢/١

(٤) الديوان ٨٢/١

(٥) ورد السناد أيضاً في ٩٥/١ أبيات رقم: ٦، ٨، ١٠، ١١، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٩، ٣٠، ٣٧

(٦) ابن رشيّق- العملة ٣٢٢/١

(٧) ينظر الخلل السار ٣٢٤/٢

(٨) الديوان ٢٠٩/١

ثم الضجيعين أهل المجد والشرفِ وآلِكَ الفَرِثَمِ التَّابَعِينَ فَنَفِي
آثارهم وطءٌ عَزٌّ غَيْرٌ مِنْهُدٍ هُمْ خَيْرٌ مَاضِيٍّ أُولُوا الْإِسْنَادَ فِي الْعَقَبِ

فقد تعلق البيت الأول بالثاني

ومن التضمين قوله أيضاً: (١)

ولو كُنْتُ كُلِّي السُّنَا وَبِدِيهَةٍ وَعُمُرْتُ تَعْمِيرَ الزَّمَانِ فَلَمْ أَقْوَى
لَمَّا رُمْتُ أَحْصِي عَشْرَ مَعْشَارِ فَضْلِهِ وَلَا عَشْرَ عَشْرِ الْعَشْرِ مِنْهُ وَلَمْ أَقْوَى
فتعلق جواب (لو) الشرطية بالبيت الثاني. وورد التضمين عند ابن اللواح في غير هذه

المواضع. (٢)

أما عن المحسنات البديعية فقد استخدم ابن اللواح عدداً من هذه الفنون في شعره. وكان ملماً بها واعياً بأنواعها وأقسامها وقد أحسن في بعض المواضع في استخدام خامات صناعته، فيعرف متى يستخدم الجناس وأين يكون الطباق، وكيف ترتد الأعجاز على صدورها. (٣) وسأتبع من هذه الفنون ما وسعني تتبعه وكان بارزاً في شعر ابن اللواح.

رد الأعجاز على الصدور :

انتشر رد الأعجاز على صدورها في ديوان ابن اللواح، وكأنه مولع به. وقد جاء استخدامه في بعض أبياته حسناً لا يبدو عليها التكلف والصنعة، ولكن استخدامه في بعضها ظهر عليه التكلف والصنعة.

فمن أبياته التي أحسن فيها هذه الصنعة قوله: (٤)

إِبَاكَ وَالْهَلْعُ الْمَشْلِي عَلَيْكَ بِهِ حَزْناً فَإِنَّ هَلَاكَ النَّفْسِ فِي الْهَلْعِ

وقوله: (٥)

كَمْ نَاعَسَ بِمَهْمُومِ الْعُسْرِ مُنْضَجِعاً فَقَامَ وَالْيُسْرِ عَنْهُ غَيْرَ مُنْضَجِعٍ

وقوله: (٦)

نَزَحْتُمْ فَنَزَحْتُ الدَّمْعَ مِنْ مَقْلٍ شَوْقاً لَكُمْ وَدُمُوعُ الشَّوْقِ مَا نَزَحَتْ

(١) الديوان ٢/ ٢٦١ (٢) ينظر مثلاً ١/ ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٠٦/ ٢
(٣) د: شكري بركات. البديع في شعر اللواح. فعاليات ومناشط المتدري الأدبي في سلطنة عمان. ديسمبر ١٩٩٣م ص ٣١٩
(٤) الديوان (المخطوط) ٢٣ (٥) المصدر السابق ٢٤
(٦) نفسه ٣٥

أما التي لم يحسن فيها استخدام هذا المحسن البديعي، فهناك قصيدتان أنشأهما، حاول فيهن أن يرد الأعجاز على صدورهما، وظهر في تينك القصيدتين الصنعة والتكلف. فمن أبياته في القصيدة الأولى: (١)

ملامي على نفسي لفرقٍ أحبتي	وليس على حُكْمِ المشيخ ملامي
مصامي على أسواءٍ رأيٍ رأيتهُ	وليس على حُكْمِ القضاء مصامي
مصامي لنفح من نسيم جنابكم	ولولا هواكُم ما أطلتُ مصامي
مطامي خضمُ النظم ما غبَّ مدُّه	لنا منكم حتى أجاش مطامي

فالصنعة والتكلف واضحة على هذه الأبيات، من حيث مفرداتها المعقدة وتركيبها.

ومن أبياته في القصيدة الأخرى قوله: (٢)

علامَ الهجرُ ينهلني	وأشربُ صدكم عللا
غلا شوقي بكم لكم	فشار الحزن حيث غلا
غللتُ بذكركم حزني	فلم يتـرك به غللا
فلا لي عنكم صبرُ	وإن قالَ الزمانُ فلا
فللتُ جيوشَ أحزاني	بذكركم غدتُ فلا
قلا أحشايَ جمر هو	وحبات الفؤاد قلا

فالصنعة والتكلف واضحة على هذه الأبيات، من حيث مفرداتها المعقدة وتركيبها.

ومن أبياته في القصيدة الأخرى قوله: (٣)

ومن التكلف في هذه القصيدة أن جعل أوائل أبياتها مرتبة على حروف الهجاء، وزاد في التكلف بجعل بيتين لكل حرف، فمثلاً من هذه المقطوعة جعل لحرف (غ) البيتين، الذين أولهما (غلا، غللت) ولحرف الفاء (فلا وغللت).

ومثل هذا النوع من رد الأعجاز على صدورهما معاب عند النقاد، قال حازم: (وأشدها إغراقاً في التكليف ما بُني أكثر البيت على أوله ثم استؤنف بعد ذلك النظر في القافية) (٣) وتتناثر الأبيات في الديوان التي رد فيها شاعرنا الأعجاز على صدورهما، وكأنه مولع بهذه الصنعة البديعية، وحسبي أمثلة الأبيات التي أوردتها.

(٢) الديوان (المخطوط) ١٠٤

(١) المصدر نفسه ٨٧

(٣) حازم القرطاجني. منهاج البلغاء ص ٢٨٢

الجناس :

انتشر الجناس في ديوان أبي حمزة انتشاراً ملحوظاً، التام وغير التام بأقسامه المختلفة، إلا أن الجناس التام عنده أقل من الجناس غير التام. ومع هذا فلم يحسن استخدام الجناس التام في بعض المواضع، وجاءت بعض أبياته التي استخدم فيها الجناس التام معقدة المعنى، من ذلك قوله: (١)

الحمد لله رب اللوح واللوح والريح والروح والريحان والروح

فالبيت يزدهم بالجناس ولكن معناه يحتاج إلى كدّ الذهن، بل يعسر أحياناً على المتخصص فهمه (فاللوح) كل صفيحة عريضة، واللوح الكتف إذا كتب عليها، واللوح: الهواء بين السماء والأرض، فهذه معانٍ تحتاج إلى بحث المتخصص حتى يدرك فهمها؛ لذلك صح ما قلناه أن بعض أبياته في الجناس التام معقدة المعنى.

وبعض أبياته التي استخدم فيها الجناس التام سهلة المأخذ وهي قليلة، من ذلك قوله مخاطباً غريب بن خاطر (٢)

كتابك يا ذخري غريب بن خاطر أتاني ومن حبي له سرّ خاطري

فقد جانس بين خاطر الأولى وهي اسم علم، وبين الثانية، والتي معناها (ضميري). وقد وهم الدكتور شكري بركات عندما مثل على الجناس التام المتماثل بالبيت التالي: (٣)

ليلي إلى ليلي أحن وإن بدا فلق الصباح لفيحها أتأنس

فلفظة (ليلي) تختلف عن (ليلي) في الخط وفي الحركة؛ فالأولى آخرها (ياء) والثانية ألف مقصورة، وكذلك في الحركة وبالتالي فيكون هذا البيت من الجناس غير التام.

وكذلك في قوله معلقاً على البيت التالي: (٤)

ألا فانظروني بعين الصفا فهيهات مثلي خليل صفا

علق على لفظة (الصفا) الأولى بقوله (مكان بعينه) (٥). والشاعر لا يريد أن يعين مكاناً بعينه في هذه اللفظة، وإنما يريد أن يقول انظروا إليّ بعين الود والمصافاة، فهو يتحدث في

(١) الديوان ٧٩/١ (٢) الديوان (المخطوط) ٣٠

(٣) الديوان ١٣٧/١ (٤) نفسه ١٤٨/١

(٥) ينظر د: شكري بركات. البديع في شعر اللوح الخروصي. ص ٣٢١

الأبيات الأولى من هذه القصيدة عن المصافاة والود.

وسها أيضاً الدكتور شكري عندما مثل على الجناس التام المستوفى بالبيت التالي: (١)

قَدْ قَدْ غِيْظُكَ أَضْلَاعِيْ فَتَقْلِقْنِيْ وَمِنْهُ رَأْسِيْ فَقَدْ شَابَتْ مَفَارِقُهُ

ف (قَدْ) تختلف عن (قَدَّ) في تركيبها وحروفها وحركتها؛ فالأولى مركبة من حرفين القاف والdal والثانية من ثلاثة أحرف القاف، والين، لأنها مشددة الdal والمشدد يضعف.

لذلك لا يعتبر هذا البيت من الجناس المستوفى، بل يكون جناساً ناقصاً وهو الذي يختلف فيه اللفظان في أعداد الحروف بزيادة حرف واحد في أحدهما. والبيتان التاليان: (٢)

تقلقلها العازف والملاهي
وما بلد يحل النكر فيها
وكل نهيمة سحبت رداها
إذاً إلا وباريها رداها

تكررت قافيتهما وهي لفظة (رداها) ويسمى هذا تجنيس القوافي: (٣) وهو الذي يشبه الإبطاء. وليس هذان البيتان جناساً مستوفى كما اعتبرهن الدكتور شكري بركات.

ومن أمثلة جناس التوافي عند ابن اللوح قوله: (١)

من العجائب شوقي منكم لكم
أبغى الطبيب لدائي كي يرضني

وأنتم في فؤادي رأيَ أعياني
بما أقاسيه من وجدي فأعياني

فتكررت القافية مرتين فالأولى بمعنى ناظري والثانية بمعنى أتعبني.

ومن تجنيس القوافي عنده أيضاً قوله: (هـ)

بِهَ اعْتَنُ لِي مِنْ سُؤْلِهِ فَأَخَذَتْهُ
وَلَمَّا قَرَأَتْ الْأُسْطُرَ الْإِلَاءِ ضَمِنَتْ

فَسَالَتْ دُمُوعِي قَبْلَ مَا طَبِيَهُ (فضا)
مِرَادِي بِهِ عَنِّي الْأَسَى وَالضَّنَى (فضا)

ف (فضا) الأولى بمعنى فك خاتم الكتاب. والثانية بمعنى انتشر وتفرق.

(١) الديوان ٧٦/٢

(٢) الديوان ٨٩/٢

(٣) ينظر أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية. ٧٥ / ١

(٤) الديوان (المخطوط) ٣٥

(٥) المصدر السابق ٩

أما الجنس غير التام بأنواعه، فكثير في ديوان أبي حمزة. وحسبي أن أضرب ثلاثة أمثلة عليه كقوله: (١)

وقيتُ ببردِي ظهر جلدي عن البرْدِ ولم أقي بالأعمالِ عن سقر جلدي
جانس بين (برد) و (برد)

ومنه قوله: (٢)

حرائق حزن في فؤادي تجددُ وواكفُ دمع في الخلودِ تَخددُ
جانس بين (تجدد - وتحدد)

ومنه قوله: (٣)

بالفاظٍ قواض في المعاني مواضِرْ لائِبُوْ ولا تَأنيْ
فجانس بين (قواض - ومواض)
الطباق :

من الطباق الذي ورد في شعر ابن اللواح المطابقة بين فعل وفعل، وبين اسم واسم، وبين فعل واسم، فمن طباقه بين الفعل والفعل قوله: (٤)

وجدك إنَّ الحبَّ رزقٌ مقسَّم يحرمُه زيد ويرزقه عَمْرُ
(فطابق بين يحرم ويرزق)

ومن مطابقتها بين فعلين قوله: (٥)

ليعلموا أنني لم أنسهم أبداً دنتُ ديارهم سِيان أو نَزَحْتُ
فطابق بين (دنت) و (نزحت)

وطابق في بيت واحد. بين فعل وفعل وبين اسم واسم فقال: (٦)

يزينُ بكم نظمي ونثري وغيركم يشينُ عليه نظمي الدُّر والنثرُ

فطابق (يزين) و (يشين) وهما فعلان وبين نظم و (نثر) وهما اسمان. ومن مطابقتها بين اسم

(١) الديوان ٣٢١/١ (٢) الديوان ١٣٧/٢

(٣) الديوان (المخطوط) ٨١ (٤) الديوان (المخطوط) ١٩

(٥) المصدر السابق ٢٧

(٦) نفسه ١٩

واسم قوله: (١)

يُطَوِّحْنَ أَعْلَامُ أَشْبَنَ مَفَارِقِي وَمَا خِلْتُ أَنْ الْعِزَّ فِي طَيْهِ دُلُّ

طابق بين (عز) و (ذل) وهما اسمان

وطابق بين فعل واسم، من ذلك قوله: (٢)

لَنْ غَبَتْ عَنِّي كُنْ حَسَنَّاكَ حُضْرًا وَحُبُّكَ حَتَّى مَا يُفَارِقُ مَشْهَدِي

ومن مقابلاته قوله: (٣)

فَمَمَاتُهُ فِي هَجْرِكُمْ وَحَيَاتُهُ فِي وَصْلِكُمْ إِنْ عَبِقَ عَزْمٌ وَصَالِهِ

فقابل بين (المات والهجر) وبين (الحياة والوصل)

ومن طباقه الذي أراد به المقابلة ولكنه لم يوفق إليها. قوله مخاطباً عبدالله بن أسد وولده

إثر كتاب جاء به منهما: (٤)

فَأَجْمَعُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ غَضَارَتِي وَفَرِّقُ مَا بَيْنِي وَمَا بَيْنَ إِخْوَانِي

وعادى لعمرى بين قلبي ولوعتي وصالح ما بيني وما بين أحزاني

فَإِنْ هَذَا أَرْكَانًا مِنَ الْعُمْرِ شُبِّدَتْ فَقَدْ شَادَ لَمَّا جَادَ بِالزُّورِ أَرْكَانِي

فقد طابق بين (أجمع) و (فرق) ولم يوفق في المطابقة بين الغضارة التي هي رغد العيش وبين

الإخوان، كما طابق بين (عادى) و (صالح) ولم يوفق في المطابقة بين اللوعة والأحزان.

التصريح :

التصريح في الشعر تقفية المصراع الأول، وللتصريح في أوائل القصائد طلاوة وموقعاً من

النفس لاستدلالها على قافية القصيدة قبل الإنتهاء إليها (٥):

وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك لأن بنية الشعر إنما هي التسجيع والتقفية،

فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر: (٦)

وقلما توجد قصيدة في ديوان ابن اللواح غير مصرعة، فهو يعمد دائماً أن يصرع أوائل

قصائده. فمن قصائده التي صرع في مطلعها قوله: (٧)

(١) نفسه ٣٧ (٢) نفسه ٢٢ (٣) نفسه ٢٠ (٤) نفسه ١١٢

(٥) حازم القرطاجني - منهاج البلغاء ص ٢٨٣

(٦) قدامة بن جعفر - نقد الشعر. دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت ٢٠٠٠ مطابع يوسف بيضون. ص ٩٠

(٧) الديوان (المخطوط) ١٠٧

كتابك أيها الثقة الرضي أتى وعتابك الحلو الشهي
ومن قصائده التي نسي أن يصرع في البيت الأول فيها قوله: (١)
ألا مبلغ مني أبا الشبل حمزة نصائح لا تلقى بهن نصائحا
إلا أنه استدرك بعد بيتين وصرع في البيت الرابع فقال: (٢)
ولست أبا لابن إذا مت فاضحا ولا الابن لي ماعشت أو عشت فاضحا
ويلاحظ في هذا البيت أيضاً رد العجز على الصدر.

وقد يصرع بعد تسعة عشر بيتاً من القصيدة في بيتين متتاليين من ذلك قوله: (٣)
ولما نزلنا واجتمعنا بجمعنا لجمع الحصى السبعين عدداً لرمينا
وبالمشعر الزاكي الحرام فكلنا نُصلي صلاة الفجر لما تَبَيَّنَا
وقد يصرع بعد بيت واحد من مطلع القصيدة من ذلك قوله: (٤)
يَلْتَأُ إن هَبَتْ رِيحٌ شِمَالِهِ وَحَيَاتُهُ بِمِهْبٍ رِيحٌ شِمَالِهِ
التقسيم :

التقسيم لون من ألوان البديع يستخدمه الشعراء في تحسين قصائدهم لما فيه من نغمة
موسيقية تجذب المتلقي، واستخدمه ابن اللواح في شعره استخداماً حسناً من ذلك قوله: (٥)

ولقد بكتك منائرٌ ومنابرٌ ودفاترٌ ومحابرٌ والمرفعُ
ومدارسٌ ومفارسٌ وغرائسٌ ونفائسٌ في المكرماتِ وأربعُ
ومآثرٌ ومفاخرٌ وعمائرٌ عمرتها وعشائرٌ بك روعوا

ومن تقسيمه قوله: (٦)

شفايَ أن تصلوا إن رُمْتُم فصلوا أولاً فكتبكم إن تُشغَلوا فصلوا

ومن تقسيماته الحسنة: (٧)

رزين السجايا سني العطايا كشوف البلايا عن المستضايق

ومنها قوله: (٨) متزائج متمازج متدارج متناسج متماشج يا سالب

(١) المصدر السابق ١٢٩ (٢) نفسه ١٢٩ (٣) الديوان ١٠٨/١ (٤) الديوان (المخطوط) ٢٠
(٥) الديوان ١٧٠/٢ (٦) الديوان (المخطوط) ١٨ (٧) الديوان ١٩٤/٢ (٨) الديوان (المخطوط) ١٦٠

المعارضات

«المعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية، فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة، فيقول من بحر الأولى وقافيتها، وفي موضوعها أو مع انحراف عنه بسير أو كثير».

«فالمعارض يقف من صاحبه موقف المقلد المعجب، أو المعترف ببراعته على كل حال، ومناط المعارضة هو الجانب الفني وحسن الأداء»^(١)

وتأثر أبو حمزة بمن سبقه من شعراء العربية الكبار، فإن قصائد كثيرة في ديوانه لا نحسب أنه نظمها إلا وأمامه نظائرها من قصائد الشعراء المشهورين سواء أكانت أمامه في الوعي أو في مخزونه اللاواعي.

وحاولت أن اقتنص قصيدتين عارض بهما ابن اللواح شاعرين كبيرين من شعراء العربية، أحدهما في العصر الجاهلي، والآخر في العصر الإسلامي، ألا وهما أبو ذؤيب الهذلي والثاني أبو الطيب المتنبي.

أولاً: معارضته أبا ذؤيب: عارض ابن غسان أبا ذؤيب الهذلي في عينيته التي رثى بها أولاده الخمسة الذين ماتوا من أثر مرض الطاعون، فمطلع قصيدة أبي ذؤيب هو: (٢)

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَبِّهَا تَتَوَجَّعُ وَالْدَّهْرِ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ يَجْزَعُ

ومطلع قصيدة ابن غسان (٣)

حُزْنٌ يَفُورُ وَمَهْجَةٌ تَتَقَطَّعُ وَأَسَىٌ يَجِيشُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَبَّعُ

فوزن القصيدتين واحد وهو بحر الكامل، ورويهما واحد وهو العين المضمومة، والغرض واحد وهو الرثاء. إلا أنهما يختلفان في المرثي، فأبو ذؤيب يرثي أولاده الخمسة؛ أي أنه رثاء خاص، بينما يرثي ابن غسان القاضي أبا عبدالله محمد بن سعيد بن محمد بن عبد السلام النخلى، فهو إذن رثاء عام.

(١) أحمد الشايب - تاريخ النقائض في الشعر العربي. نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية. . القاهرة. مصر ط ٣ - ١٩٦٦ م.

(٢) ديوان الهذليين - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ م نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.

ص ١

(٣) الديوان ١٦٩/٢

وكل من الشاعرين يعتريه ألم وحزن وتفجع شديد. وبعد المطلع يكشف أبو ذؤيب عن مأساته وحزنه في صورة حوار يديره بينه وبين امرأة يسميها أميمة. فيقول: (١)

قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذ اهتذلت ومثل مالِك ينفعُ
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً إلا أقض عليك ذاك المضجعُ
فأجبتُها أما لجسمي إنَّه أودى بني من البلاد فودعوا
أودى بني وأعقبوني غصّة بعد الرقادِ وعبرة لا تُقلعُ

وأراد أبو حمزة أن يحدثنا عن توجعه وتصعد أنفاسه بين شهيق وزفير، وتأوهه الذي يردده وكادت تتقطع لأجله الحشا. فيقول: (٢)

وتأسفُ متـردّدٌ وتلهفُ متـصعدٌ وتأوهٌ وتوجعُ
وزفيرُ أنفاسٍ يردّدُها الأسى كادت تُقدُّ بها الحشا والأضلعُ

وفي حين ذكر أبو ذؤيب تفاصيل مصيبته بقوله (أودى بني)، ذكر أبو حمزة كذلك تفاصيل المصيبة التي أفجعتة بقوله: (٣)

لمصيبة كلِّ المصائبِ عندها هانت ووقع منية لا تدفعُ
هي ثلثة وقعت ولا جبر لها أبداً وشنع مكارم لا يرفعُ

إلى أن قال:

كادت لمصرعه السمواتُ العلا فوق البسيطة من علاها تصدعُ

وفي تفصيل أبي حمزة لذكر ألمه في قوله «وقع منية لا تدفع» نراه أخذ هذا المعنى من تفصيل أبي ذؤيب في تحسره على أولاده بقوله: (٤)

ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهم فإذا المنية أقبلت لا تدفعُ

وقد وصف أبو ذؤيب تجلده وصلابته على الدهر وعلى الشامتين بقوله: (٥)

وتجلدي للشامتين أربهم أني لرب الدهر لا أتضعضعُ

بينما وصف أبو حمزة ضعفة أركان المذهب الإباضي بعد وفاة هذا الشيخ

(١) ديوان الهذليين ص ٢ (٢) الديوان ١٦٩/٢

(٣) نفسه ١٦٩/٢ (٤، ٥) ديوان الهذليين ص ٣

إذ هو ركن من أركانه فقال: (١)

ضَعُضْتَ أَرْكَانَ الْإِبَاضِي وَالرَّجَا بِكَ قَدْ أَشِيدَ وَكَانَ لَا يَتَضَعُضُ

فاستعار أبو حمزة قافية أبي ذؤيب.

وقد وصف أبو ذؤيب حمار الوحش والأتن التي يقودها لورود الماء والكلأ فقال: (٢)

ذَكَرَ الْوَرُودَ بِهَا وَشَاقَى أَمْرَهُ شَوْمٌ وَأَقْبَلَ حَيْنَهُ يَتَّبِعُ
فَمَا فَتَنَهُنَّ مِنَ السَّوَاءِ وَمَاؤُهُ بَثْرٌ وَعَـاَنَدَهُ طَرِيقُ مَهْيَعُ
فَكَأَنَّهُمَا بِالْجَزْعِ بَيْنَ بِنَائِعٍ وَأُولَاتِ ذِي الْعَرَجَاءِ نَهَبٌ مُجْمَعُ
وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسْرُ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ
وَكَأَنَّمَا هُوَ مِدْوَسٌ مُتَقَلِّبٌ فِي الْكَفِّ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَضْلَعُ
فُورَدَنْ وَالْعَمِيْقُ مَقْعَدُ رَابِيءٍ الضُّرْبَاءِ فَوْقَ النَّظْمِ لَا يَتَلَعُ

بينما وصف أبو حمزة الميت بقوله: (٣)

ذُو فِطْنَةٍ فِي كَشْفِ كُلِّ خَفِيَّةٍ وَذَكَأُوهُ يُدْنِي لَهُ مَا يَشْنَعُ
قَاضٍ بَرَى بِفَزَادِهِ مَا لَا يَرَى بَعِيُونَهُ الْفِطْنُ النَّبِيَّةُ الْأَصْمَعُ
فَكَأَنَّمَا الْخُصْمَاءُ فِي نَظَرَاتِهِ نَبْلُ الْعَدُوِّ لِمَقْلَتِيهِ تَتَّبِعُ
فَفَزَادُهُ أَصْلُ الْأَصُولِ وَذَهْنُهُ فَرَعُ الْأَصُولِ بِهِ الْفُرُوعُ تَفْرَعُ

وكل من الشاعرين استخدمهما في وصفهما أداة الشبه (كأن)، وجاء استخدام كل منهما (للكأن) في أوائل أبياتهما، وبعد أن استخدمهما (كأن) بدأ كل منهما بيته (بالفاء) ثم يأتي أبو حمزة في خطابه للهالك فيستعير قافية أبي ذؤيب وهي لفظة (مهيع) في الأبيات السابقة فيقول أبو حمزة: (٤)

إِنْ كَانَ ضَاقَ بِكَ الزَّمَانُ عَنِ الْبَقَا فَعَمِيدُ صُنْعِكَ يَا مُحَمَّدُ مَهْيَعُ

وقد ذكر كل من الشاعرين الملك «تُبَّع» ولكن كل له أسلوبه في ذلك، فقال أبو ذؤيب في

وصفه صورة الفارس في ساحة الوغى: (٥)

(١) الديوان ١٧١/٢ ديوان الهذلي ص ٥، ٦

(٢) الديوان ١٧٠/٢

(٣) نفسه ١٧٠/٢

(٤) ديوان الهذلي ص ١٩

وعليهما مسرودتان قضاها داودُ أو صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَعُ
وقال أبو حمزة: (١)

اليوم قد مات الذي فخرت به عوف وإبنا تبِعَ ومُرُقُعُ
ثانياً: معارضته للمتنبّي:

وعارض أبو حمزة أبا الطيب المتنبّي، فاتفق معه في البحر والرويّ وحسن صياغة القصيدة والمقدمة الغزلية، واختلف عنه في الغرض. فغرض قصيدة أبي الطيب المدح. بينما غرض قصيدة أبي حمزة النصح والحماس، والذي قاد أبا حمزة للمعارضة هو إعجابه بأبي الطيب المتنبّي وولعه بالتقليد واقتفاء آثار شعراء العربية «فقد تكون المعارضات نتيجة إعجاب شاعر متأخر بقصيدة لشاعر متقدم عليه في الزمان، أو وقت نظمها ونشرها، وهذا الإعجاب قد يكون بها كلها أو ببعض جوانبها الفنية، كالنغمة الموسيقية أو غرضها أو طريقة نظمها أو حسن صياغتها، فيترجم هذا الإعجاب بقصيدة مشابهة لها مقتفياً آثاره فيها قدر الإمكان.» (٢)

ومطلع قصيدة أبي الطيب هو: (٣)

بكائي شاءَ ليسَ همُّ ارجحالا وحُسنُ الصبرِ زُموا لا الجمالا

ومطلع قصيدة أبي حمزة هو: (٤)

أرى بَدْرًا فصارَ بهِ هلالا نحيلاً بعدما نظرَ الكمالا

فالمقدمة الغزلية عند أبي الطيب سبعة عشر بيتاً، وعند أبي حمزة خمسة عشر بيتاً، بينما تساوى طول القصيدتين عند الشاعرين وهو ثلاثة وأربعون بيتاً.

وجاءت ألفاظ أبي حمزة في مقدمته الغزلية رقيقة رشيقة حسنة الأسلوب عذبة الماء كقولهِ: (٥)

وحينَ رأى الجمالَ مطوَّحاتٍ وقد أودِعْنَ في الكِللِ الجمالا

(١) الديوان ١٦٩/٢

(٢) د. محمد محمود قاسم نوفل - تاريخ المعارضات في الشعر العربي - نشر دار الفرقان. طبع مؤسسة الرسالة ط ١٩٨٣ ص ١٤

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبّي. دار الكتاب - بيروت - مطبعة العلوم لبنان ١٩٨٦ م ج ٣/٣٢٧

(٤) الديوان ٢١٩/٢

(٥) نفسه ٢١٩/٢

بكى أسفاً وغودرَ في ديارٍ خلال منازلٍ يحكى الخلالا
رمى الله الفوانيَ مارمتني وجنّني وجنبها الملا
واتفق الشاعران في رحيل المحبوبة وبقاء كل منهما، إلا أن أحبة أبي الطيب ذهبوا عنه بغتة دون توديع كما يقول: (١)

تولوا بغتةً فكان بيننا تهيبني ففاجاني اغتيالاً
بينما أحبة أبي حمزة أعدوا عدة مسبقة للرحيل، فودعوا أهل الحي جميعاً، وكان أبو حمزة من ضمن المودعين، وزاد عليهم بأن لحظه محبوه بطرفه خلصة، ثم لاصق خده بخده غيلة حتى سال الدر من نرجس عينيه على ورد خديه فقال: (٢)

وأقبل يوم جدّ البين يُذري سموطَ الدرّ من دمع تلالا
وخاض الحيّ للتوديع حتى كأن مطيهم شكت الرحالا
فراشق طرفه طرفي اختلاسا ولاصق خده خدي اغتيالاً
وسال الدرّ منشوراً نفيساً على الخدين ينهمل انهمالاً

ولذلك فاز أبو حمزة بوداع محبوه، ولم يفز أبو الطيب. وأخذ أبو حمزة معنى بيت أبي الطيب التالي: (٣)

بدت قمرًا ومالت خوط بانٍ وفاحت عنبراً ورنّت غزالا
فقال أبو حمزة: (٤)

بدا بدرًا وأدبر حقف رملٍ وغصنا ماس ثم رنا غزالا
وشبه قوة الرجال المجتمعين على كل كلمة واحدة كالسهم المنطلق من الریش واستعار لفظتي الریش والنصال من بيت أبي الطيب التالي: (٥)

فما تقف السهام على قرارٍ كأن الریش يطلب النصالا
فقال أبو حمزة: (٦)

بأن الناس ما اجتمعوا رجالا ونسنا إذا افترقوا حثالا

(١) ديوان أبي الطيب ٣/ ٣٣٨ (٢) الديوان ٢/ ٢١٩

(٣) ديوان أبي الطيب ٣/ ٣٤٠ (٤) الديوان ٢/ ٢١٩

(٥) ديوان أبي الطيب ٣/ ٣٤٧ (٦) الديوان ٢/ ٢٢٠

وأن النبل إلا النصل منه ولكن يُسعدُ الریشُ النصالا
أي أنه استعار الصورة من أبي الطيب فوظفها في موضوعه.
المسمّطات :

«المسمّط كمُعظم» من الشعر؛ أبيات تجمعها قافية واحدة مخالفة لقوافي الأبيات(١).

وقيل المسمط «ما قُفِّيَ أرباعُ بيوته وسُمّط في قافية واحدة»(٢)

ومن أقسام المسمطات المربع والخمس والسدس، وقد سلك أبو حمزة طريق المسمطات
السدس والمربع منها. فكتب خمس مسمطات، إحداهن مسدسة وعلى البحر الطويل، وبلغ عدد
أبياتها تسعة وثلاثين بيتاً وموضوعها في العتاب والمدح لصديقه خاطر بن غريب، قال في
أولها(٣):

أَمِنْ عَدَمِ الْقِرْطَاسِ أَمْ عَدَمِ الْحَبْرِ	أَمْ عَزَتْ الْأَقْلَامُ بِاللَّفْظِ أَنْ تَجْرَ
أَمْ قَدْ كَسَبْنَا فِيكُمْ أَعْظَمَ الْوِزْرِ	أَمْ الْجَدُّ قَدْ أَبْدَى لَنَا قَلَّةَ الْقَدْرِ
بَخَلْتُمْ عَلَيْنَا بِالتَّحِيَّةِ فِي السُّطْرِ	وَلَمْ تَذْكُرُونَا فِي نِظَامٍ وَلَا نَشْرِ
فَإِنْ كَانَ مِنْ ذَنْبٍ فَهِيَ نَحْنُ قَدْ تَبْنَا	إِلَيْكُمْ وَلِلْإِخْلَاصِ يَا سَادَتِي أَهْنَا
وَحُسْنُ الرَّجَا فِيكُمْ يَخْبِرُنَا أَنَا	إِذَا نَحْنُ تَبْنَا إِنَّكُمْ تَقْبَلُونَا
وَنَرْجِعُ فِي الْحَالِ الَّذِي عِنْدَكُمْ كُنَا	وَإِنْ كَانَ إِغْفَالاً فَتَنْفَعُ بِالْعُذْرِ

وبقية القصائد الأربع مربعات الأبيات أحداهن عتاباً ونصحا من بحر الهزج، وبلغ عدد
أبياتها خمسين بيتاً، والثلاث الأخيرات في الرثاء إحداهن في رثاء أمه من البحر الوافر وعدد
أبياتها أربعة وأربعون بيتاً مطلعها: (٤)

ثُيُوبُ النَّائِبَاتِ الْبَائِنَاتِ	قَطَعْنَ حَشَايَ قَطَعَ الْمَرْهَفَاتِ
وَشَيَيْنَ الْعَوَارِضِ وَالسَّوَاتِ	وَأَمْلَأْنَ الْأَسَى مِنْ جِهَاتِ
أَذُوبُ أَسَى وَلَوْعَاتٍ وَوَجَدَا	وَأَعْلَنُ بِالزَّفِيرِ ثَنَى وَفَرَدَا
وَالطَّمُ بِالْيَدَيْنِ الْآنَ خُدَا	إِذَا مَا سُخِّتْ صَوْتُ النَّائِحَاتِ

(١) تاج العروس (سمط)

(٢) د. أحمد مطلوب. معجم النقد العربي القديم ٢/ ٢٨٦ وينظر العمدة ١/ ٣٣٢

(٣) الديوان (المخطوط) ص ٥٣

(٤) الديوان ٢/ ١٠٩

وثنتان في التعازي؛ إحداهما من بحر الوافر وعدد أبياتها اثنان وعشرون بيتاً، والأخيرة من بحر الهزج وعدد أبياتها ثمانية وثلاثون بيتاً.

أما من حيث بنية هذه السمطات، فهذه لا تختلف عن بنية القصيدة عند ابن اللواح. ففي مُسمَّطته لصديقه محمد بن أبي العرب العفيفي يبيِّن أن هذا الشخص يسكن في سعال نزوى، كما يثبت اسمه في قصيدته هذه، فمطلعها: (١)

أطاولي السَّهْبَ القَهْبِ	بأيدي الداغـري النَغْبِ
كطـيِّ البُرْدِ والأَتْبِ	أنخِ بسُعـال واحتسبِ
وسلَّ عن منزل الرجل الـ	كـريم المبلغ الأمل
فحسبي مطلبـي لـجـل	محمد ابن بالعربِ
زكـا أمـا سـمـا وأبا	وأعماماً سَمْتُ نسبـا
عفيفي إذا انتسبـا	كـريم الطبع والحسبِ

وفي عتابه له يقول: (٢)

فإن كانت نصيحتنا	لكم صارت فضيحتنا
فقد زلت قريحتنا	بلا عُذْر ولا سببِ
ففي طبعي ومن خلقي	بلا مـذع ولا مَلَقِ
ودادي غير ما مـذق	وبالشـنآن لم أشبِ
صديقي لا أغيبـه	وعني لا أوْبـيه
فمثلي من محبـيه	على الأخلاق والغضبِ

الصورة الشعرية

الصورة طريقة للتعبير يلجأ إليها الشاعر، فمهما يبلغ من «الجودة والبراعة في اختيار ألفاظه والملازمة بينها وبين معانيه، فإنه يشعر بأن تعبيره لا يزال قاصراً؛ لذلك يلجأ إلى وسيلة تعبيرية أخرى، وهي رسم الصور التخيلية التي تساعد على إبراز معالم ما يريده الشاعر بوضوح تام» (١)

ووظيفة الصورة توضيح المعنى وإبرازه في قالب تخيلي، والصورة «إما أن تقرّر الفكرة بالشرح والتوكيد والتوضيح، أو تزينها بالتزيق والتحلية والزركشة» (٢)

وللصورة عنصران: ظاهري؛ وهو أن يكون من العالم المحسوس كاللمس والذوق والشم والبصر... الخ. وباطني؛ وهو أفكار الشاعر ونفسيته التي هزتها تجربة عميقة. ومن خلال دراستي لشعر أبي حمزة، وتتبع صورته الشعرية، اتضح لي أن صورته استمدتها من مصادر أهمها:

١- حياته الخاصة التي صور فيها أوضاعه النفسية والاجتماعية، فاتخذ منها مصدر إلهام استوحى منه بعض صورته.

٢- المجتمع الذي عاش فيه الشاعر بكل ما فيه من عناء وشدة، إذ شهد عصره صراعات كثيرة- كما بينا ذلك في التمهيد- فعابش تلك الصراعات وتأثر بها في شعره، فكانت مصدراً لصورته الشعرية.

(٣) الطبيعة وما تحويه من مظاهر كالزمان والمكان والطقس والأجرام السماوية.

(٤) الثقافة سواء بالإطلاع على التراث السالف أم بالاستعارة من الحياة أم من تجاربه الخاصة.

من صورته لحياته الخاصة وأوضاعه النفسية والاجتماعية، صورته التالية لأبناء زمانه؛

(١) د: عبد الجليل عبد المهدي. أبو فراس الحمداني، حياته وشعره- مكتبة الأقصى- عمان- الأردن ١٩٨١م ص ٣٧٧.

(٢) د: نعيم اليافي. تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث. منشورات اتحاد الكتاب العرب. غير مؤرخ الطبع ولا المطبعة. ص ١٦.

فكلامهم كالعسل وفعلهم كالأسل كما يقول: (١)

تَمَرَّسْتُ أَهْنَاءَ هَذَا الزَّمَانِ فَأَكُلُ هُمٌ لِي وَهُمْ لِي شَرَابٌ
فَشَهِدْتُ مَقَالَهُمْ دُونَهُ وَأَفْعَالَهُمْ فَهُوَ فِي الطَّعْمِ صَابٌ

فتلك صورتهم المجملة أما صورتهم التفصيلية فيقول فيهم: (٢)

بَعِيْبُونَ كُلَّ كَرِيمٍ وَفِي وَهُمْ لَوْ دَرُوا بِالْمُعَابِ الْمُعَابِ
تَخَالَهُمْ فِي شَبَاحِ الرِّجَالِ رَجَالاً وَهُمْ فِي الطَّبَاعِ الْكَلَابِ
ذَنَابٌ عَلَيْهَا مَلَا حُ الثِّيَابِ وَشَرُّ الذَّنَابِ عَلَيْهَا الثِّيَابِ
عَبِيدُ الْمَطَامِعِ إِحْسَانَهُمْ أَسَاءَةٌ وَحَمْدُهُمْ فَالسَّبَابِ
يَدِينُونَ بِالْعَبِيْبِ عَرَضَ الْكِرَامِ وَلَوْ تَلَمَسَ الْفَضْلُ مِنْهُمْ لَذَابُوا
فَأَمْوَالُهُمْ فِي الْمَحَلِّ الْمَصَانِ وَأَعْرَاضُهُمْ فِي الْنَوَادِي نَهَابِ
بَصْمُونٌ سَمْعاً عَنِ الْمَكْرُمَاتِ وَإِنْ تَدْعُهُمْ لِلْمَخَازِي أَجَابُوا

ومن صورده لأوضاعه النفسية أنه يبكي على مضي شبابه، ويتمنى لو يعود إليه شبابه الغض

النضر فيقول: (٣)

هَلْ لِي إِلَى عَصْرِ الشَّبَابِ بَعْدَ التَّفْرِقِ مِنْ إِيَابِ
وَيَعُودُ عَوْدِي مَوْقِياً وَيُؤْوِلُ نَابِي غَيْرِ نَابِ
هِيَ هَاتِ أَوْبَةً لَذَّةٍ وَلَكْتُ بِأَيَّامِ الشَّبَابِ
حَقّاً عَلَى الْمُتَجَاوِزِ خَمْسِينَ يَبْكِي بَانْتِحَابِ

وهو يتعظ بشيبه، والذنوب تقلقه وتقض مضجعه: (٤)

كَفَانِي الشَّيْبُ مَوْعِظَةٌ وَكَشَفُ الْغَائِبِ الْمَغْشِي
تُذَكِّرُنِي الذَّنُوبُ كِتَابًا بِهَ الْمَكْتُوبِ فِي كِتَابِي

(١) الديوان ١/ ٢٧١

(٢) نفه ١/ ٢٧١

(٣) نفه ١/ ٢٨١

(٤) نفه ١/ ٢٨٤

ويقول: (١)

وما الشيب إلا دليل الردى فأكرم به من دليل وهاد
لأنه يتذكر الموت صباح مساء. بل إن كل عرق ينبض في جسمه يذكره بالموت

فيقول: (٢)

الموت في نفسي أغنو به وأجي ما نمت إلا وحاديه يؤرقني
وكل عرق بجسمي فهو مختلجي داع إلى مصرعي أو قمت فهو نجي
وهموم شيخوخته أوهنت قواه وأعشت بصره وأسقطت أسنانه فيقول: (٣)

بلغت في العمر غايات وما برحت نفسي بحال عمايات وغيات
يا للعجائب من شيخ ثوى هرماً ولم يزل وهو في غي الصبايات
سمع أسك وأضرأس قد انتهت والضعف في بصر أقوى الشهادات
وفي تصويره شعوره بالاغتراب يقول: (٤)

أنا الغريب غدت لي جدة وطناً كأنها اللحد مالي عنه ملتحداً
كأنني يونس لي جدة جعلت حوتاً فليست بها أهدي ولا أعد

ويؤرقه هاجس السفر وهمه، فيصور حنينه إلى الأحبة ويقول: (٥)

فؤادي خصب الدار من ماطر الهوى ومن ماطر السلوان غير خصب
أود مع الأطياف طرت إليكما إذا لم يؤدبني نسيم هبوب
أسائل عنكم مقلّة الشمس كلما بدت مطلعاً أو آذنت بغروب
وأبو حمزة يثبت في صورة النشاط والحركة والحياة، كما في رثاء الشيخ سليمان بن محمد

وهو يصور وفود القرى في قوله: (٦)

لما مررت بدار كان ساكنها وحوض نعيماء فيه والورى يرد
والخلق فوضى كطير الجوّ من ظمأ إليه لم تدر من تنوي وتقتصد

(١) الديوان ١/ ٣١٦

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٠٣

(٣) نفسه ١/ ٢٩١

(٤) نفسه ١/ ١١٩

(٥) نفسه ١/ ١٠٦

(٦) نفسه ٢/ ١٤٠

وَقَدْ تَمَازَجَتِ الْأَصْوَاتُ مِنْ حَزْنٍ هَذَا يَحْنُ وَذَا بِكَ وَذَا غَرْدُ
سَدِّ الشَّجَى نَفْسِي حَتَّى غَصَصْتُ بِهِ وَكَانَ لَوْلَاهُ مَا بِالْمَحْنَقِ السَّدُّ

واتسمت بعض صوره بالتفصيل، وكأنه يريد من صورته هذه أن تكون تركيبية، إلا أنه لم يحسن إحكامها. وهذه صورة حالته النفسية يوم حمل نعل زوجته إلى رمسها فيقول: (١)

ولما نعى الناعي بها فكأنني لكعب بن سلمى وهي في الفقد أبردُ
فما أم خشف أودعته خميلةُ وظلّت بروض الرند ترعى وتوردُ
إلى أن لعابُ الشمس رقرق دونهُ وحن لها وقت الرضاع المعريدُ
خَطَّتْ دُونَهُ تَسْتَنْشِقُ الزَّهْرَ دُونَهُ وَتَنْظُرُ مِنْ هُنَا وَهُنَا تَلْدُدُ
فلما أتت دون الكناسِ تَلَقَّتْ إلى قانصٍ للخلف يدنو ويخلدُ
وما راعها إلا ترشح دمهُ وقد نُزِعَتْ مِنْهُ الْحَوَايَا وَأَكْبُدُ
فما برحت تلتاعُ حول كناسه وترفع رأساً للسماءِ وتصمُدُ
ولما أتاها الليلُ باتتْ تَقْصُصُهُ تغورُ له طوراً وطوراً فتنجدُ
بأوجد منى يوم سارت جنازةُ إلى لحدٍ قبرٍ بالذروبِ يمهّدُ

أما عن الطبيعة وصوره المتعلقة بها، فقد اتخذ الشاعر من الزمان والمكان مادة حية لصوره الطبيعية، هذه الطبيعة تتمثل في الأماكن والنبات والحيوان والطيور وظواهر طبيعية أخرى، والمرتكزات المكانية عند أبي حمزة (الأسماء)، إذ زخرت قصائده بأسماء الأمكنة، فصور أمكنة أصحابه في رسائله الشعرية. ناهيك برسائله لأهل المغرب، وصور أمكنة من رثاهم. كما صور الصحراء الواسعة والأمطار والرياح والرعد والبرق.

اتخذ أبو حمزة الزمن مصدراً استلهم منه صوره ف (للزمن صور متعددة أهمها الدهر والحياة) «فالدهر أكثر الزمان تردداً في خيال الشاعر» (٢)

واستلهم أيضاً صوره من الليل والنهار والأجرام السماوية كالشمس والقمر والجوزاء، وبنات نعل والسماكين... وغير ذلك.

صور أبو حمزة نفسه في أيام شبابه قائداً للدهر، بينما في مشيبه وضعف قواه أضحت

(١) الديوان ١٤٤/٢، ١٤٥

(٢) الصورة الفنية. د. عبدالإله الصانع - دار الشؤون الثقافية - بغداد ط ١٩٨٧ م. ص ٢١٣

عصاه تقوده: (١)

وبالأمسِ إني كنتُ للدهر قائداً فأمست عصايَ وهي من بعض قوادي
ويصور العباد الذين لا يدخرون لآخرتهم شيئاً ولا يخشون ربهم كخشيتهم للعباد بأنهم
جبارى في هذا الدهر فيقول: (٢)

فلو كان خوفك باري العباد كمعشارِ خوفك خوف العبادِ
لما عشتَ في الدهر ذا حيرةٍ تروحُ وتغدو بغير فؤادِ
والحياة التي تعقبها سكرات الموت. يصورها أبو حمزة كالبر الرطب الذي اختلط به السوس،
فهو يعكر صفو ذلك البر كما يقول: (٣)

حياةٌ عندها سكراتُ موتٍ كـرطبِ الحبِّ مختلط بسوسٍ
وفي تصويره لزمانه وأهله يرى أنهم هم الذين يعيشون الفساد في الأرض فيقول: (٤)
عاشَ الزمانُ ومن فيه فقد عاثا حتى غدوا كُلُّهم في الحال أغلاثا
لأنك: (٥)

إذا زرعتَ جميلَ الصنعَ بينهم حصدتَ من بذركَ الريحانَ جشجانا
ويسأل ربه أن يبغض له الدنيا فيقول: (٦)
ويَقْضُ لي الدنيا بحبيك إنها حباله سوءٍ تقبضُ الروحَ بالفردِ
ويسأل ربه أن يلقي في قلبه حب الصالحين في هذه الدنيا فلعله يحشر معهم: (٧)
قد قيلَ من حبٍّ في الدنيا ولو حجراً إلا ويحشرُ من حبٍّ مع الحجرِ.

(١) الديوان ٣٠٨/١

(٢) نفسه ٣١٥/١

(٣) نفسه ٣٤٤/١

(٤) المخطوط (٩)

(٥) نفسه (١٠)

(٦) الديوان ٣٢٢/١

(٧) نفسه ٣٣٥/١

واستمد صورة إكرام الضيف من ليلة الشتاء فقال: (١)

وبهكي عليك الدهرُ والوفدُ والقرى إذ الليلةُ المشتاةُ أثلجها القطرُ

وصور الدنيا طريقاً إلى الأخرى فيقول: (٢)

ها نحنُ والدنيا كركبٍ أنفَلتُ في منهجٍ منها إلى الأخرى

واتخذ من الكواكب مصدراً استلهم منها بعض صوره. من ذلك قوله: (٣)

والشهبُ في لججِ الجرباءِ تحسبُها نحو المغيبِ نفيسَ الدرِّ منشرا

تشولُ كالشولِ بعد الحشرِ روعها سهيلُ وهوكها فحلٌ وقد جفرا

ومن النجوم التي استلهم منها صوره؛ الثريا والسماكين والوزن كما في قوله: (٤)

ويا دافنيه في الثرى إن قبرةً مقرُّ الثرى والسماكين والوزن

ومنها الشمس والقمر والجوزاء كمثل قوله: (٥)

ففي كبدِ الجوزاءِ منه حرائقُ وكادتُ به أن تخسفَ الشمسُ والبدرُ

ومنها بنات نعش كما في قوله: (٦)

عجباً لحاملِ نَعشِهِ ولنَعشِهِ لبناتِ نَعشٍ في سَمَوِ سماءِ

واتخذ ابن الملوح المكان مصدراً استلهم منه بعض صوره، فذكر بعض الأماكن في الجزيرة

العربية التي ترددت في أشعار القدماء مثل الحجون وتهامة ونجد والحجاز وحزوى والنقا كمثل

قوله: (٧)

أعد نظراً في السرب بالرمل من حزوى وجالسٍ إذا كررتَ للرשא الأحوى

ومن جبال الجزيرة التي ذكرها ثبير ورضوى وأحد، وثهلان وحرا، من ذلك قوله: (٨)

ورضٌ عظامي رزمٌ رَعْدٍ يسُحبكم ولو كان جسمي مثل ثهلان يرتضُ

واستمد من الصحراء الواسعة المقفرة بعض صوره كمثل قوله: (٩)

(١) الديوان ٦٩/٢ نفسه ١٠٠/٢

(٢) نفسه ٣٢٦/١ (٤) نفسه ٢٦٥/٢

(٥) نفسه ٦٨/٢ (٦) نفسه ١٠١/٢

(٧) نفسه ٢٥٩/١ (٨) المخطوط ٥٧

(٩) الديوان ٢٦٠/١، ٢٦١

ومجهولة الأعلام طامسة الصوى بأجوازها ضلّت وقد حدت الحدوى
مُتّيهة الساري من السحب إن سرى تخيله يفتاب في قمة السروى
واستمد بعض صوره من نباتات الصحراء مثل الرند، والقيصوم والشيع والبان والأراك
كمثل قوله: (١)

فالرند منتصب والنفض منخفض والشيع ترفعه عنها صنابرها
وصور ما يضطرب في تلك الصحراء من حيوانات كالفرس والبعر والغزال والذئب والأسد-
الذي يختار له من أسمائه الغريبة الطيثار- كقوله مخاطباً ولده: (٢)

وقد تحقق ظن صادق أبداً بأنك الشبل للطيثار تنتسب

وصور ما يجول في تلك الصحراء من طيور وحيات كمثل قوله: (٣)

وأيت والسيدان تعوي حولنا	والأسد تعلن بالزئير وتفرس
وعلى ردايانا ابن دابة حائم	وابن العميثل وابن حثل الأنفس
ولكم وردنا طامس الأرجاء لم	يرد الحمام به المعزى الأطمس
ريش القشاعم حوله فكأنما	نثرت حراب للصياقل طمس
ومساحب الحيات في أرجائه	فكأنما سحبت رماح دُغس

ومن الحيوانات التي اتخذها مادة لصوره الوعل واليربوع كمثل قوله: (٤)

قبض الردى الأوعال من قلل الحمى ومضى به في جحره اليربوع

ومن الطيور القطا، ومن الحيوانات أيضاً الضب كمثل قوله: (٥)

خرّبتها قد ضل فيها والقطا والضب أضل مكنه مذ أمكنا

ومن العطور التي اتخذها مادة لصوره المسك والزنبق والينجوج كمثل قوله: (٦)

(١) الصحيفة ٢ / ٣٩٩

(٢) الديوان ٢ / ٤٩

(٣) نفسه ١ / ١٣٨

(٤) نفسه ٢ / ١٧٥

(٥) نفسه ١ / ١٧٣

(٦) نفسه ١ / ٢١٦

بضمخ في الفردوس مسكاً وزنبقاً يُعائق حور الخلد في سُنْدُسٍ خضرٍ

وفي بيت آخر: (١)

نبي في علاه ينشدُ الحمدَ والثناء فمن دونه البنجوجُ والمسكُ ضائعُ

وثقافته التي اتكأ عليها في إبراز صوره الشعرية متعددة منها؛ ثقافة دينية وتاريخية، ومنها تجاربه الخاصة في حياته وقد تحدثت عن معالم ثقافته المتعددة في حديثي عن ثقافة الشاعر، وألمعت عن تجاربه في علاقاته وفي موضوع الحكم والنصائح، وحسبي في هذا المقام أن أورد نماذج قليلة للتمثيل.

فمن صوره الشعرية التي استمدها من ثقافته الدينية قوله: (٢)

وكل امريءٍ عاداك في جُوفِ هار وأنت غداً توقى العذابَ من النارِ
وتحظى بجنانٍ نشتُ بين أنهار فمن عسلٍ صافٍ ورسلٍ ومن خمر

ومن صوره الشعرية التي أبرز فيها حكمه ونصائحه واستمدها من حياته، هذه الأبيات: (٣)

لا يُدركُ المجدَ من لا يركب السببا جُرْدَ المذاكي وسُمَرَ الخطِّ والقُضْبَا
ولا ينامُ قريراً العينَ غيرَ فتى إذا رأى مَرَكِباً من كايِدٍ ركبَا
ولا يروِّي غليل القلب من ضَغْنٍ ويشربُ الدَّمَّ من أعدائه شربَا
مَنْ لا يرى الحزمَ عَضُّ الكفِّ من نَدَمٍ وفاته سابقاً إدراك ما طلبَا

اعتمد أبو حمزة على ضروب علم البيان لرسم صوره الشعرية مثل التشبيه والاستعارة والكناية.

ففي رسالته لخاطر بن غريب يبت فيها شوقه ويصور فرقة الزمن بينهما، ويكاهه الحار على ذلك الفراق، كما يصور خفقان قلبه وشحوب جسمه فيقول: (٤)

(١) الديوان ١/ ٢١٦

(٢) المخطوط (٥٥)

(٣) نفسه ١/ ٢٦٩

(٤) الديوان (المخطوط) ٥٨

كَأَن فَرَقْتَنَا عَنْ عَهْدِ وَالِدِنَا نُوحُ النَّهْيِ وَإِنْ قَسَرْتِ عَنْ إِرَامِ
كَأَنَّمَا مَقَلْتِي مِنْ فَيْضِ أَدَمِهَا عَرُوبَةٌ مَتَحَّتْ مَهْتُوكَةُ الْوَذَمِ
كَأَن قَلْبِي جَنَاحًا خَافَقَ أَبَدًا وَمِنْ حَرَارَتِهِ يَقْلَا عَلَى ضَرْمِ
كَأَن جَسْمِي عَلَى شَحْطِ النَّوَى بِهَكْمِ وَقَدْ ذَكَرْتَكُمْ لَحْمَ عَلَى وَضْمِ

وفي تصويره للسحب والرعود والبروق يشبه السحبَ بالبرك الرازمات، والرعود بالإبل الولاة، والبروق بأسياف عبس وذبيان فيقول: (١)

كَأَن السَّحْبَ بَرَكَ رَازِمَاتُ بِرَأْسِ خَمِيلَةٍ نَفَضَتْ ذَرَاهَا
كَأَن رَعْوَدَهَا إِبِلٌ وَلَاهُ وَقَدْ لَاقَتْ مِثْلًا كَيْلًا وَلَاهَا
كَأَن بَرُوقَهَا أَسْيَافُ عَبَسَ بِذُبْيَانٍ تَحْكُمُ فِي طَلَاهَا

وفي تصوير العداوة في قلوب القساة بصورها مثل ضوء النار ووهجها في الجمر الخامد. فيقول: (٢)

إِنَّ الْعَدَاوَةَ لَمْ تَزُلْ فِي قَلْبٍ مِنْ فِيهِ الْقَسَاوَةُ
كَالنَّارِ يَكْمُنُ ضَوْؤُهَا فِي الْجَمْرِ إِكْمَانُ الْعَدَاوَةِ
فَتَشِيرُ هَذِي جَزَلُهَا وَتَشِيرُ هَاتِيكَ الشَّنَاوَةُ

ومن أدوات التشبيه التي استخدمها (أمثال) وذلك في تصويره الحيات التي تنهش الكفرة يوم القيامة فقال: (٣)

وَنَوَاشُ الْحَيَّاتِ أَمْ ثَالِ النَّخِيلِ السَّامِيَةِ.

ويصور عقارب يوم القيامة التي تلسع الكفرة الجاحدين بالبغال في أحجامها، وبالنسور في انقضاضها، وبهذا يجعل عنصرين للمشبه به في بيت واحد وأداتين للتشبيه هما (مثل) و (الكاف) وذلك في قوله: (٤)

وعقاربٌ مثل البغا لِ وَكَالنَّسُورِ الْهََاوِيَةِ

ومن نكت المبالغة في التشبيه جريانه مجرى تجاهل العارف وهو سؤال المتكلم عما يعلم سؤال من لا يعلم، ليوهم أن شدة التشبيه الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده التباس المشبه

بالمشبه به، وقائدته المبالغة في المعنى» (١).

وقد ورد من هذا النوع في شعر أبي حمزة من ذلك قوله: (٢)

أَمِنْ عَدِمِ الْقِرْطَاسِ أَمْ عَدِمِ الْخَبِرِ أَمْ عَزَّتِ الْأَقْلَامُ بِاللَّفْظِ أَنْ تَجْرِي
أَمْ قَدْ كَسَبْنَا فِيكُمْ أَعْظَمَ الْوِزْرِ أَمْ الْجِدُّ قَدْ أَبْدَى لَنَا قِلَّةَ الْقَدْرِ
بَخَلْتُمْ عَلَيْنَا بِالتَّحِيَّةِ فِي السَّطْرِ وَلَمْ تَذْكُرُونَا فِي نِظَامٍ وَلَا نَشْرِ

واستخدم ابن اللواح الاستعارة في رسم صوره الشعرية، والغرض من الاستعارة كما ذهب إليه أبو هلال العسكري «إما أن يكون لشرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيد المبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو بحسن المعرض الذي يبرز فيه» (٣)

ومن صور أبي حمزة التي استخدم فيها الاستعارة، تصويره الحب بأن له رياحا، وتصويره نفسه بالسفينة التي لها شراع فتهب عليها رياح الحب فتسيرها حسب اتجاهها فيقول: (٤)

رِيَّاحُ الْحُبِّ لَمْ تَبْرَحْ قَلِيلًا تَهْبُ فَيَمْتَلِي مِنْهَا شِرَاعِي

ويستعير الإبراق لقلبه وطرفه إذا ما رأى بارقاً مُيَمِّماً نحو سمائل؛ بلدة أصدقائه، فيقول: (٥)

إِذَا لَاحَ لِي بَرْقٌ بِجَرِّ عَا سَمَائِلٍ يَظُلُّ لِي طَرْفِي وَقَلْبِي يَبِرِ

ويشخص الأزهار فيستنطقها ويجعلها تشدو قائلاً: (٦)

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَالرِّيَاضِ شَدَى بِهَا عَرَارٌ وَأَزْهَارُ الْخَزَامَى وَزَنْبِقُ

ويشخص قصائده ذات الروي المطلق والمقيد فيستعير لها الثناء لأصحابه منه. فيقول: (٧)

وَمَحْضُ ثَنِي مَنِي عَلَيْكُمْ بِهِ جَرَى مَقِيدُ مَقْبُوضِ الرُّوِيِّ وَمَطْلَقُ

وأما الكناية فقد استخدمها أبو حمزة في رسم صوره وكنى عن الغنى بالإبل والذهب، وعن

(١) ابن حجة الحموي، خزنة الأدب/ شرح عصام شعينو/ ط ٢/ نشر وطبع مكتبة الهلال- بيروت/ لبنان

١٩٩١م. ١/ ٢٧٤

(٢) الديوان (المخطوط) ٥٣

(٣) أبو هلال العسكري-الصناعتين / تحقيق مفيد قميعة/ ط ١/ دار الكتب العلمية لبنان/ ١٩٩١. ص ٢٩٥

(٤) الديوان (المخطوط) ٥٠

(٥) نفسه ص ٥٢

(٦) الديوان (المخطوط) ٥٣

(٧) نفسه ص ٥٣

الجود بقيادة الخيل للوفود ، وعن الحلم والمقدرة بالعفو فقال: (١)
الخيْلُ هم قُواذُها لوفودِها والإِبِلُ والذَهَبُ النُّضارُ نوالُها
والعفو من عاداتهم عن كُفوةٍ والأسدُ في قلب الوغى جُدالُها
وكُنَى عن غنى أولئك القوم بأن جواريتهم يجرون أذبالهن خلفهن فيقول: (٢)
وإلى الضيوفِ تجرُّ كل مَليحةٍ أذبالُها من خلفها ثقالُها
وكُنَى عن عزتهم بصيانة الخيل فقال: (٣)
كانت لهم خيْلُ تصانُ صوافنا والحرُّ والمشتا يُصانُ جلالُها
وكُنَى عن غضب صديقه عليه بالرعد فقال: (٤)
ورضٌ عظامي رزْمٌ رَعْدٍ يَسُحِبُكم ولو كان جسمي مثل ثهلان يرتضُ

(١) ، ٢ ، ٣) الديوان ١ / ٣٩٥

(٤) الديوان (المخطوط) ٥٧

لابن نغسان المكوحي رسالة لأهل نفوسة وجربة وما حولهما من البلدان والقرى بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالدوام الأبدى والوحدانية، المنزه عن الحركات والسكون والآلات الجسمانية، المعهود باختلاف لغات المخلوقات العربية واليونانية، وسائر لغات الهوام والبهائم الحيوانية، خلق العباد من أصل أدمه ترابية أدمانية، وقدر لها الأقوات والأوقات المقدرة الأنانية، وفطر الأرض والسماء من أصل النجارة الدخانية، وأجرى البحار من فيض هاتيك الزبدة الطوفانية، ووطد الأطواد من مشار حشالة تلك اللؤلؤة المرجانية، واستوت الأرض على الشور والشور على الصخرة الصلدانية، والأمواه على الغيم بالقدرة الرحمانية، سبحانه العظيم المتفرد بعظيمات السبحانية، المحيط علماً بما كان وبما يكون من التصاريف الإرادانية. أحمدته وهو جدير أن يحمده سريرة وعلاتية، وأنزهه عن الضد والشكل والعلوانية، وأومن به إيمان مخلص بالعقيدة الترجمانية، وأشكره بما شكرته به أمتة المطهرة العمرانية، وأصلي على محمد المصطفى من أظهر بيوت سروات العدنانية مفخر فخر مفاخر الهاشمية والقحطانية، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه البررة الربانية.

أما بعد: فلإننا نخدم بالتحية العاطرة الريحانية، مطالعة المشايخ النفوسية الوهبانية، أهل البنادر والثغور والجبال العلوانية، ومن سائر بلدانهم الدانية والقصوانية، من الراسبية الوهبية الضبهانية، تحية إخوانهم المحبوبة العُمانية.
وشيع هذا النثر بنظم

- | | | |
|---|------------------------------|-----------------------------|
| ١ | ما روضة بات سارها يباكرها | وراح فيها مراح الشول ماطرها |
| ٢ | فللرعود زجيل غير منفصل | وللبروق مخاريق تُشاطرها |
| ٣ | إذا البروق خبت هب النسيم لها | فراح يوري زناد البرق زامرها |
| ٤ | أو الرعود وثت عن الجنوب فلن | تزال تملأ عبرها هوارها |
| ٥ | كأنما البرق في حافات رجت | عبس فصلت بذيابان بواترها |
| ٦ | كأنما الرعد في أحضانها رزمت | شول لعدي وقد ريمت مناخرها |

- ٧ قَسَدَتْ الْأَفَقَ طَرَفِيهِ طَوَارِفُهَا وَحَجَرَتْ مَحَجَرَ الْحَرَا مَحَا جِرُهَا
- ٨ فَا نَحَلْ مُنْعَقِدُ الْقَطَرِينَ مِنْبَجَسَا كَأَنَّمَا الْغَيْثُ لِلدَّلْحَا قَطَائِرُهَا
- ٩ كَأَن مَنشُورَهَا الْهَامِي نِفَائِسُهَا مِنْ عَقْلَهَا وَيَمِينُ الرِّعْدِ نَائِرُهَا
- ١٠ كَأَنَّمَا الرُّوضَةُ الْفَرَاءُ حَالِبَةٌ وَالْحَامِلَاتُ مَطَاطِفُهَا دَرَائِرُهَا
- ١١ حَتَّى إِذَا مَا كَسَاهَا الْغَيْثُ خَلَعَتْهَا ذَالَتْ مِذَالُ زُرَابِيهَا زُرَائِرُهَا
- ١٢ تَمَاشَجَ النَّبْتُ فِيهَا فَهِيَ رَائِقَةٌ بِالْحَسَنِ تُصْبِي حَوَاشِيَهَا أَزَاهِرُهَا
- ١٣ مِنْ أَبْيَصَ يَقْقِرُ أَوْ أَخْضَرَ نَضِرُ أَوْ أَحْمَرَ قَانِيءٌ سَوْدَا غَدَائِرُهَا
- ١٤ وَصَافِحَ الدُّوْحَ وَجَهَ الْأَرْضَ مَائِدُهَا وَظِلَّ يَخْطُرُ كَالنَّشْوَانِ نَاطِرُهَا
- ١٥ فَالرَّندُ مُنْتَصِبٌ وَالنَّفْضُ مُنْخَفِضُ وَالشَّيْخُ تَرْفَعُهُ عَنْهَا صَنَابِرُهَا
- ١٦ وَالْمَاءُ مُنْصَرَّرٌ مِنْهُ وَمَمْتَنِعُ وَالْغَدْرُ تَجْمَعُ حَيْثُ الْجَمْعُ كَاسِرُهَا
- ١٧ وَالظِّلَّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدُّوْحِ خُطُوتُهُ كَمِثْلِ مَا سَرَقَ الْأَبْصَارُ سَاحِرُهَا
- ١٨ وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِنْ شَطْرِي خِدَائِقُهَا كَمِثْلِ مَا نَظَرَ الْخَدَاءُ غَائِرُهَا
- ١٩ فَالسُّحْبُ سَافِحَةٌ وَالْغَدْرُ طَافِحَةٌ وَالْوَرَقُ صَادِحَةٌ بِحُ حَنَاجِرُهَا
- ٢٠ وَلِلنَّسِيمِ شَذَى مِنْ قَيْحِ زَهْرَتِهَا كَفَارَةٍ قَذَفَتْهَا الْخَتَمُ تَاجِرُهَا
- ٢١ يَنْضَاعُ نَشْرُ الْحُزَامَى مِنْ مَحْبِئَتِنَا وَقَدْ أَذَاعَ ثَنَاهَا الْمُحْضَ نَاشِرُهَا
- ٢٢ بِهَا فُخْصٌ وَإِنْ حَالَتْ نَوَى قُلْدُنُ وَمِهْمَةٌ ضَلَّ كَالْمَعْتَوِ جَابِرُهَا

هَدَحَ أَهْلُ جَزِيرَةِ جَرِبَةِ

- ٢٣ حَيًّا بِجَرِبَةٍ هُمْ أَعْلَامُ دَعْوَتِنَا وَهُمْ قَوَاعِدُهُمْ أَسَا عَوَامِرُهَا
- ٢٤ الْبَاسْطِينَ الَّتِي أَقْوَتْ حَفَائِرُهَا وَالْعَانِشِينَ الَّتِي تَحْوِي حَوَائِرُهَا
- ٢٥ فَأَحْمَدُ الْقَصْبِي بَلَّ عَبْدُ خَالِقِهِ سَلِيلُ أَحْمَدِ زَاكِي النَّفْسِ قَاهِرُهَا
- ٢٦ وَعُصْبَةٌ بِمَقَامِ الْبَرَجِ حَلَّتْهَا أَبُو عَلِيٍّ بَنُوهُ هُمْ نَحَايِرُهَا

٢٧	سَلِيلُ يَحْيَى وَعَبْدُ الرَّبِّ سَيِّدُنَا	وَإِبْنُهُ أَحْمَدُ السَّامِيُّ وَنَادَرُهَا
٢٨	إِمَامُنَا أَحْمَدُ الْمُهْدِيُّ فَتَى عُمْرِهِ	وَصَدَّ غِيَانُ فَنَانِي الْآنَ ذَاكِرُهَا
٢٩	وَالْمُحَبَّرُ دَاوُدُ الْهَوَارِ نَسَبَتُهُ	بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ أَهْلُ الْأَرْضِ هَائِرُهَا
٣٠	وَإِخْصَصَ بِإِخْلَافٍ يَحْيَى ثُمَّ قَدَوْتُنَا	عِيسَى وَعَمْرَأُ رَفِيعَ الصِّيتِ عَامِرُهَا
٣١	قُلُوعُ فَاضِلٍ بِرَعَى اللَّهِ سَاكِنُهَا	مَنْ كَانَ حَيًّا وَمَنْ ضَمَّتْ مَقَابِرُهَا

مدح اهل جبل نفوسة وذكر اماكنهم

٣٣	وفي نفوسة قد هاجَ الجوى جَبَلُ	بها ديارٌ وليتَ العبدَ زائرها
٣٤	لا لوثُ تيفيتُ تيرتُ لقد سَلَبَتْ	لِبَابَ قلبي وأنى لي تزاورها
٣٥	دارُ تَبْنَى أبو مرداسَ عِقَوتها	حيًا وميتًا تبكيه مشاعرها
٣٦	سقى لبغداد ورثوري وتيرتُ بل	كأباو واذكرِ قُرْسطَةَ ذاكرها
٣٧	تلك المنازل أشياخي بها نزلوا	يا أسعدَ الله مسعوداً بجاورها
٣٨	وجايز راشووس حبذا بلدا	وفي مسفار قد نصتُ سفائرها
٣٩	واربعُ ببقالة العلي الحل بها	نوحُ بن برهام هاديهما وناصرها
٤٠	واعطف ببقالة السفلى وزاجي وأجُ	ريجن قطرس عبد الله نادرها
٤١	مرساون ومسين ومتيون وقل	مزغورة تمزدة أزعرُ زاعرها
٤٢	وفات مع تَنَدَ ميرا يا لها حللا	حلت بقلبي واحلولى مذاكرها
٤٣	وقدُ مدتُ لجناونَ إن بهـ	مشائخا لم يخف هدياً مُناظرها
٤٤	داودُ بعد عليّ الذكر والده	أيوب بلقاسم المفتي زآخرها
٤٥	وجلين بلقاسم الزاكي وجادو بها	برهام رحلان قسّاطو تناظرها
٤٦	لم أنسَ طرميسة طرميس حيث سمت	به وميري فلا بُتتُ مرائرها
٤٧	وبين زاجي ومرساون قيل لنا	واد به جنة والماء غمامرها

- ٤٨ ومسجدٌ عندها كانت به امرأةٌ تعبَّدتْ وَصَفَتْ حُبًّا ضَمَانُهَا
 ٤٩ قد شاقني حُبُّها في الله حيثُ زكت منها وقد خَلَصَتْ فيه سرائرُها
 ٥٠ ودار يفرن ابراهيم بجدها وابن جلندين بل عيسى وماهرها
 ٥١ وأحمد بن ابراهيم أحمد شم أخي هُم القُدوةُ الزهر بوادرها
 ٥٢ هي الديارُ فكم فيها ثوى عَلمٌ تحت الثرى وثوابُ الله ساترها
 ٥٣ وكم بقي عَلمٌ فيها حوى عَلمًا زواخرُ العلم لم تَنضُبْ زاوخرُها
 ٥٤ وتقرَّستُ حذاها غاسر بلد بساكنيها جميل الصنع غاسرها
 ٥٥ دارُ البوارين تلك القلعةُ انقلعت عينُ المعادين عنها لا تصاورها
 ٥٦ محمد زكريا الحبر والده إن البوارين لا هارت برائرها

مدح اهل وارجلان وبني مصعب

- ٥٧ ويوسف ثم أيوبُ بن خالدة داود أحمد وارجلان زائرها
 ٥٨ نوان أحمد من تحنينه طلعت شمس وعيسى لها سعد مناظرها
 ٥٩ واذكر بني ثورا بابهكر بن صالحة أهل العفان فلا أقوت منابرها
 ٦٠ ملكية المرتضى عيسى المقر له في صنعة العلم محبوب وجابرها
 ٦١ الواضح النور والبرهان تعرفه بفضل الجم هادبها وحاضرها
 ٦٢ محمد بن سعيد أحمد وإذا عبد العزيز بنو يسجن مزاررها
 ٦٣ غرداية المصعبي ابراهيم عاضده محمد ابن منصور مناظرها
 ٦٤ بلقاسم المرتضى يحيى أبوه وقل محمد بن سليمان مشاطرها
 ٦٥ فتلك حُجَّاجُ بيتِ الله أربعة أهل الجمار مشويات جمائرها
 ٦٦ سقياً ورعياً لهاتيك الديار ومن فيها ومن لي بها قربي بقاصرها
 ٦٧ لا لذة في البقا مالم أحل بها إحلالها أهلها لا من يزاورها

- ٦٨ هي المحارِبُ أعلا عليين ومن
٦٩ لا يَفْخَرْنَ بِأَمْوَالٍ مُتَلَدَّةٍ
٧٠ بِالرَّاسِبِيِّ بْنِ وَهْبٍ نَصُّ مَذْهَبِهِمْ
٧١ دِينُ الْإِبَاضِيِّ أَضْحَى أَبْيَضاً بِهِمْ
٧٢ أَدْيَانُهُمْ حَمَلُوهَا عَنْ نَبِيِّهِمْ
٧٣ شِرَانِعاً عَذْبَةً طَعْمُهَا مَوَارِدُهَا
٧٤ هَا دَعْوَةُ اللَّهِ فِيهِمْ مِثْلُ أُولِهَا
٧٥ لَمْ يَطْلُبِ الرِّيحَ فِي الدُّنْيَا بِهَا أَبَدًا
٧٦ تِلْكَ النُّفُوسُ الَّتِي لَدَتْ مُطَالِبَهَا
٧٧ فِي طَاعَةِ اللَّهِ جَافَى النَّوْمُ أَعْيُنَهَا
٧٨ لِلرُّسْتَمِيِّينَ كَمْ مِنْ وَقْعَةٍ وَقَعَتْ
٧٩ وَيُوسُفُ وَأَبِي الْخَطَّابِ ثُمَّ أَبِي
٨٠ وَهُمْ مِنَ الْبَصْرَةِ الْفِيحَاءِ قَدْ حَمَلُوا
٨١ أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْهُ عِلْمُهُمْ حَمَلُوا
٨٢ وَعَنْدَ إِزْمَاعِهِمْ لِلْغَرْبِ أَوْدَعَهُمْ
٨٣ وَأَوْدَعْتَهُمْ ثَلَاثًا فِي مَوَادِعِهَا
٨٤ وَاسْتَقْبَلُوا الْغَرْبَ لَا تُثْنَى أَعْنَتُهُمْ
٨٥ حَتَّى اسْتَقَرَّ بِجَنَانٍ أَمْرُهُمْ
٨٦ فَتَهَابَلَ الْأَمْرَ بِالْإِخْلَاصِ مُؤْمِنُهَا
٨٧ حَتَّى مَضَوْا رَحْمَةَ الرَّحْمَنِ تُنْعِشُهُمْ
٨٨ فَالْأَمْرُ مِنْهُمْ وَلِيَهُمْ لَا تُغَيِّرُهُ
٨٩ وَهُمْ إِلَى الْآنَ لَا ذَلَّتْ عَصَابَتُهَا
- فِيهَا هُمُ الشُّهَدَا وَاللَّهُ نَازِلُهَا
مَا لَمْ يَكُنْ بِرِضَى الْبَارِي مَفَاخِرُهَا
هِيَ الْمَآثِرُ لَا أَعْقَتْ مَآثِرُهَا
إِنْ كَدَّرَ الْمَلَّةُ الْبَيْضَاءُ كَادَرُهَا
عَنْ جِبْرَائِيلَ عَنِ الْبَارِي أَوَامِرُهَا
وَقَدْ حُمِّلَتْ عَلَى الْعَقَبِيِّ مَصَادِرُهَا
مُقَدَّسَ الْأَسْمِ وَالْأَفْعَالِ آخِرُهَا
غَيْرَ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ تَاجِرُهَا
فِي جَمْعِهَا الْعِلْمَ فَاحْلُوكَ مَرَاتِرُهَا
وَعُسْكَرَتْ فِي مَرَاذِيهِ عَسَاكِرُهَا
عَاشَ الْوَحُوشُ بِهَا مَا اعْتَاشَ طَائِرُهَا
سَلَامَ عَبْدِ الْعَلَى طَابَتْ عَنَاصِرُهَا
جُلُّ الْعِلْمِ تَهْدِيهَا بِصَائِرُهَا
وَكَانَ فِي الْأَرْضِ خَوْفَ الْقَتْلِ سَاتِرُهَا
مَسَائِلُ يُبْلِسُ الدَّارِي تَشَاجِرُهَا
وَهِيَ الثَّلَاثُ عَفِيفَاتُ مَآزِرُهَا
وَلَا يُبَالُونَ فِيهَا قَالِ سَاخِرُهَا
وَمَا يَلِيهَا وَمِنْهَا سَارَ سَائِرُهَا
وَطَاوَعَ الْأَمْرَ بِالْإِذْعَانِ كَافِرُهَا
وَدَعْوَةُ اللَّهِ فِيهِمْ قَامَ نَاصِرُهَا
حَتَّى الْقِيَامَةِ أَحْدَاثُ تَعَاوِرُهَا
وَلَا جَبَّتْهَا عَلَى رِغْمِ جَبَابِرُهَا

- ٩٠ ولا استطابتُ على كسبِ تهاوشها وغير طامعةٍ فيها نهايرُها
- ٩١ سِيَانُ عاذِلِها في دينِ خالقِها وذاك حُسْنُ الرجا فيه وعاذِرُها
- ٩٢ يا عَيْبَةُ الله لا زلتم بطاعته مقدسينَ وها أنتم شرائرُها
- ٩٣ يا عَصْبَةَ الله عَيْنُ الله تَكَلُّوْكُمْ حيثُ المحليّن لم تكلل نواظِرُها
- ٩٤ لا غيرتكم من الدنيا عوائِرُها ولا استغفرتُكُمْ فيها غرائِرُها
- ٩٥ أنتم لدى الدعوة الغرّاء نواصرُها بكم سَمَتْ فوق كِبِوانِ منايرُها
- ٩٦ لا صرفتكم صروفُ النائبات عن الط طاعاتٍ أو بدّلت عنكم دهارِها
- ٩٧ ولا دَهَتْكُمْ على حالٍ دهايتُها ولا هدّتُكُمْ إلى الشُحْناء جرائِرُها
- ٩٨ ولا مُحِجَّتُمْ من الاسواءِ محنتنا ولا بَلَّتْكُمْ بِلْوانا مقادِرُها
- ٩٩ علومُنا يالها والعاملون بها تضمّتْها لأبلتْها حفايرُها
- ١٠٠ لم تُبْقِ فينا لهم إلا دُفائِرُها ومن بقاياهم إلا ظواهرُها
- ١٠١ عليكم بَعْدَ باريّنا تَعَمَّدُنا لم تُنْتَهَكْ حُرْمَةُ أنتم سوائِرُها
- ١٠٢ ولم تُملْ مِلَّةُ أنتم عوامِلُها أو تَفْتَقِرْ عَصْبَةُ أنتم ذخائِرُها
- ١٠٣ منا عليكم تحيياتٌ مرادفةٌ أعلامُها بالثنى تُثني محابرُها
- ١٠٤ بالأفق يعبقُ والغبراء ماطرُها بالشرق والغرب لم يفقد مسافرُها
- ١٠٥ كأنها الخضرُ ما خُصَّتْ به بَلْدُ أو الغزالة لم تضفد جواهرُها
- ١٠٦ قد صاغها سَالِمُ اللواحِ والدُّه غَسَّان من شنوةٍ والأزدُ شاعرُها
- ١٠٧ يرجو النجاةَ بها فيكم إذا قلصت من العبادِ غداً خوفاً مشافرُها
- ١٠٨ له ذنوبٌ لقد زادتْ صفائِرُها على هِضابِ حَرى أنى كِبائِرُها
- ١٠٩ لعلها دعوةٌ منكم تجابُ له ليغفرَ الزُكَّةُ العظماء غافرُها
- ١١٠ أرجو بِحُرْمَتِكُمْ إنفاذَ دعوتِكُم سِيَان وارِدُها عنكم وصادرُها
- ١١١ لا تَحْرِمُونَا دُعَاءَ اللَّيْلِ بينكم إن سامرَ اللَّيْلَةِ اللَّيْلَةِ سامرُها

- ١١٢ وَإِثْرَ كُلِّ صَلَاةٍ مِنْ عِبَادَتِكُمْ لِيَدْفَعَ اللَّهُ أَشْيَاءَ تُحَازِرُهَا
١١٣ وَلِيَهْنِكُمْ مَا رَضِيَ الْبَارِي صَنَائِعَكُمْ فِي جَنْبِهِ فَهُوَ مُجْزِيكُمْ وَشَاكِرُهَا
١١٤ وَخَاطِرُ بْنُ غَرِيبٍ ثُمَّ إِخْوَتُهُ السَّـمَوْنِيُّ بِكُمْ طَابَتْ خَوَاطِرُهَا
١١٥ يَقْرُونَكُمْ وَهُمْ أَذُنٌ لِأَمْرِكُمْ تَحْيِيَّةٌ فَأَيُّحُ بِالْمَسْكِ عَاطِرُهَا
١١٦ أَجَلٌ وَعَبْدُ الْإِلَهِ الْحَبِيرُ قُدُّوتُنَا وَابْنُهُ أَسَدُ الْأَوَاهُ حَاضِرُهَا
١١٧ هُمَا يَخْصَانِ مِنْكُمْ بِقَابِلِهَا حُسْنَ الْقَبُولِ وَمَنْ مِنْكُمْ يَنَظَرُهَا
١١٨ كَذَاكَ كَاتِبُهَا يُهْدِي تَحْيِيَّتَهُ إِلَيْكُمْ مَا أَمْتَطَى فِي الْبَيْدِ سَافِرُهَا
١١٩ عَبْدُ الْإِلَهِ يَبْهَلِي حَلَّ مَسْكَنَتِهِ نَجَلُ الْفَتَى عُمَرُ مَا سَارَ سَائِرُهَا
١٢٠ تُفْرِكُكُمْ مِنْهُ تَسْلِيمًا تَحْيِيَّتُهُ يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ تُنَبِّيكُمْ سَرَائِرُهَا

تَمَّتْ

الخاتمة

خرجت هذه الدراسة بنتائج متعددة أهمها:

وجود أحداث في عصر الشاعر منها سياسية ومنها اجتماعية، فالسياسية دخول البرتغاليين عُمان، وضعف الحكم فيها، فكان الحكام النباهنة متفرقين في أجزاء عُمان، كل نصب نفسه ملكاً على منطقة معينة، وكان الأخوة وأبناء العم يقتتلون. وكانت الإمامة أيضاً ضعيفة آنذاك، إذ لم يتألق نجم ملوك بني نبهان إلا بعد ما خفت نور الإمامة. ومن الأحداث الاجتماعية انتشار بيع الخيار والريا.

وتبين لي وجود حياة اجتماعية حضرية تمثلت في مدن عُمان المهمة مثل نزوى وصُحار وبُهلَى وصور. من تلك المظاهر الحضرية وجود الزراعة والصناعة والتجارة.

كما تبين لي وجود حياة علمية زاخرة بعلماء الفقه والطب والأدب فكانت بيوت توارث العلم كابراً عن كابر من آباء إلى أبناء إلى أحفاد من مثل بيت آل مداد، وآل مفرح، وآل بني عبد السلام، وآل المعدّ البهلويين وآل الطبيب بن هاشم العيني الرستاقى وغيرهم.

وكان حكام ذلك العصر يحبون الشعراء ويقربونهم ويغدقون عليهم الهبات والعطايا. وقد ظهر شعراء قصروا شعرهم على مدح أولئك الحكام من مثل الشاعر موسى بن حسين بن شوال الحسيني المحليائي الكيذاوي، كما ظهر شعراء من ملوك تلك الفترة من مثل الشاعر والملك سليمان بن سليمان النبھاني.

وتبين لي أن الشاعر ابن غسان من قبيلة عريقة في النسب، معروفة بالعلم والتقوى، فهو من قبيلة بني خروص التي تنتمي إلى الأزد، وهو يعتز بنسبه هذا ويفتخر به، وتبين لي أن زوجته ماتت قبله ورثاها، وله من الأولاد غريب وحمزة الذي تكنى به، وكذلك له أحمد ودرويش.

ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن الشاعر ابن اللواح لم يولد سنة ٨٦٢ هـ ولم يتوفى سنة ٩٢٠ هـ - كما ذكر محقق الديوان - وإنما قربت ولادته إلى سنة ٨٩٥ هـ، وقدّرت وفاته كذلك بعد سنة ٩٨١ هـ.

وتبين لي أنه تنقل في مدن عُمان لطلب العلم وغيره، ونتج عن تنقله هذا وجود علاقات اجتماعية بينه وبين علماء عصره فخلد ذكرهم بقصائده من مدح ورثاء وعتاب.

وقد تبين لي أن أبا حمزة واسع الثقافة والمعرفة، وكان ذلك نتيجة لتعدد مصادره التي كان

ينهل منها، فقد عرفته فقيهاً وأصولياً وتاريخياً، كما ألفتة نحوياً وعروضياً ومحتدياً.

ومن النتائج المهمة التي خرجت بها هذه الدراسة، وجود جزء كبير من ديوان الشاعر يربو عدد أبياته على ألف وخمس مئة بيت غير مطبوع؛ ربما اشتبه فيه المحقق. وقد أثبت أنه له وأرجو أن يوفقني الله لتحقيقه ونشره.

كما خرج البحث بالكشف عن قصيدة هائية طويلة تربو على مئة بيت وجهها الشاعر تحية إلى إباضية أهل المغرب، ثم بعد ذلك عثرت على شرح لهذه القصيدة.

وتوصل البحث إلى كثرة تصحيف وتحريف في نصوص الديوان المطبوع، وإلى وجود أخطاء منهجية في التحقيق أثبت الباحث الأهم منها وناقشها بالتفصيل.

وتوصل الباحث إلى أن الشاعر طرق فنوناً مختلفة في شعره منها ما هو تقليدي، ومنها ما ظهرت عليه الجدة. فمن فنون شعره التقليدي الرثاء، وقد وجدت الرثاء عنده خاصاً وعماماً، ففي شعره الخاص رثى أمه وزوجته وأبنائه، كما رثى جزءاً من جسمه وهي أضراره التي تساقطت.

أما رثاؤه العام فهو متعدد، فقد رثى العلماء والأمراء والسلاطين والشعراء والأصدقاء الآخرين والأطباء، وللرثاء مكان في رثائه أيضاً.

ومن فنونه الشعرية التقليدية الفخر والعتاب والوصف والغزل والهجاء.

ومن فنونه؛ الاتجاه الاجتماعي؛ مثل المكاتبات الإخوانية وبعض القضايا الاجتماعية والتشوق والمدح والاستعطاف والتنهاني، وله أيضاً مواعظ وحكم ونصائح اشتملت على جزء كبير في ديوانه.

ومن فنونه في الاتجاه الديني؛ مدائح المولى جلّ وعلا، ومدائح ليلى الشريفة وتوديعها وتوديع مقاماتها، ويقصد أبو حمزة بليلى الشريفة، الكعبة المشرفة. وهذا الموضوع لم يكن معروفاً في صدر الإسلام الأول وإنما يعتبر من الفنون التي استحدثت فيما بعد. ثم المدائح النبوية لشهر رمضان، والمذهب الإباضي لمكانة في شعر ابن اللواح، وكذلك بعض المسائل الشرعية.

وفي بنية قصيدة ابن اللواح وجدت منها ذات الغرض الواحد ومنها ذات الأغراض المتعددة، ووجدته دقيقاً في مطالع قصائده، فإذا كانت القصيدة تعزية، تكون لفظة تعزية في أول كلمة في البيت وإذا كانت نصيحة أو عتاباً فإننا نقرأ عنوانها من أول بيت فيها. وتخلصه من

موضوع إلى آخر يكون حسناً حيناً ومقتضباً حيناً آخر، وقد تبين لي أن قصيدته ذات وحدة متماسكة وأفكار مترابطة، ومعانٍ متناسقة، كما تبين لي أنه ذو نفس طويل في غالبية قصائده، سواء أكانت القصائد الإخوانية أو المراثي أو المدحة النبوية وهذا الطول لم يضعفها، أو يخل في تركيبها الفني.

وقد تبين لي أن ابن اللواح كان مقلداً ومحتذياً طريق الشعراء القدامى في معجمه الشعري. فقاريء ديوانه لا يكاد يمر على قصيدة حتى يستوقفه لفظ أو تركيب أو صيغة أو غلط من أنماط الصياغة، أو أي إشارة قريبة أو بعيدة تعود به إلى بيت شعر قديم أو آية قرآنية أو حديث شريف أو أي قول مأثور، أو ربما إلى مصطلح من علوم الأولين من فقه، وفلك، وبلاغة، وعروض، ونحو.

ووجدته يلزم نفسه ما لا يلزم فينتقي قوافي صعبة المركب مثل قافية الزاي والشين والشاء والذال والياء المشددة مما يضطره إلى اللجوء إلى كلمات غريبة جداً.

وقد تباين أسلوبه في شعره فقد اتسم بالوضوح والإبانة، وابتعد عن التكلف والتعقيد، واتسم بالبساطة والعذوبة آنأً، وبالبداهة والتعقيد والجزالة آنأً آخر. ولغته الشعرية تراوحت بين المباشرة الخطابية والدلالات الإيحائية وبين أن تكون خالية من الإيحاء والتخييل؛ كل لفظة موظفة توظيفاً معجباً وتؤدي المعنى القاموسي لها لا غير. ولا يخلو شعر أبي حمزة من الألفاظ والمعاني النثرية التي تقلل من قيمته الشعرية. ولم نعدم أسلوب الحوار والمساملة في شعر أبي حمزة، فقد اتسمت بعض مقطوعاته بالحوار والمساملة. وتمثلت المادة التاريخية، والسرد الإخباري في شعر أبي حمزة في سيرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وكذلك تمثلت المادة التاريخية في رسالة الشاعر إلى إباحية أهل المغرب وفي أسماء الأعلام التي حفل بها الديوان.

ووجدت التكرار عنده متنوعاً؛ فأحياناً يكرر أبياتاً كاملة، وأحياناً أشطراً وأحياناً معاني وأحياناً يكرر ألفاظاً وأحياناً حروفاً.

واتضح الاقتباس جلياً عنده من القرآن الكريم، كما ظهر التضمين كذلك بكثرة لعدد من الشعراء القدامى من أمثال أبي الطيب المتنبي، وابن الفارض، وطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى وغيرهم، كما ضمن شعره كثيراً من الحكم والأقوال المأثورة والأمثال.

ولا بد لشاعر مكثّر من أمثال أبي حمزة أن تؤخذ عليه مآخذ لغوية وضرورات شعرية،

فانتشرت في ديوانه لغة «أكلوني البراغيث»، وأخذت عليه مأخذ في أحكام الفعل المضارع. فأحياناً لم يُعْمَلْ أداة الجزم في الفعل، وأحياناً يجزم الفعل من غير أداة سبقتة، ومن المآخذ التي وقع فيها حذف ياء المنقوص المنصوب. والضرورات الشعرية التي وقع فيها هي الإبطاء والإقواء والسناد والتضمين.

أما المحسنات البديعية التي كان يزين بها شعره، فأكثرها انتشاراً في شعره؛ رد الأعجاز على الصدور، حتى إنني رصدت عليه قصيدتين، أفسدت الصنعة والتكلف معنهما وعقدت تراكيبهما. كما انتشر عنده الجناس بأنواعه، والطباق والتصرع والتقسيم.

وقد تبين لي أنه عارض شاعرين كبيرين من شعراء العربية؛ أحدهما أبو ذؤيب الهذلي والثاني أبو الطيب المتنبي.

وتبين لي أنه استمد صورته الشعرية من مصادر أهمها؛ حياته الخاصة التي صور فيها أوضاعه النفسية والاجتماعية. والمجتمع الذي عايشه الشاعر بكل ما فيه من عناء وشدة، كما استمد صورته من الطبيعة وما تحويه من مظاهر كالزمان والمكان والطقس والأجرام السماوية. واستمد صورته من ثقافته الواسعة سواء بالاطلاع على التراث السالف أم بالاستفادة من الحياة وتجاربه الخاصة.

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات

ابن رزق (حميد بن محمد بن رزق)

١- الصحيفة القحطانية. مكتبة أوكسفورد. بريطانيا ٢٥٦١، S3 (مخطوط)

البُهلوي (عبدالله بن عمر بن زياد البُهلوي)

٢- شرحه على قصيدة ابن اللواح لأهل المغرب، مكتبة الشيخ مبارك ابن عبدالله الراشدي-

سلطنة عُمان- سناو (مخطوط)

اللواح (سالم بن غسان اللواح الخروصي)

٣- ديوانه. دار المخطوطات والوثائق في وزارة التراث القومي بسلطنة عُمان الرقم

العام: ٣٤٦٩ الخاص ٩٦ ز (مخطوط)

الكندي (محمد بن ابراهيم الكندي)

المطبوعات:

ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم)

٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة

العصرية- صيدا- لبنان ١٩٩٠م

ابن بطوطة

٦- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار. شرحه وكتب هوامشه. طلال

حرب. ط ١ دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٩٨٧م.

ابن حجة الحموي (تقي الدين أبي بكر بن علي)

٧- خزانة الأدب وغاية الأرب . شرح عصام شعيتو. ط ٢ نشر وطبع مكتبة الهلال- بيروت-

لبنان ١٩٩١م.

ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد)

٨- الاشتقاق؛ تحقيق وشرح عبد السلام هارون ط ٢- مكتبة المثنى- بغداد- العراق-

١٩٧٩م.

ابن رزق (حميد بن محمد)

٩- الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين. تحقيق عبد المنعم عامر . وزارة التراث القومي

في سلطنة عُمان ١٩٨٠م.

- ابن رشيق (الحسن بن رشيق القيرواني)
١٠- العُمدَةُ في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق الدكتور محمد قرقران ط١- دار المعرفة- بيروت- لبنان- ١٩٨٨ م.
- ابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل)
١١- المخصص. دار الفكر- بيروت- لبنان- من دون تاريخ
ابن طباطبا (محمد أحمد بن طباطبا العلوي)
١٢- عيار الشعر. شرح وتحقيق عباس عبد الستار (ط١) دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ١٩٨٢ م.
- ابن قتيبة (عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري)
١٣- الشعر والشعراء، أو طبقات الشعراء. تحقيق وضبط الدكتور مفيد قميحة ط٢- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٩٨٥ م.
- ١٤- تأويل مشكل القرآن. شرح وتحقيق السيد أحمد صقر. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة- مصر من غير تاريخ.
- ابن الكلبي (هشام بن محمد بن السائب الكلبي)
١٥- نسب معدّ واليمن الكبير. تحقيق الدكتور ناجي حسن. ط١ عالم الكتب. مكتبة النهضة العربية ١٩٨٨ م.
- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور)
١٦- لسان العرب. دار صادر- بيروت- لبنان
أبو علي (عبد الباقي بن المحسن التنوخي)
١٧- التوافي. تقديم وتحقيق. عمر الأسعد. ومحي الدين رمضان ط١
دار الإرشاد- بيروت- لبنان ١٩٧٠ م.
- أبو هلال (الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري)
١٨- الصناعتين؛ الكتابة والشعر. حققه وضبط نصه الدكتور مفيد قميحة. ط١ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ١٩٨١
- أحمد الشايب
١٩- تاريخ النقائض في الشعر العربي. ط٣. طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- مصر ١٩٦٦ م.

- ٢٠- الأسلوب . ط ٨. طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ١٩٩٠
أحمد بن فارس
- ٢١- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. نشر المكتبة السلفية بالقاهرة. طبع
مطبعة المؤيد. سنة ١٩١٠م.
الأخطل
- ٢٢- ديوانه: تحقيق فخر الدين قباوة. ط ١. دار الأصمعي بحلب سوريا ١٩٧١م.
الأزكوي (سرحان بن سعيد الأزكوي)
- ٢٣- تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق عبد المجيد
القيسي. وزارة التراث القومي في سلطنة عمان ط ٢. مطابع سجل العرب بالقاهرة.
١٩٨٦م.
- اسبر (محمد سعيد) وبلال جنيدي
- ٢٤- الشامل: معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها. ط ١ دار العودة- بيروت- لبنان
١٩٨١م.
- أطفيس (محمد بن يوسف)
- ٢٥- الحنة في وصف الحنة. وزارة التراث القومي في سلطنة عمان- مطبعة أمون- القاهرة.
١٩٨٣م.
- أعوش (بكير بن سعيد)
- ٢٦- دراسات في الأصول الإباضية. ط ٤، ١٤٠٩هـ
بلوي (السعيد محمد بدوي ومحمود فهمي حجازي وغيرهم)
- ٢٧- دليل أعلام عُمان. موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب ط (١) مكتبة لبنان، المطابع
العالمية. مسقط. سلطنة عُمان ١٩٩١م.
- بشار بن برد
- ٢٨- ديوانه. جمع وشرح محمد الطاهر بن عاشور. الشركة التونسية والشركة الوطنية للنشر
والتوزيع ١٩٧٦م.
- البطاشي (سيف بن حمود)
- ٢٩- إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان. ط (١). مطابع النهضة
رؤي- سلطنة عُمان- الجزء الأول ١٩٩٢، والثاني ١٩٩٤م.

- الرجاني (علي بن عبد العزيز الرجاني)
٣٠- الوساطة بين المتنبي وخصومه. تحقيق هاشم الشاذلي. دار إحياء الكتب العربية
١٩٨٥م.
- الحايمي (علي بن الحسن بن المظفر الحايمي)
٣١- حلبة المحاضرة في صناعة الشعر. تحقيق الدكتور جعفر الكتاني. وزارة الثقافة
والإعلام- العراق- بغداد- دار الرشيد ١٩٧٩م
- الحارثي (عبدالله بن ناصر الحارثي)
٣٢- بنو نبهان في عمان والأوضاع الاقتصادية في عصرهم، رسالة ماجستير- جامعة
القاهرة- مصر ١٩٩٠م.
- ٣٣- حصاد ندوة الدراسات العُمانية. البحوث والدراسات التي قدمت في الندوة. نوفمبر
١٩٨٠م. وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان
- الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري)
٣٤- الروض المعطار في خير الأقطار. تحقيق الدكتور إحسان عباس ط ٢ مكتبة لبنان.
مطابع هيدلبرغ- بيروت- لبنان ١٩٨٤م
- حور (د: محمد ابراهيم حور)
٣٥- رثاء الأم في الشعر العربي. مكتبة المكتبة. أبو ظبي- العين ١٩٨١م
- الخصيبي (محمد بن راشد الخصيبي)
٣٦- شقائق النعمان على سموط الجُمان في أسماء شعراء عُمان. ط ٢ وزارة التراث القومي
في سلطنة عُمان- المطبعة الوطنية. رُوي- ١٩٨٩م
- الدرجيني (أبو العباس محمد بن سعيد)
٣٧- طبقات المشايخ بالمغرب. مطبعة البعث- قسطنطينة الجزائر. (دون تاريخ)
الزاوي (الطاهر أحمد الزاوي)
- ٣٨- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصاحح المنبر وأساس البلاغة.
نشر دار الكتب العلمية. طبع دار المعرفة- بيروت- لبنان ١٩٧٩م.
- الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي)
٣٩- تاج العروس من جواهر القاموس. إصدار وزارة الإعلام في الكويت ط ٢. مطبعة
حكومة الكويت. ١٩٨٦م.

- الزركلي (خير الدين الزركلي)
٤٠- الإعلام. ط ٦ دار العلم للملايين ١٩٨٤م
(زهير بن أبي سلمى)
٤١- ديوانه. دار صادر. لبنان- توزيع دار صعب. من غير تاريخ
السالمي (عبدالله بن حميد)
٤٢- تحفة الأعيان. مطبعة الإمام بمصر. من غير تاريخ.
السالمي (محمد بن عبدالله بن حميد)
٤٣- نهضة الأعيان بحرية عُمان. مطابع دار الكتاب العربي- القاهرة- مصر. من دون
تاريخ.
٤٤- عُمان تاريخ يتكلم. المطبعة العمومية. دمشق- سوريا. من دون تاريخ.
السيابي (سالم بن حمود)
٤٦- إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان. المكتب الاسلامي في بيروت ١٣٨٤هـ
٤٧- عُمان عبر التاريخ. ط ٢ وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان- مطابع سجل العرب
بالقاهرة ١٩٨٦م.
الشافعي (محمد بن إدريس)
٤٨- ديوانه. جمع وتحقيق وتعليق: زهدي يكن. دار الثقافة بيروت- لبنان، مطابع دار
الريحاني- بيروت ١٩٦٢م.
الصائغ (الدكتور عبد الإله الصائغ)
٤٩- الصورة الفنية معياراً نقدياً. طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد-
العراق- ١٩٨٧م.
طرفة بن العبد
٥٠- ديوانه. شرح الأعلام الشنتمري. تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال.
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥م.
العقاد (عباس محمود)
٥١- اللغة الشاعرة. المكتبة العصرية- صيدا- لبنان. من دون تاريخ.
(د: علي عبد الخالق علي)
٥٢- الشعر العُماني مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية. دار المعارف- القاهرة- مصر

١٩٨٤م.

العوتبي (سلمة بن مسلم)

٥٣- الأنساب . ط ٣ وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان. طبع المطبعة الشرقية ومكتبتها

١٩٩٢م.

عويس (محمد)

٥٤- الحكمة في الشعر العربي. مكتبة الطليعة. أسيوط. مصر. دار نافع للطباعة ١٩٧٩م.

الفارض (أبو حفص عمر بن الفارض)

٥٥- ديوانه. دار الفكر- عمان- الأردن ١٩٨٥م

٥٦- فصول. مجلة النقد الأدبي . م ٥٥ ع ١ ١٩٨٤م.

قدامة (قدامة بن جعفر)

٥٧- نقد الشعر. تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتب العلمية.

بيروت- لبنان- مطابع يوسف بيضون. من دون تاريخ

القرطاجني (أبو الحسن حازم)

٥٨- منهاج البلاء وسراج الأدياء. تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط ٣، دار العرب

الاسلامي- بيروت- لبنان ١٩٨٦م.

كرومبي (لال ابر كرومبي)

٥٩- قواعد النقد الأدبي. ترجمة د: محمد عوض، ط ٢. دار الشؤون الثقافية. بغداد-

العراق ١٩٨٦م.

الكندي (أحمد بن عبدالله بن موسى)

٦٠- المصنف . وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان. مطبعة البابي الحلبي ١٩٨٣م

كولونيل (لفتنانت)

٦١- تاريخ الخليج. وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان ط ٣. ترجمة محمد أمين عبدالله.

مطبعة الألوان الحديثة ١٩٨٨م.

الكيزاوي (موسى بن حسين بن شوال)

٦٢- ديوانه، وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان. ١٩٨٥م.

البوسعيدى (حمد بن سيف البوسعيدى)

٦٣- قلائد الحُمان في أسماء بعض شعراء عُمان. مطبعة عمان ومكتبتها- مسقط ١٩٩٣م.

- اللوّاح (سالم بن غسان)
- ٦٤- ديوانه. ط١. تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي في عمان. طبع في جريدة عُمان رُوي ١٩٨٩م.
- المبرد (محمد بن يزيد)
- ٦٥- التعازي والمراثي. تحقيق محمد الديباجي. مطبعة زيد بن ثابت- دمشق- سوريا- ١٩٧٦م.
- المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين)
- ٦٦- ديوانه. شرح عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب. بيروت- لبنان- مطبعة العلوم ١٩٨٦م.
- (مخيمر صالح موسى)
- ٦٧- رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس. ط١. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن. من غير تاريخ.
- مطلوب (الدكتور: أحمد مطلوب)
- ٦٨- معجم النقد العربي القديم. ط١. دار الشؤون الثقافية- بغداد- العراق- ١٩٨٩م.
- ٦٩- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. المجمع العلمي العراقي ١٩٨٣م.
- المعولي (أبو سليمان بن محمد بن عامر بن راشد)
- ٧٠- قصص وأخبار حرت في عُمان. تحقيق عبد المنعم عامر. ط٢. وزارة التراث القومي في عُمان. مطابع سجل العرب ١٩٨٣م.
- ٧١- فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي في سلطنة عُمان. وزارة التراث القومي. إصدار ١٩٩١م، ١٩٩٣م.
- المهدي (الدكتور: عبد الجليل عبد المهدي)
- ٧٢- أبو فراس الحمداني. حياته وشعره. مكتبة الأتقي. عمان- الأردن- ١٩٨١م.
- الميداني (أحمد بن محمد الميداني)
- ٧٣- مجمع الأمثال. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. ط٢. دار الجيل- بيروت ١٩٨٧م.
- النبهاني (سليمان بن سليمان)
- ٧٤- ديوانه. وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان.
- نوفل (د: محمد محمود قاسم نوفل)

- ٧٥- تاريخ المعارضات في الشعر العربي. ط ١ دار الفرقان. طبع مؤسسة الرسالة ١٩٨٣م.
وزارة الداخلية في سلطنة عُمان.
- ٧٦- المرشد العام للولايات والقبائل ١٩٨٢م.
ولكنسون (أف. سي. ولكنسون)
- ٧٧- عمان تاريخاً وعلماء. ترجمة محمد أمين عبدالله. وزارة التراث القومي في عُمان.
مطابع سجل العرب، ١٩٨٠م.
هارون (عبد السلام هارون)
- ٧٨- تحقيق النصوص ونشرها. ط ٢. مؤسسة الحلبي. مطبعة المدني. القاهرة، ١٩٦٥م.
الهذليون
- ٧٩- ديوانهم. الدار القومية للطباعة والنشر. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب- القاهرة.
١٩٦٥م.
يافي (د. نعيم اليافي)
- ٨٠- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث. اتحاد الكتاب العرب. غير مؤرخ.

رقم الإيداع: ٩٥/١٠٠ م